



الجمهورية التركية
جامعة يالوفا
معهد الدراسات العليا

قسم العلوم الإسلامية الأساسية

المنهج البياني في النص القرآني
دراسة بلاغية في علم المعاني سورة الفرقان "أنموذجاً"

أطروحة دكتوراه

عمر حسن يوسف يوسف

المشرف: الأستاذ الدكتور سليمان آيدن

يالوفا
أيلول 2025



الجمهورية التركية
جامعة يالوفا
معهد الدراسات العليا

قسم العلوم الإسلامية الأساسية

المنهج البياني في النص القرآني
دراسة بلاغية في علم المعاني سورة الفرقان "أنموذجاً"

أطروحة دكتوراه

عمر حسن يوسف يوسف
الرقم الجامعي: 218310073

المشرف: الأستاذ الدكتور سليمان آيدن

يالوفا
أيلول 2025

التعهد بالالتزام بالقواعد الأخلاقية العلمية

أتعهد وأصرح بأنني قد جهزت رسالتي هذه بعنوان: "المنهج البياني في النص القرآني دراسة بلاغية في علم المعاني سورة الفرقان أنموذجاً" وفقاً لقواعد كتابة الرسالة الخاصة بمعهد الدراسات العليا في جامعة يالوفا، وأنني قد حصلت على البيانات والمعلومات والوثائق الموجودة فيها في إطار القواعد الأكاديمية والأخلاقية، وقد قَدِّمت جميع المعلومات والوثائق والتقييمات والنتائج وفقاً للقواعد العلمية والأخلاقيات التي أشرت إليها، وعزوت كل ما نقلته فيها إلى مصادره ومراجعته المستفاد منها خلال دراسة الرسالة، دون القيام بإجراء أي تغيير في البيانات المنقولة، وأصرّح بأنّ العمل الذي قَدِّمته في هذه الرسالة أصلي، وأتحمّل كامل المسؤولية القانونية التي قد تنشأ في حالة ثبوت عكس ما صرحت به.

التوقيع

عمر حسن يوسف

ETİK BEYAN

Yalova Üniversitesi Lisansüstü Eğitim Enstitüsü Tez/Proje Yazım Kuralları'na uygun olarak hazırladığım "Kuran'da Beyani Yöntem: Meanı İlminde Belagi Bir Çalışma 'Furkan Suresi Örneği'" başlıklı bu tez çalışmasında; tez içinde sunduğum verileri, bilgileri ve dokümanları akademik ve etik kurallar çerçevesinde elde ettiğimi, tüm bilgi, belge, değerlendirme ve sonuçları bilimsel etik ve ahlak kurallarına uygun olarak sunduğumu, tez çalışmasında yararlandığım eserlerin tümüne uygun atıfta bulunarak kaynak gösterdiğimi, kullanılan verilerde herhangi bir değişiklik yapmadığımı, bu tezde sunduğum çalışmanın özgün olduğunu bildirir, aksinin tespiti halinde doğabilecek her türlü hukuki sorumluluğu kabul ettiğimi taahhüt ve beyan ederim.

İmza

Omar Hasan YOUSIF

الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد .. فإني أشكر الله تعالى على فضله حيث أتاح لي إنجاز هذا العمل بفضلته، فله الحمد أولاً وآخراً، ثم أشكر أولئك الأخيار الذين مدوا لي يد المساعدة، خلال هذه الفترة، وأتوجه بالشكر الجزيل لجامعة يالوفا، والقائمين عليها لما بذلوا من اهتمام بطلاب كليتنا بصفة عامة، وطلاب الدراسات العليا بصفة خاصة، ولإتاحة الفرصة لي أن أكون في عداد طلابها، وفي مقدمتهم أستاذي المشرف على الأطروحة فضيلة الأستاذ الدكتور سليمان أيدين الذي لم يدخر جهداً في مساعدتي، وكان يحثني على البحث، ويرغبني فيه، ويقوّي عزيمتي عليه، فله من الله الأجر والثواب، ومنى كل التقدير، حفظه الله، ومتّعه بالصحة والعافية، ونفع بعلمه، وأشكر أساتذتي الأكارم في جامعة يالوفا الذين أفادوني من علمهم، كما أشكر والديّ منذ أن ربّاني صغيراً إلى أن بلغت مرحلتي هذه، وأشكر أخي الكبير الأستاذ المهندس حسام حسن الذي ساعدني وكان لي عوناً بعد الله تعالى، ولا أنسى أن أشكر زوجتي وأولادي الذين تحملوا مني الانشغال في الدراسة، وربما قصرت في حقهم بعض الشيء من رعاية واهتمام.

أيلول - 2025

عمر حسن يوسف

فهرس المحتويات

III.....	التعهد بالالتزام بالقواعد الأخلاقية العلمية
IV.....	الشكر والتقدير
V.....	فهرس المحتويات
VIII.....	الرموز والاختصارات
X.....	ÖZET
XI.....	ABSTRACT
1.....	المقدمة
11.....	الفصل الأول التمهيدي: التعريفات وعصور المنهج البياني
12.....	المبحث الأول: التعريفات
12.....	المطلب الأول: قراءة في المصطلح والمفهوم للمنهج البياني في النص القرآني
15.....	المطلب الثاني: التعريف بعلم المعاني، فروعها، أقسامه
19.....	المطلب الثالث: التعريف بسورة الفرقان
24.....	المبحث الثاني: عصور المنهج البياني وأسس وضوابطه في تفسير النص القرآني
24.....	المطلب الأول: عصور المنهج البياني
24.....	المقصد الأول: المنهج البياني النبوي
27.....	المقصد الثاني: المنهج البياني في عصر الصحابة رضي الله عنهم
33.....	المقصد الثالث: المنهج البياني في عصر التابعين
37.....	المقصد الرابع: المنهج البياني بعد عصر التابعين حتى بداية العصر الحديث
40.....	المقصد الخامس: المنهج البياني في العصر الحديث
44.....	المطلب الثاني: أسس وضوابط المنهج البياني
44.....	المقصد الأول: شروط المتصدي للمنهج البياني
45.....	المقصد الثاني: خصائص المنهج البياني
45.....	المقصد الثالث: أسس وضوابط المنهج البياني في النص القرآني
49.....	الفصل الثاني: الجملة الخبرية في سورة الفرقان
50.....	المبحث الأول: الجملة الخبرية في سورة الفرقان وأغراضها البلاغية
59.....	المبحث الثاني: أضرب الجملة الخبرية في سورة الفرقان
61.....	المطلب الأول: الخبر الابتدائي في سورة الفرقان

68.....	المطلب الثاني: الخبر الطلبي في سورة الفرقان.....
76.....	المطلب الثالث: الخبر الإنكاري في سورة الفرقان.....
79.....	الفصل الثالث: الجملة الإنشائية في سورة الفرقان.....
81.....	المبحث الأول: أسلوب الإنشاء الطلبي وأغراضه البلاغية في سورة الفرقان.....
81.....	المطلب الأول: أسلوب الاستفهام.....
82.....	المقصد الأول: الاستفهام الحقيقي.....
82.....	المقصد الثاني: الاستفهام المجازي أو البلاغي.....
92.....	المطلب الثاني: أسلوب الأمر.....
101.....	المطلب الثالث: أسلوب النهي.....
103.....	المطلب الرابع: أسلوب التمني.....
106.....	المطلب الخامس: أسلوب النداء.....
111.....	المبحث الثاني: أسلوب الإنشاء غير الطلبي وأغراضه البلاغية في سورة الفرقان.....
112.....	المطلب الأول: أسلوب المدح والذم.....
116.....	المطلب الثاني: أسلوب التعجب.....
116.....	المقصد الأول: الطريقة السماعية.....
117.....	المقصد الثاني: الطريقة القياسية.....
121.....	الفصل الرابع: الإيجاز والإطناب والمساواة.....
122.....	المبحث الأول: الإيجاز.....
123.....	المطلب الأول: إيجاز القصْر.....
126.....	المطلب الثاني: إيجاز الحذف.....
132.....	المبحث الثاني: الإطناب.....
136.....	المبحث الثالث: المساواة.....
139.....	الفصل الخامس: أحوال عناصر الجملة في سورة الفرقان.....
141.....	المبحث الأول: أسلوب الذكر وأغراضه البلاغية في سورة الفرقان.....
145.....	المبحث الثاني: أسلوب التعريف والتكثير وأغراضه البلاغية في سورة الفرقان.....
145.....	المطلب الأول: أسلوب التعريف.....
150.....	المطلب الثاني: أسلوب التكثير.....
155.....	الفصل السادس: الأساليب البلاغية في تنظيم التراكييب وصياغة المعاني في سورة الفرقان.....

المبحث الأول: مواضع الفصل والوصل وأغراضها البلاغية في سورة الفرقان.....	157
المطلب الأول: الفصل في سورة الفرقان.....	160
المطلب الثاني: الوصل في سورة الفرقان.....	161
المبحث الثاني: أسلوب القصر.....	164
المبحث الثالث: أسلوب التقديم والتأخير:.....	168
المبحث الرابع: أسلوب الالتفات.....	173
الخاتمة وأهم النتائج.....	179
المصادر والمراجع.....	183
السيرة الذاتية.....	197



الرموز والاختصارات

الرموز

{ }	: إشارة ما بين هذا القوسين آية
« »	: إشارة ما بين القوسين حديث
" "	: إشارة ما بين القوس اقتباس للعلماء
∞	: اللانهاية
$\neq$	: عدم المساواة

الاختصارات

إلخ	: إلى آخره
ب. م	: بعد الميلاد
ت.	: تاريخ الوفاة
ج.	: جمع
د.ت	: دون تاريخ نشر
د. م	: دون مكان نشر
د. ن	: دون ناشر / لا يوجد دار نشر
د. ط	: دون طبعة
ص	: رقم الصفحة
ﷺ	: صلى الله عليه وسلم
رض	: رضي الله عنه / عنها..
ط	: رقم الطبعة
ق	: ورقة
ق.م	: قبل الميلاد
مج	: مجلد
ن	: دار النشر
هـ	: هجري

المنهج البياني في النص القرآني دراسة بلاغية في علم المعاني سورة الفرقان "نموذجاً"

الملخص

علم المعاني وأسراره البلاغية في سورة الفرقان يُعدُّ المشكلة الرئيسة في هذه الدراسة، والهدف من هذه الدراسة هو دراسة هذا الموضوع من ناحيةٍ تعلقه ببلاغة القرآن، وبيان عصور المنهج البياني، وبيان خطوات وأسس وضوابط المنهج البياني المتبع في النص القرآني عند علماء التفسير والبيان.

قُسِّمَتْ هذه الدراسة إلى ستة فصول: فقد جاء الفصل الأول تمهيداً لعرض المفاهيم الأساسية للمنهج البياني، والتعريف بعلم المعاني وأقسامه، وسورة الفرقان وفضلها ومقاصدها، إضافة إلى عصور المنهج البياني وخطواته وضوابطه، أما الفصل الثاني فخصص للجملة الخبرية في السورة، من حيث أغراضها وأضرِبها ومعانيها البلاغية، والفصل الثالث تناول الجملة الإنشائية بأنواعها من إنشاءٍ طلبِي وغير طلبِي وأقسامهما وأغراضهما، وتناول الفصل الرابع أساليب الإيجاز والإطناب والمساواة، في حين خُصِّصَ الفصل الخامس لأحوال عناصر الجملة كالذكر، والتعريف والتذكير، والفصل السادس في الأساليب البلاغية في تنظيم التراكيب وصياغة المعاني في سورة الفرقان من الفصل والوصل، والقصر، والتقديم والتأخير، والالتفات.

وكشفت هذه الدراسة عن أهمية المنهج البياني في فهم النص القرآني، بوصفه مسلكاً تأويلياً يقوم على دلالات الألفاظ والسياقات، ويستلزم إلماماً بالعلوم البلاغية واللغوية، كما أظهرت مكانة البيان النبوي في تفسير القرآن، حيث جمع النبي ﷺ بين الفهم العميق والتطبيق العملي، واتضح من خلال استقراء أقوال الصحابة والتابعين عنايتهم الفطرية والبيانية بالنص القرآني، مما ساهم في تأسيس اللبنة الأولى للتفسير البياني، وقد بيّنت الدراسة أن الأسلوب الإنشائي بنوعيه الطلبِي وغير الطلبِي في سورة الفرقان يحمل وظائف بلاغية وتربوية عميقة، تسهم في توجيه المتلقي، إلى جانب ما للجملة الخبرية من أبعاد بلاغية تتجاوز الإخبار لتشمل أغراضاً كالوعد والوعيد والتوبيخ والمدح، كما أبرزت الدراسة مظاهر الإيجاز، ولا سيما إيجاز القصر والحذف، بوصفهما من أرقى الأساليب الدالة على الإعجاز البياني، فضلاً عن الإطناب الذي جاء بأساليب متعددة لإبراز المعاني وتأكيداتها، مما يعكس روعة النظم وبلاغة الأداء في السورة.

الكلمات المفتاحية: التفسير، البلاغة، المنهج البياني، علم المعاني، سورة الفرقان.

KURAN'DA BEYÂNİ YÖNTEM MEANİ İLMİNDE BELÂĞİ BİR ÇALIŞMA, FURKAN SURESİ ÖRNEĞİ

ÖZET

Ma‘ânî ilmi ve onun el-Furkân Sûresi’ndeki belâğî sırları, bu çalışmanın temel problemini oluşturmaktadır. Çalışmanın amacı, konuyu Kur’ân belâğati açısından incelemek, beyân yönteminin tarihsel dönemlerini ortaya koymak ve müfessirler ile beyân âlimlerinin Kur’ân metninde takip ettiği beyân yönteminin adımlarını, esaslarını ve kurallarını belirlemektir.

Çalışma altı bölüme ayrılmıştır: Birinci bölüm, beyân yöntemine dair temel kavramların, Ma‘ânî ilmi ve bölümlerinin, el-Furkân Sûresi’nin faziletleri ve amaçlarının tanıtımı ile birlikte beyân yönteminin tarihsel dönemleri, adımları ve esaslarının ele alındığı giriş niteliğindedir. İkinci bölüm, sûredeki haber cümlesini, amaçları, çeşitleri ve belâğî anlamları açısından incelemektedir. Üçüncü bölüm, talep bildiren ve bildirmeyen çeşitleriyle inşâ cümlesini, kısımlarını ve amaçlarını ele almaktadır. Dördüncü bölüm, îcâz, ıtnâb ve müsâvât üsluplarını konu edinmektedir. Beşinci bölüm, cümle unsurlarının hâllerini; zikr, ta‘rîf ve tenkîr gibi konuları incelemektedir. Altıncı bölüm ise el-Furkân Sûresi’ndeki terkîbleri düzenleme ve anlamları şekillendirme bağlamında belâğî üslupları —fasil ve vasıl, hasr, takdîm-te’hîr ve iltifât— ele almaktadır.

Bu çalışma, beyân yönteminin Kur’ân metnini anlamada önemini ortaya koymuştur. Beyân yöntemi, kelimelerin ve bağlamların delâletlerine dayanan, belâgat ve dil bilimlerinde yetkinlik gerektiren te’vîlî bir yaklaşım olarak görülmektedir. Ayrıca, Nebvî beyânın Kur’ân tefsirindeki yerini göstermiş; Hz. Peygamber’in derin anlayış ile amelî uygulamayı birleştirdiğini ortaya koymuştur. Sahâbe ve tâbiîn Kur’ân metnine yönelik doğal ve beyânî ilgileri, beyânî tefsirin ilk temellerini atmıştır. İnşâ cümlesinin —talep bildiren ve bildirmeyen— el-Furkân Sûresi’nde derin belâğî ve eğitsel işlevler taşıdığı, muhatabı yönlendirdiği; haber cümlesinin ise haber vermenin ötesine geçerek vaat, tehdit, azarlama ve övgü gibi amaçlar barındırdığı tespit edilmiştir. Ayrıca, özellikle hasr ve hazf türlerindeki îcâzın, beyân mucizesinin en yüksek düzeydeki üsluplarından olduğu; farklı yollarla ortaya çıkan ıtnâbın ise anlamları vurgulamak ve pekiştirmek için kullanıldığı görülmüş, böylece sûredeki tertîbin ve belâgatın eşsizliği gözler önüne serilmiştir.

Anahtar Kelimeler: Tefsir, Belâgat, Beyânî Yöntem, Ma‘ânî İlmî, Furkân Sûresi

THE RHETORICAL APPROACH IN THE QURANIC TEXT A RHETORICAL STUDY IN THE SCIENCE OF MEANINGS, WITH SURAH AL-FURQAN AS A MODEL

ABSTRACT

The science of Ma‘ani and its rhetorical secrets in Surat al-Furqan constitutes the central problem of this study. The aim is to examine this topic in relation to Qur’anic eloquence, to outline the historical stages of the rhetorical (bayani) method, and to clarify the steps, principles, and rules of the rhetorical approach adopted in the Qur’anic text by scholars of tafsir and rhetoric.

This study is divided into six chapters: The first chapter serves as an introduction, presenting the basic concepts of the rhetorical method, defining the science of Ma‘ani and its branches, introducing Surat al-Furqan, its virtues, and thematic objectives, in addition to outlining the historical stages, steps, and principles of the rhetorical method. The second chapter focuses on declarative (khabari) sentences in the surah, examining their purposes, types, and rhetorical functions. The third chapter addresses imperative (insha‘i) sentences, both requestive and non-requestive, along with their types and rhetorical aims. The fourth chapter deals with the styles of brevity (ijaz), amplification (itnab), and equality (musawat). The fifth chapter is devoted to the states of sentence elements such as explicit mention (dhikr), definiteness, and indefiniteness. The sixth chapter studies rhetorical styles related to the organization of structures and formulation of meanings in Surat al-Furqan, including separation and connection (fasl wa-wasl), restriction (qasr), fronting and delaying (taqdim wa-ta’khir), and grammatical shift (iltifat)

The study reveals the significance of the rhetorical method in understanding the Qur’anic text, as an interpretive approach grounded in the denotations of words and contexts, requiring proficiency in rhetorical and linguistic sciences. It also demonstrates the status of Prophetic rhetoric in Qur’anic exegesis, wherein the Prophet ﷺ combined profound comprehension with practical application. Through examining the statements of the Companions and the Followers, the study highlights their innate and rhetorical engagement with the Qur’anic text, which laid the foundational principles of rhetorical tafsir. The research further shows that the insha‘i style- both requestive and non-requestive- within Surat al-Furqan fulfills deep rhetorical and pedagogical functions that guide the audience, while the khabari sentence goes beyond mere information to encompass purposes such as promise, threat, rebuke, and praise. The study also emphasizes manifestations of brevity, especially restrictive brevity and ellipsis, as among the highest styles indicating the Qur’an’s rhetorical miracle, in addition to amplification expressed through various means to highlight and reinforce meanings-reflecting the matchless beauty of structure and eloquence in the surah.

Keywords: Al-Tafsir, Al-Balagha, The Bayani Method, Al-Ma‘ani Science, Surah Al-Furqan

المقدمة

القرآن الكريم يمثل قمة البيان العربي، وقد تحدى العرب بفصاحة ولغته، مما أدى إلى تطور علم البلاغة وتوسع مجالاته، فقد كان للقرآن الكريم دور محوري في نشأة البلاغة وتطورها، حيث أرسى قواعد هذا العلم ودفعته نحو التطور، كما أن القرآن الكريم هو المرجع الأعلى الذي يُحتكم إليه في دراسة فنون البلاغة، حيث يتضمن من أروع الأمثلة على المجاز والإيجاز، والإطناب، والمساواة، والفصل والوصل، والاستعارة، والتذكير، والتعريض، والتكرار، والذكر، والتقديم والتأخير، والالتفات، وغيرها من الظواهر البلاغية.

أما عن إعجاز القرآن، فالقرآن معجزٌ في لفظه، وفي معناه، وفي فصاحته، وفي بلاغته، وفي أسلوبه، فهو يجمع المعاني الكثيرة والعظيمة بأجمل لفظٍ وأخصر عبارة، وقد تحدى الله به العرب البلغاء الفصحاء مجتمعين، ومعهم الجن بأن يأتوا بمثله، وقد عجز الجميع بأن يأتوا بمثله، قال الله تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[البقرة، 23/2]، و(من) هنا للتبويض، أي انتوا ببعض من مثله، فعجزوا عن ذلك، وقال الله تعالى: {قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}[الإسراء، 88/17]، قال الخطابي (ت: 388هـ) في بيان إعجاز القرآن: "إعجاز القرآن وجهها آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعة بالقلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلامًا غير القرآن منظومًا ولا منثورًا"¹.

تتميز اللغة العربية بالبلاغة بسبب تنوع الأساليب التعبيرية المتاحة فيها، والتي تُتيح للمتحدث أو الكاتب اختيار الصياغات الملائمة بدقة ووضوح، مع مراعاة التناسق بين الأفكار والمعاني. هذه الأساليب تهدف إلى تحقيق تأثير محدد لدى المتلقي، سواء كان ذلك في تسهيل الفهم أو تعزيز الإقناع أو إثارة المشاعر.

وتُعد البلاغة فرعًا من العلوم اللغوية، تهتم بدراسة الأساليب الفنية والجمالية التي تُستخدم في اللغة العربية لنقل المعاني بشكل دقيق ومؤثر. تعتمد البلاغة على استغلال قواعد اللغة وآلياتها الإبداعية لتحقيق أهداف إقناعية وتأثيرية، سواء في النصوص الأدبية أو الدينية أو العلمية.

تتميز العلاقة بين البلاغة والقرآن الكريم بكونها علاقة متينة وعميقة، حيث يُعتبر القرآن الكريم نموذجًا رائدًا لما يمكن أن يحققه هذه الفنون من إتقان وعمق في التعبير. فالبلاغة هي وسيلة لاكتشاف

¹ محمد بن محمد الخطابي، بيان إعجاز القرآن، حققه: محمد خلف الله - محمد زغلول سلام (مصر: دار المعارف، 1396هـ/1976م)، 7.

الإعجاز القرآني، فهي تكشف عن جوانب الإعجاز في القرآن الكريم من حيث دقة التعبير وجمال الصورة، مما يجعلها أساساً أساسياً في دراسة هذا العلم ومَدْخلاً رئيسياً لفهم آياته وتفسير معانيها.

في إطار دراسة البلاغة، يُعتبر القرآن الكريم مصدراً غنياً للإعجاز البلاغي، حيث يجمع بين الدقة في المعاني والتنوع في الأساليب، مما يجعله نموذجاً مثالياً للفهم العميق والشامل للبلاغة. عبد القاهر الجرجاني، أحد كبار علماء البلاغة، أبرز هذا الدور في كتابه "دلائل الإعجاز"، حيث ركز فيه على نظم الكلام وعلاقته بالإعجاز البياني واستنباط معانيه الدقيقة. بذلك، أصبحت البلاغة أداة رئيسية للنقد والتحليل، حيث تعتمد على فهم مقاصد النص القرآني وتعبيراته بشكل واضح ودقيق.

بالإضافة إلى ذلك، تلعب البلاغة دوراً محورياً في تطوير المهارات اللغوية والفكرية، فهي تُنمي القدرة على التحليل والتركيب، وتُعزز من حس الإبداع والابتكار في استخدام اللغة. من خلال دراسة البلاغة، يتم التعرف على الوسائل والتقنيات التعبيرية المختلفة، مثل الاستعارات، المحسنات، الحسنات، والأساليب الإنشائية، وغيرها، والتي تُستخدم مجتمعة لتحقيق الغاية الأساسية وهي إيصال الفكرة الرئيسة بأسلوب واضح ومقنع.

يمثل المنهج البياني أحد أبرز المناهج التفسيرية التي اعتنت ببيان وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، من خلال الكشف عن الأبعاد البلاغية والأسلوبية للنص القرآني، واستجلاء دلالات ألفاظه وتراكيبه في ضوء السياق والمقام، وقد ظهر هذا المنهج نتيجة لتفاعل علماء التفسير واللغة مع طبيعة النص القرآني، الذي تميّز بجزالة اللفظ، وعمق المعنى، وثراء الأسلوب، مما اقتضى مقاربة تفسيرية تقوم على إدراك الفروق الدقيقة في التعبير، وربطها بالمعاني البلاغية التي تبرز جمال النظم وإعجازه.

ويعتمد هذا المنهج في جوهره على علوم البلاغة الثلاثة: (المعاني، والبيان، والبديع)، إلا أن علم المعاني يتصدّرها من حيث العناية بتنظيم الجملة وتناسقها مع مقتضى الحال، وتحديد أغراضها الخطابية التي يتغير بها المعنى تبعاً للمقام. كما يقوم هذا المنهج على جملة من الأسس والضوابط، منها: مراعاة السياق، وفهم مقتضى الحال، والتمييز بين الظاهر والمضمر، واختيارات التركيب، والتقديم والتأخير، وغيرها من الظواهر الأسلوبية.

وقد أثبت المنهج البياني قدرته على تقديم قراءة تفسيرية دقيقة للنص القرآني، تتجاوز الفهم السطحي إلى إدراك البنية العميقة للخطاب، مما يجعله مدخلاً مهماً لفهم إعجاز القرآن في نظمته ومعانيه. ومن هنا، فإن دراسة المنهج البياني لا تمثل مجرد تناول لغوي، بل هي استجابة لخصوصية الخطاب القرآني، بما يحمله من إشارات ودلالات لا يدرك كثيرٌ منها إلا من خلال النظر البلاغي المتخصص.

أولاً. موضوع الدراسة:

تنفرد اللغة العربية بأساليبها البلاغية التي تميزها عن بقية لغات العالم كاشفةً عن قوة هذه اللغة وتمكنها، ونجد هذه الأساليب في القرآن الكريم، ومن أجل ذلك اهتم العلماء بهذه الأساليب، وكانت من أولى اهتماماتهم وأساسيات تصنيفاتهم، وتأصيلهم لقواعد هذا العلم، وكيفية جعله قائماً، فوجدت في نفسي الرغبة بدراسة هذا الموضوع من ناحية تعلقه بالمنهج البياني في النص القرآني الذي اتبعه علماء التفسير والبيان، وكيفية إظهاره بالكشف عن أساليب علم المعاني المتمثلة في النص القرآني- سورة الفرقان أنموذجاً.

واقصر عملنا في هذه الدراسة على علم المعاني، وذلك لأن موضوع الدراسة يتصل أساساً بالجوانب الدلالية والأسلوبية التي يعالجها هذا العلم، فضلاً عن أنّ التوسّع في بقية علوم البلاغة (كالبيان والبدیع) قد يخرج بالبحث عن حدوده المرسومة ويؤدي إلى تشعب لا يخدم أهدافه الرئيسية. ولعلّ هذا يفتح المجال أمام الباحثين مستقبلاً لاستكمال دراسة بقية علوم البلاغة في هذه السورة، تحقيقاً لرؤية شمولية أكثر اتساعاً.

وقد وقع الاختيار على سورة الفرقان لما تميّزت به من كثافة أسلوبية وثراء بلاغي ظاهر، فهي من السور المكية التي تناولت قضايا العقيدة والتوحيد والرد على شبهات المشركين بأسلوب يجمع بين الحجة العقلية والتأثير الوجداني، مما يجعلها ميداناً خصباً لدراسة علم المعاني وتطبيقات المنهج البياني.

كما أن السورة تزخر بأنماط متعددة من الأساليب الخبرية والإنشائية، وتُبرز ظواهر بلاغية متنوّعة مثل الإيجاز والإطناب، والتقديم والتأخير، والفصل والوصل، والقصر، والالتفات، مما يتيح للباحث مجالاً واسعاً لتحليل هذه الظواهر في سياقاتها، واستنباط مقاصدها التعبيرية والبلاغية.

وفضلاً عن ذلك، فإن تسمية السورة بـ"الفرقان" تدل في ذاتها على الجانب البياني، لما في هذا الاسم من دلالة على التمييز بين الحق والباطل بالحجة والبيان، وهو ما يتصل جوهرياً بموضوع البحث في المنهج البياني للقرآن الكريم. وبالله التوفيق.

ثانياً. مشكلة الدراسة:

تتمحور إشكالية الدراسة حول علم المعاني وأسراره البلاغية في سورة الفرقان، فهي تُعدّ المشكلة الرئيسية في هذه الدراسة، وتسليط الضوء على الجملة الخبرية وأغراضها وأصربها، وأسلوب الإنشاء بقسميه الطلبي وغير الطلبي، وأحوال عناصر الجملة في سورة الفرقان، في إطار بلاغي وتفسيري متكامل يُسهم في تعميق الفهم للأسلوب القرآني ضمن هذه السورة. كما تسعى الدراسة على تسليط الضوء على المنهج البياني في النص القرآني كما ظهر في جهود علماء التفسير والبيان، من خلال

الوقوف على أبرز الأسس والضوابط التي أرساها هؤلاء العلماء في تعاملهم مع الخطاب القرآني.

ثالثاً. الهدف من الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على أسرار علم المعاني في سورة الفرقان، وعلى ملامح المنهج البياني في النص القرآني، من خلال تحليل الأسس والضوابط التي اعتمدها علماء التفسير والبيان في تعاملهم مع الخطاب القرآني، وتجليه أثرها في الكشف عن الأبعاد البلاغية للنص، وقد انطلقت هذه الدراسة بعد الاطلاع على طائفة من المؤلفات في البلاغة واللغة والتفسير، التي أولت الأسلوب القرآني عناية خاصة، نظراً لما يزخر به من صور بيانية، ونماذج فنية راقية من أساليب التعبير، وقد تم تخصيص الجانب التطبيقي من الدراسة لتحليل علم المعاني في سورة الفرقان، وذلك من خلال تناول الجملة الخبرية والإنشائية وبيان أغراضها البلاغية، وتقسيماتها وفروعها، إلى جانب دراسة الظواهر الأسلوبية ذات الصلة، مثل الإيجاز، والإطناب، والمساواة، والتقديم والتأخير، والذكر، والتعريف والتذكير، والفصل والوصل، والقصر، والالتفات، وتسعى الدراسة إلى رصد هذه الظواهر بدقة، وربطها بالدلالات النصية التي تخدم مقاصد السورة وتظهر وجهًا من وجوه إعجازها البياني.

رابعاً. أهمية الدراسة:

تتبع أهمية هذه الدراسة من طبيعة موضوعها الذي يجمع بين التحليل البلاغي والدرس التفسيري، ضمن إطار علمي يتناول المنهج البياني في النص القرآني بوصفه أداة لفهم معاني الخطاب الإلهي، وكشف أبعاده الجمالية والدلالية، وتزداد هذه الأهمية بالنظر إلى أن اللغة العربية تُعد من أكثر اللغات ثراءً في الأساليب البلاغية، وقد تجلّى هذا الثراء بأبهى صوره في القرآن الكريم، حيث شغلت الأساليب البيانية حيزاً كبيراً من عناية البلاغيين، خاصة في كتب التفسير، ويكتسب هذا البحث بعداً إضافياً من حيث تخصيصه لدراسة سورة الفرقان، وتحليل عناصر علم المعاني فيها تحليلاً دقيقاً، يُسهم في إبراز التراكم والأساليب التي تمنح النص القرآني قوته التعبيرية والبلاغية، كما يُعد موضوع البحث ذا جدة نسبية في طرجه، إذ لم يُرصد- فيما اطلعت عليه- دراسات تناولته بهذا الجمع بين الجانب النظري للمنهج البياني وتطبيقه على سورة كاملة بمنهج علم المعاني، مما يجعل هذه الدراسة مساهمة نوعية في رافد الدراسات البلاغية القرآنية، ونسأل الله التوفيق في أن تحقق ما طُمح إليه من كشف بعض جوانب الإعجاز البلاغي في كتاب الله تعالى.

خامساً. منهج البحث في الدراسة:

اعتمدت في دراستي على المنهج الاستقرائي التحليلي والتطبيقي وذلك من خلال النقاط الآتية:

- 1- المنهج الاستقرائي من خلال جمع الآيات القرآنية المقصودة في الدراسة، ومن خلال جمع المادة الدراسية، ثم تقسيمها على فصول ومباحث.
- 2- المنهج التحليلي من خلال دراسة الجانب النظري والتطبيقي.
- 3- المنهج التطبيقي من خلال استخراج الألفاظ ودلالاتها، والكشف عن المعنى البلاغي، وبيان روعة التعبير القرآني في سورة الفرقان.
- 4- اعتمدت في هذه الدراسة في الوصول إلى الأسس والضوابط التي اعتمدها علماء التفسير والبيان في دراسة النص القرآني، وتبسيط الضوء على الأسرار البلاغية التي اشتملت عليها سورة الفرقان عن طرق الاطلاع على كثير من النصوص البلاغية، والنحوية، والتفسيرية، وتحليلها والرجوع إلى المصادر القديمة، والمراجع الحديثة، وأحاديث الرسول ﷺ، ورأي علماء التفسير والبلاغة والنحو، ومعاجم اللغة، والاستشهاد بالأدب العربي.
- 5- خرّجت الأحاديث النبوية الشريفة تخريجاً علمياً، مع بيان حكم العلماء عليها، إلا أحاديث الصحيحين (صحيح البخاري، وصحيح مسلم).
- 6- بيّنت معاني المفردات الغريبة الواردة في الدراسة بالرجوع إلى كتب اللغة وقواميسها.
- 7- عزوت الأقوال المقتبسة في الدراسة إلى أصحابها.
- 8- ترجمت الأعلام والشخصيات المغمورة في الدراسة.
- 10- أثبت جميع المصادر والمراجع مع بيان النشر كاملة في الهامش، وفي قائمة المصادر والمراجع في آخر الأطروحة، ورتبتها على الحروف الأبجدية بحسب أسماء مؤلفيها.

سادساً. الدراسات السابقة:

فيما تم الاطلاع عليه من دراسات سابقة، وُجِدَتْ عدد من الأبحاث التي تناولت المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم، غير أن معظمها اتسم بالمعالجة العامة للمفهوم دون التعمق في جزئياته الدقيقة أو تفصيل ضوابطه وأسس المنهجية كما تجلت في تفاسير العلماء، أما الدراسات البلاغية التي تناولت سورة الفرقان، فقد اتجه بعضها إلى دراسة أسلوب بلاغي واحد فقط من أساليب علم المعاني، كالجناس، أو التقديم والتأخير، دون النظر إلى البناء المتكامل للعلم داخل السورة، كما أن بعض هذه الدراسات اكتفت برؤية عامة للسورة من حيث بلاغتها دون الدخول في تفاصيل الأسلوب من جهة الخبر، والإنشاء، وأحوال عناصر الجملة من حيث الذكر، والتقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والفصل والوصل، والإيجاز، والإطناب، والمساواة، وغير ذلك من الظواهر الأسلوبية التي يُعنى بها علم المعاني، وأهم هذه الدراسات:

- 1- المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم، بنت الشاطي أنموذجًا، باب العياط نور الدين، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية- جامعة وهران، رسالة ماجستير، 1428هـ- 2007م.
- 2- المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم، تفسير فاضل صالح السامرائي أنموذجًا، يوسف وليد النبية، رسالة ماجستير، جامعة معسكر- الجزائر، 1440هـ - 2019م.
- 3- التفسير البياني عند القدامى والمحدثين، حاجي خولة، جامعة العربي- الجزائر، رسالة ماجستير، 1441هـ- 2019م.
- 4- الجنس في سورة الفرقان، دراسة تحليلية بلاغية، للباحثة نور لطيفة الهداية رسالة للحصول على شهادة سرجانا هومانيورا باللغة العربية بجامعة علاء الدين الإسلامية بمكاسر، 1440هـ- 2019، وخلصت الدراسة إلى أساليب الجنس ومعناه في سورة الفرقان، وأنواع الجنس في سورة الفرقان.

وقد تميزت هذه الدراسة عن الدراسات السابقة من وجوه عدّة، أبرزها: تحليل الضوابط والأسس المنهجية التي اعتمدها علماء التفسير والبيان في تعاملهم مع النص القرآني، واستجلاء أبعادها النظرية والتطبيقية، كما انفردت الدراسة بتناول أساليب علم المعاني في سورة الفرقان تناولًا شاملاً، يشمل أقسامه وفروعه كافة، من الجملة الخبرية والإنشائية، إلى الظواهر الأسلوبية المتعلقة بأحوال عناصر الجملة، وقد تم عرض آيات السورة على مختلف الأساليب البلاغية، وربطها بما تخرج إليه من أغراض بلاغية، وفق منهج تحليلي يراعي السياق القرآني ودلالاته، كما حُدد نطاق الدراسة بوضوح ضمن هذا الإطار، مما يمنحها قدرًا من التركيز، ويجعلها أكثر وضوحًا للقارئ، وأكثر فائدة للباحثين والمهتمين بمجال التحليل البلاغي للقرآن الكريم.

سابعًا. هيكل الدراسة:

ستشتمل هذه الدراسة على أربعة فصولٍ وتندرج تحت هذه الفصول مباحث، ومطالب، وخاتمة، ونتائج، وفهارس، كما مبين أدناه:

الفصل الأول: التمهيدي وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريفات وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: قراءة في المصطلح والمفهوم للمنهج البياني في النص القرآني.

المطلب الثاني: التعريف بعلم المعاني وأقسامه وفروعه.

المطلب الثالث: التعريف بسورة الفرقان.

المبحث الثاني: عصور المنهج البياني وأساسه وضوابطه في النص القرآني وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عصور المنهج البياني.

المقصد الأول: المنهج البياني في عصر النبي ﷺ.

المقصد الثاني: المنهج البياني في عصر الصحابة رضي الله عنهم.

المقصد الثالث: المنهج البياني في عصر التابعين.

المقصد الرابع: المنهج البياني بعد عصر التابعين حتى بداية العصر الحديث.

المقصد الخامس: المنهج البياني في العصر الحديث.

المطلب الثاني: أسس وضوابط المنهج البياني في النص القرآني.

الفصل الثاني: الجملة الخبرية في سورة الفرقان وفيها مبحثان:

المبحث الأول: الجملة الخبرية في سورة الفرقان وأغراضها البلاغية.

المبحث الثاني: أضرب الجملة الخبرية في سورة الفرقان وفيها ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الخبر الابتدائي في سورة الفرقان.

المطلب الثاني: الخبر الطلبي في سورة الفرقان.

المطلب الثالث: الخبر الإنكاري في سورة الفرقان.

الفصل الثالث: الجملة الإنشائية في سورة الفرقان وفيها مبحثان:

المبحث الأول: أسلوب الإنشاء الطلبي وأغراضه البلاغية في سورة الفرقان وفيه:

المطلب الأول: أسلوب الاستفهام.

المقصد الأول: الاستفهام الحقيقي.

المقصد الثاني: الاستفهام المجازي، أو البلاغي.

المطلب الثاني: أسلوب الأمر.

المطلب الثالث: أسلوب النهي.

المطلب الرابع: أسلوب التمني.

المطلب الخامس: أسلوب النداء.

المبحث الثاني: أسلوب الإنشاء غير الطلبي وأغراضه البلاغية في سورة الفرقان وفيه:

المطلب الأول: أسلوب المدح والذم.

المطلب الثاني: أسلوب التعجب.

الفصل الرابع: الإيجاز والإطناب والمساواة.

المبحث الأول: الإيجاز.

المطلب الأول: الإيجاز بأسلوب القصر.

المطلب الثاني: الإيجاز بأسلوب الحذف.

المبحث الثاني: الإطناب.

المبحث الثالث: المساواة.

الفصل الخامس: أحوال عناصر الجملة في سورة الفرقان، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أسلوب الذكر وأغراضه البلاغية في سورة الفرقان.

المبحث الثاني: أسلوب التعريف والتذكير وأغراضه البلاغية في سورة الفرقان، وفيه:

المطلب الأول: أسلوب التعريف.

المطلب الثاني: أسلوب التذكير.

الفصل السادس: الأساليب البلاغية في تنظيم التراكيب وصياغة المعاني في سورة الفرقان

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: مواضع الفصل والوصل وأغراضه البلاغية في سورة الفرقان وفيه:

المطلب الأول: مواضع الفصل.

المطلب الثاني: مواضع الوصل.

المبحث الثاني: أسلوب القصر.

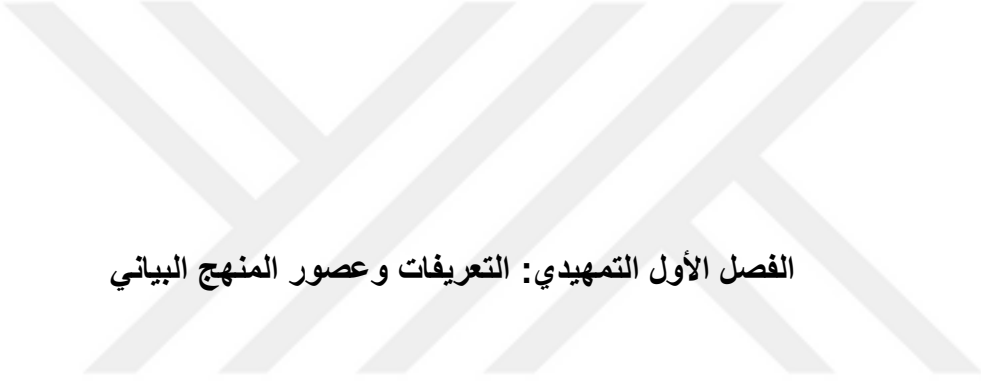
المبحث الثالث: أسلوب التقديم والتأخير.

المبحث الرابع: أسلوب الالتفات.

وختمت هذه الدراسة بخاتمة وأهم النتائج التي توصلت إليها، ووصايا، وفهرس للمصادر والمراجع، لتسهيل عملية البحث والقراءة، والله أسألُ التوفيق والسداد لخدمة اللغة العربية بصفة عامة، والقرآن الكريم بصفة خاصة.







الفصل الأول التمهيدي: التعريفات وعصور المنهج البياني

المبحث الأول: التعريفات

تُعتبر المصطلحات الأساس الذي يُبنى عليه أي مبحث علمي، فهي تمثل الأدوات التي من خلالها يُفهم الخطاب المتخصص، كما تُسهم في تحديد الإطار المفهومي للموضوع، ولذلك فإن ضبط المصطلحات وتوضيحها في مُستهل أي بحث يُعدُّ أمرًا جوهريًا لتحقيق وضوح الفكرة، وتسهيل التواصل بين الباحث والقارئ.

المطلب الأول: قراءة في المصطلح والمفهوم للمنهج البياني في النص القرآني

قبل البدء بالدراسة لابد لنا من معرفة مفردات عنوان الدراسة، من حيث الدالّتين اللغوية والاصطلاحية؛ ليتسنى لنا فهم المصطلحات المركبة، وفيها مسألتان: (المنهج البياني – النص القرآني).

المنهج لغةً: عرفه الفراهيدي (ت: 170هـ) في كتابه (العين) بقوله: "نهج طريقٌ نهجٌ، واسعٌ واضحٌ، وطرقٌ نهجٌ، ونهجٌ الأمرُ ونهجٌ – لغتان – أي وضخ. ومنهج الطريق: وضخه، والمنهاج: الطريق الواضح"². وعرفه ابن فارس (ت: 395هـ) في مقاييس اللغة: "نهجٌ: النون والهاء والجيم أصلان متباينان، الأول: النهجُ الطريق، ونهجٌ لِي الأمرُ أوضحه، وهو مستقيم المنهاج، والمنهجُ: الطريقُ أيضًا، والجمعُ المناهج"³. وعرفه الرازي (ت: 666هـ) في مختار الصحاح: "المنهاج: الطريق الواضح، ونهجٌ الطريقُ أبانه وأوضحه"⁴. وعرفه ابن منظور (ت: 711هـ) في لسان العرب: "نهج: طريقٌ نهجٌ بينٌ واضح"⁵.

المنهج اصطلاحًا: "هو الطريق المؤدي إلى التعرف على الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة والتي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة"⁶، "ويختلف باختلاف مجال العلم الذي يبحث فيه، فكل علم منهج يناسبه"⁷.

² الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، حققه: مهدي المخزومي- إبراهيم السامرائي (لبنان: دار مكتبة الهلال، تاريخ: د.ت)، مادة: نهج، 392/3.

³ أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، حققه: عبد السلام محمد هارون (بيروت: دار الفكر، 1399هـ/1979م)، باب النون وما بعدها، كتاب: النون، مادة: نهج، 361/5.

⁴ زين الدين محمد بن أبو بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، حققه: يوسف الشيخ محمد (بيروت: المكتبة العصرية، 1420هـ/1999م)، مادة: نهج، 320.

⁵ محمد بن مكرم بن علي بن منظور، لسان العرب، الحواشي: لليازجي، وجماعة من اللغويين (بيروت: دار صادر، 1414هـ/1993م)، فصل النون، مادة: نهج، 383/2.

⁶ حسين عبد الحميد أحمد رشوان، العلم والبحث العلمي دراسة في مناهج العلوم، (مصر: المكتب الجامعي الحديث، 1409هـ/1989م)، 143.

والمنهج كالمناهج، جاء في قول الله تعالى: {لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}[المائدة، 48/5]، والشرعة هي السنة، أما المنهاج فهو الطريق البين الواضح، ففي صحيح البخاري (ت: 256هـ) قال ابن عباس رضي الله عنه: «شرعة ومنهاجًا: سبيلًا وسنة»⁸.

البيان لغةً: "بان الشيء وأبان إذا اتضح وانكشف، وفلانٌ أبين من فلان أي: أوضح كلامًا منه"⁹. وعرفه الراغب الأصفهاني (ت: 502هـ)، في المفردات في غريب القرآن: "البيان: هو الكشف عن الشيء، نطقًا، أو كتابةً، أو إشارة"¹⁰. وجاء في الصحاح للرازي (ت: 666 هـ): "البيان: الفصاحةُ واللَّسَنُ، وفي الحديث: «إنَّ من البيان لسحراً»"¹¹، وفلانٌ أبينُ من فلانٍ أي: أفصحُ منه وأوضحُ كلامًا، والبيانُ أيضًا ما يتبينُ به الشيء من الدلالة وغيرها"¹². وجاء في معجم متن اللغة لأحمد رضا: "البيان: الإفصاح مع ذكاء، الفصاحة: وأصله الكشف والظهور"¹³.

البيان اصطلاحًا: قال الإمام الشافعي (ت: 204هـ) في الرسالة: "البيان: اسمٌ جامعٌ لمعاني مجتمعة الأصول، متشعبة الفروع، فأقل ما في تلك المعاني المجتمعة المتشعبة أنها بيانٌ لمن خوطبَ بها ممن نزل القرآن بلسانه متقاربة الاستواء عنده، وإن كان بعضها أشدَّ تأكيدَ بيانٍ من بعض، ومختلفةٌ عند من يجهل لسان العرب"¹⁴. وعرفه الجاحظ (ت: 255هـ) في البيان والتبيين: "اسمٌ جامعٌ لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يُفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصله، كائنًا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"¹⁵. وعرفه القاضي أبو يعلى (ت:

⁷ جلال محمد موسى، منهج البحث العلمي عند العرب، تقديم وتحليل: محمد علي، لبنان: دار الكتاب اللبناني، 1350هـ/1972م)، 271.

⁸ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، حققه: مصطفى ديب البغا (دمشق: دار ابن كثير - دار اليمامة، 1414هـ/1993م)، "كتاب الإيمان"، "باب تفسير سورة المائدة"، 11/1.

⁹ ابن فارس، مقاييس اللغة، باب: الباء والياء وما يثلاثهما، مادة: بين، 328/1.

¹⁰ الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، حققه: عدنان صفوان الداودي (بيروت: دار القلم- الدار الشامية، 1412هـ/1991م)، 158.

¹¹ البخاري، "كتاب: الطب"، "باب إنَّ من البيان لسحراً"، 2176/5، (رقم: 5434).

¹² الرازي، مختار الصحاح، باب: الباء، مادة: بين، 43.

¹³ أحمد رضا، معجم متن اللغة، (بيروت: دار مكتبة الحياة، 1377هـ/1958م)، مادة: بين، 379/1.

¹⁴ محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، (عن أصل بخط الربيع بن سليمان كتبه في

حياة الشافعي) (مصر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1357هـ/1938م)، 53/21.

¹⁵ عمر بن بحر بن محبوب الجاحظ، البيان والتبيين (بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1423هـ/2002م)، 11/1.

458هـ) في العدة: "إظهار المعنى وإيضاحه للمخاطب مفصلاً مما يلتبس به ويشتهر من أجله كما يقال: بأن الأمر إذا ظهر"¹⁶. وعرفه القزويني (ت: 739هـ) في الإيضاح: "إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة"¹⁷. وعرفه الجرجاني (ت: 816هـ) في التعريفات: "إظهار المعنى وإيضاح ما كان مستوراً قبله"¹⁸.

ويُفهم من خلال التعاريف اللغوية والاصطلاحية السابقة بأنّ البيان: هو الكشف والإيضاح وإظهار المعنى بأبلغ لفظٍ مع فصاحة اللسان ورفع الكلمة.

ويتضح من خلال التعاريف اللغوية والاصطلاحية ل (المنهج – البياني) كمركب إضافي: هو الطريقة التفسيرية التي تعتمد على تحليل النص القرآني من خلال أدوات علم البلاغة، لفهم دلالات الألفاظ والتراكيب والسياقات، والكشف عن الأغراض البلاغية والأسلوبية الكامنة في النظم القرآني، بهدف بيان إعجازه البياني والمعنوي، وهو لا يقف عند حدود التحليل اللغوي، بل يتجاوزها إلى فهم مقاصد الخطاب، ومراعاة مقتضى الحال، وربط البنية الأسلوبية بالموقف الاتصالي الذي وردت فيه الآيات، بما يجعل هذا المنهج مسلكاً تأويلياً بلاغياً يسهم في الكشف عن العمق البياني للنص القرآني.

¹⁶ أبو يعلى محمد بن الحسين القاضي الفراء، العدة في أصول الفقه، حققه وعلق عليه وخرج نصه: أحمد بن علي بن سير المبركي (السعودية: جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، 1410هـ/1990م)، 101/1.

¹⁷ محمد بن عبدالرحمن بن عمر أبو المعالي القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، حققه: محمد عبد المنعم خفاجي (بيروت: دار الجبل، تاريخ النشر: د.ت)، 52/1.

¹⁸ علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء (بيروت: دار الكتب العلمية، 143هـ/1983م)، باب: الباء، 47.

المطلب الثاني: التعريف بعلم المعاني، فروعها، أقسامه

تعريف علم المعاني

العلم في اللغة: "علم: عَلِمَ يَعْلَمُ علماً، نقيض جهل، ورجلٌ علامة وعلامةٌ وعليم" ¹⁹. وعرفه ابن فارس في مقاييس اللغة: "العين واللام والميم أصلٌ صحيحٌ واحدٌ يدل على أثّر بالشئ يتميز به عن غيره" ²⁰. وعرفه أحمد مختار (ت: 1424هـ) في معجم اللغة العربية المعاصرة: "مصدر علم، عَلِمَ به، أحاط علماً بالأمر أَلَمَّ به الإماماً شاملاً" ²¹.

العلم في الاصطلاح: العلم ضد الجهل، وهو "إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً" ²²، وأعلى درجات العلم هو اليقين لقوله تعالى: {كَأَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ} [التكاثر، 5/102]، والذي يعيننا هو العلم الشرعي، علماً ما أنزل الله تعالى، وعلماً سنة نبيه ﷺ، وما يتصل بهما من علوم الآلة كالنحو، والصرف، والبلاغة، والعقيدة، والفقه، وأصول الفقه، وعلوم الحديث، وعلوم القرآن، وكل علم يتعلق بالشريعة، ففي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري (ت: 256هـ)، ومسلم (ت: 261هـ)، وابن حنبل (ت: 241هـ)، من حديث معاوية رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من يرد الله به خيراً يُفَقِّهْهُ في الدين» ²³.

المعاني في اللغة: (المعنى) "هو القصد الذي يبرز ويظهر في الشيء إذا بُحِث عنه. يقال: هذا معنى الكلام ومعنى الشعر أي: الذي يبرز من مكنون ما تضمنه اللفظ" ²⁴. و(معنى) الكلام (معناته) واحدٌ تقول: عرفت ذلك في معنى كلامه وفي معناه كلامه وفي معني كلامه" ²⁵، والمعنى: "تتبع خواص تراكيب البلغاء، فهو يشير إلى أن المقتضى هو الكلام المتكيف بتلك الكيفيات" ²⁶. وعرفه المراغي (ت: 1371هـ) في علوم البلاغة: "هو قواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام مقتضى الحال حتى يكون وفق الغرض الذي سيق له فبه

¹⁹ الفراهيدي، العين، باب العين واللام والميم، 152/2.

²⁰ ابن فارس، مقاييس اللغة، كتاب: العين، باب العين واللام والميم وما يثلاثهما، 109/4.

²¹ أحمد عبد الحميد عمر مختار، بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، (القاهرة: عالم الكتب،

1429هـ/ 2008م)، مادة علم، 1543/2.

²² محمد بن صالح العثيمين، الأصول من علم الأصول، السعودية: دار ابن الجوزي، 1430هـ/ 2009م)، 15.

²³ البخاري، "كتاب العلم"، "باب: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"، 39/1، (رقم: 71)؛ وأبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، حققه: محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1374هـ/ 1955م)، "كتاب الزكاة"، "باب: النهي عن المسألة"، 719/2، (رقم: 1037)؛ والإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، حققه: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد وآخرون (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1421هـ/ 2001م)، "مسند عبدالله بن العباس" عن النبي ﷺ، 11/5، (رقم: 2790).

²⁴ ابن فارس، مقاييس اللغة، باب العين والنون وما يثلاثهما، مادة: عنى، 149/4.

²⁵ الرازي، مختار الصحاح، مادة: ع ن ا، 220.

²⁶ القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 52/1.

تحترز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد"²⁷. وعرفه حَبْنَكَة (ت: 1425هـ) في كتاب البلاغة العربية: "علمٌ يعرف به أحوال الكلام العربي التي تهدي العالم بها إلى اختيار ما يطابق منها مقتضى أحوال المخاطبين، رجاء أن يكون ما يسمى من كلامٍ أدبيٍّ بليغ"²⁸.

وفي الاصطلاح: "هو العلم بأحوال الألفاظ العربية المطابقة لمقتضى الحال من الأمور الإنشائية والأمور الطلبية وغيرهما"²⁹.

وعلم المعاني كمركب إضافي عرفه القزويني باختصار في الإيضاح: علمٌ يُعرف به أحوال اللفظ التي بها يُطابق مقتضى الحال"³⁰.

موضوع علم المعاني

هو أحد فروع البلاغة الذي يختص بتحقيق التناسق بين المعنى والمقام، ويهدف إلى تحسين أساليب التعبير عن الأفكار بحيث تكون أكثر تأثيراً وتناسباً مع الظروف، أو السياق الذي يُستخدم فيه الكلام، فموضوع علم المعاني هو العناية باللفظ العربي، من حيث فائدة المعنى وإظهار الأغراض المقصودة من النص، وإظهار اللطائف في الكلام الذي يطابق مقتضى الحال.

فائدة علم لمعاني

يُعَدُّ علم المعاني أحد أهم فروع علم البلاغة، وتكمن فائدته الرئيسية في معرفة إعجاز القرآن الكريم، من حيث دقة المعاني، وروعة السبك، وجودة الوصف، وحسن التراكيب، ولطائف الإيجاز، مع ما يمتاز به من سهولة في الأسلوب، وجزالة في الألفاظ، وعذوبة في التعبير، وسلامة في البنية، وهي خصائص بلاغية أذهلت العقول، وأعجزت الفصحاء من العرب، على الرغم مما عُرف عنهم من فصاحة وبلاغة، ولعلم المعاني فوائد عديدة أهمها: أنه يُعين على الوقوف على أسرار الفصاحة والبلاغة، في كلام العرب، سواء في منظومهم أو منثورهم، كما يُسهم في تجنب الخطأ في فهم المعنى المراد من الكلام، وذلك من خلال إدراك دلالة التراكيب والسياقات المختلفة، ومن هنا تتجلى أهمية هذا العلم في كونه أداة لفهم النصوص على وجهها

²⁷ أحمد بن مصطفى المراغي، علوم البلاغة (البيان، المعاني، البديع) (بيروت: دار الكتب العلمية، 1414هـ/1993م)، 41.

²⁸ عبدالرحمن بن حسن حَبْنَكَة، البلاغة العربية (دمشق: دار القلم- بيروت: الدار الشامية، 1416هـ/1996م)، 138/1.

²⁹ يحيى بن حمزة بن علي الطالبي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (بيروت: المكتبة العصرية، 1423هـ/2002م)، 10/1.

³⁰ القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 52/1.

الصحيح، لا سيما النص القرآني، الذي بلغ الغاية في البيان والإعجاز، "ومعرفة إعجاز القرآن الكريم، الوصول إلى المعاني الثانوية، والوقوف على أسرار البلاغة والفصاحة في منشور كلام العرب ومنظومه، ومخاطبة الناس على قدر عقولهم"³¹.

واضع علم المعاني

وأول من وضع أصول علم المعاني هو عبد القاهر الجرجاني (ت: 471هـ)³²، حيث إنه قام بتهديب مسائله، ووضع قواعده، ومن ثم نهل منه العلماء من بعده وإن كان من قبله من علماء اللغة العربية تكلموا في هذا العلم، ولكنهم تكلموا في مسائل يسيرة ولم يوفقوا بإحاطته إحاطةً كاملة، ومن أمثال هؤلاء سيبويه (ت: 180 هـ)³³، على الرغم من تخصصه في علم النحو فقد ساهم في وضع المبادئ التي أسهمت في فهم العلاقة بين الألفاظ والمعاني، ثم جاء بعده ابن الأنباري (ت: 328 هـ)³⁴، حيث كان له دور متميز في تطوير علم المعاني، خاصة من خلال أعماله مثل "الإنصاف"، الذي اهتم بتحليل التركيب اللغوي ومعاني الألفاظ، ثم الزمخشري (ت: 538 هـ)³⁵، في كتابه الكشف، حيث إنه وضع أسساً لتفسير البلاغة القرآنية وربطها بالعناصر البلاغية مثل التقديم والتأخير، والاستفهام، والإيجاز.

وعلم المعاني تطور عبر العصور بفضل جهود العديد من العلماء والمفسرين، الذين قاموا بتحليل العلاقة بين الألفاظ والمعاني، في مختلف السياقات.

³¹ ينظر: أحمد محمد ثريا الأبالق، أسرار علم المعاني في سورة يوسف، إشراف فضل حسن عباس (الأردن: العالم الحديث للطباعة، 1426هـ/2006م)، 25.

³² الجرجاني: هو عبد القاهر بن عبد الرحمن أبو بكر، ولد في جرجان وهي مدينة تقع في إقليم طبرستان، قرب بحر قزوين، النحوي المشهور، أخذ النحو عن أبي الحسن محمد بن علي الفارسي، وكان من كبار أئمة العربية، صنف (المغني في شرح الإيضاح) في نحو ثلاثين مجلدًا، و(إعجاز القرآن)، و(كتاب عروض)، و(العوامل المائة) و(المفتاح)، و(شرح الفاتحة) في مجلد، و(العمدة في تصريف الأفعال)، و(الجمال)، و(التلخيص) بشرحه، وكان شافعي المذهب، وأشعري الأصول، مع دين وسكون، توفي سنة إحدى وسبعين وأربع مائة للهجرة، المصدر: فوات الوفيات، لعبد بن أحمد بن شاکر الكتبي، وهو ذيل عن كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان، حققه: محمد محي الدين عبد الحميد (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، تاريخ النشر: د.ت)، 612/1.

³³ سيبويه: هو عمرو بن عثمان بن قنبر، ولد في بلاد فارس، ونشأ في البصرة، إمام النحاة في اللغة العربية، وأحد أبرز علماء النحو في التاريخ الإسلامي، رغم أنه لم يكن بلاغيًا بالمعنى الدقيق، فإن كتابه (الكتاب) يُعد أول وأهم مرجع في علم النحو العربي، وقد أثر تأثيرًا بالغًا في علوم اللغة، ومن ضمنها البلاغة، وخاصة علم المعاني.

³⁴ ابن الأنباري: هو أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن الأنباري، ولد في بغداد عاصمة الخلافة العباسية، من أعلام علماء اللغة والنحو والقراءات في القرن الرابع الهجري، وواحد من أبرز النحويين واللغويين في المدرسة البغدادية، اشتهر بسعة علمه في النحو واللغة والقراءات، وله مؤلفات تركت أثرًا مهمًا في الدراسات اللغوية والبلاغية.

³⁵ الزمخشري: هو عبد الله بن عمر بن محمد، ولد في زمخشري وهي إحدى قرى خوارزم في أوزبكستان حاليًا، عالم لغوي، ومفسر، وفقه، من العلماء البارزين في العصر العباسي، اشتهر في مجال البلاغة وتفسير القرآن الكريم، وترك العديد من المؤلفات القيمة التي أثرت في علوم البلاغة والنحو والتفسير، وفسر العديد من الأساليب البلاغية التي استخدمها القرآن الكريم، مثل الاستعارة والمجاز والتشبيه، وركز على تحليل دقة التعبير القرآني وفقًا لمقتضى الحال.

استمداد علم المعاني

يُراد باستمداد علم المعاني: بيان الأصول التي استنبط منها هذا العلم، والتي أسهمت في وضع أسسه وتحديد معالمه، ويُعتبر علم المعاني فرعاً من فروع البلاغة، يختص بكيفية تطويع الكلام ليتناسب مع مقتضى الحال، من حيث البناء والسياق، فاستمداد هذا العلم حاله حال علوم العربية من بلاغة ونحوٍ وصرفٍ وعروضٍ، من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، ومن كلام العرب، فمن القرآن الكريم، حيث إنه يُعد المرجع الأعلى والأهم، لما يحتويه من أرفع أساليب التعبير العربي، وقد استند إليه البلاغيون في دراسة فنون الحذف، والتقديم والتأخير، والإيجاز وغيرها من الظواهر البلاغية، ومن السنة النبوية الشريفة؛ لأنها تضم في نصوصها بلاغة عالية تتجلى في مطابقة الكلام للمواقف المختلفة، وقد كانت السنة النبوية المطهرة مصدرًا ثريًا اعتمد عليه العلماء في تعديد كثير من قواعد هذا العلم، ومن كلام العرب، لا سيما ما ورد من أشعار فصحاء العرب قبل الإسلام، مثل المعلقات، والشعراء بعد الإسلام، حيث إنها شكلت مادة لغوية وبلاغية غنية تُظهر تنوع الأساليب بحسب مقتضى المقام.

أقسام علم المعاني

يتناول علم المعاني عددًا من الأساليب التي تُعنى بتنظيم الجملة وتكييفها وفق مقتضى الحال، بما يضمن تحقيق التأثير البلاغي المطلوب.

فمن هذه الأساليب الأسلوب الخبري الذي يُستخدم لنقل المعنى بإقرار أو إنكار، وغالبًا ما يحمل دلالات تتجاوز الإخبار إلى أغراض بلاغية كالتعجب، والتحذير، والتوبيخ.

أما الأسلوب الإنشائي فيقوم على طلب غير حقيقي أو إنشاء معنى لحظة النطق، ويشمل الأساليب الطلبية كالأمر والنهي والاستفهام، وغير الطلبية كالتمني والتعجب، وتُستخدم هذه الأساليب لإثارة الانفعال أو التوجيه أو التأثير العاطفي.

وتظهر ظاهرة الإيجاز حين يُكفى باللفظ القليل للدلالة على المعنى الكثير، وهو من أرقى صور البلاغة، في حين يُستخدم الإطناب حين يستلزم المقام تفصيل المعاني أو تأكيدها، بينما المساواة تتحقق عندما يتساوى اللفظ والمعنى من دون زيادة أو اختصار.

أما على صعيد التركيب، فإن الذكر والحذف يوظفان بحسب ما يقتضيه السياق، سواء للتأكيد أو لشد الانتباه أو للاختصار. كما يُستخدم التعريف والتكثير لتحقيق دقة في الدلالة، من حيث التخصيص أو التعميم أو التحقير والتعظيم.

ويُراعى في الفصل والوصل مدى الارتباط بين الجمل أو انفصالها معنوياً، بينما يُستخدم القصر لحصر الحكم في جهة معينة، تعزيزاً للمعنى المراد. كما يُستثمر التقديم والتأخير لإبراز بعض العناصر أو لخلق إيقاع بلاغي.

ويُعد الالتفات من أبرز الأساليب التي تضيف حيوية على الخطاب، من خلال التحول في صيغ الضمائر بين الغيبة والخطاب والمتكلم، فيخلق نوعاً من التنويع والتنشيط الذهني لدى المتلقي.

المطلب الثالث: التعريف بسورة الفرقان

سورة الفرقان هي السورة الخامسة والعشرون في ترتيب المصحف الشريف، وهي تقع بين الجزأين الثامن عشر والتاسع عشر من القرآن الكريم، وعُدَّت السورة الثانية والأربعين من حيث النزول، نزلت بعد سورة يس وقبل سورة فاطر³⁶، وأخذ اسمها من كلمات الآية الأولى قال الله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} [الفرقان، 1/25]، وهي من السور المكية على قول الجمهور، إلا قول ابن عباس رضي الله عنهما بأنها مكية سوى ثلاث آيات منها نزلت في المدينة وهي: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الفرقان، 68/25-70/37]، والصحيح عنه رضي الله عنه أنها مكية كقول الجمهور لما ثبت في صحيح البخاري قال: «حدثنا إبراهيم بن موسى: أخبرنا هشام بن يوسف: أن ابن جريج أخبرهم قال: أخبرني القاسم بن أبي بزة: أنه سأل سعيد بن جببر: هل لمن قتل مؤمناً متعمداً من توبة؟ فقرأت عليه: {وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ} فقال سعيد قرأتها على ابن عباس كما قرأتها علي فقال: هذه مكية، نسختها آية مدنية، التي في سورة النساء»³⁸، وهي من السور المثاني التي لا تبلغ عدد آياتها المئة آية،

³⁶ محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير - "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" (تونس: الدار التونسية للنشر، 1404 هـ/1984م)، 314/18.

³⁷ محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، حققه: أحمد البردوني - إبراهيم أطفيش (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384 هـ/1964م)، 1/13.

³⁸ البخاري، "كتاب: التفسير"، "باب: وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا /العقوبة"، 1784/4، (رقم: 4484).

وسميت بالمثاني؛ لأن قراءتها تتكرر أكثر من قراءة الطوال والمئين، وآياتها سبع وسبعون آية، وكلماتها ثمانمائة واثنان وسبعون كلمة، وحروفها ثلاثة آلاف وسبعمائة وثمانون حرفاً³⁹.

الفرقان في اللغة: "(فرق) الفاء والراء والقاف أصيلٌ صحيح يدلُّ على تمييز بين شيئين، والفرقان كتاب الله تعالى فرَّقَ بين الحق والباطل، والفرقان الصُّبحُ سمي بذلك لأنه يفرِّق بين الليل والنهار، لأن الظلمة تنفَرِّقُ عنه"⁴⁰. وجاء في كتاب شمس العلوم لليمني (ت: 573هـ): "(فرق) الفرق بين الشيين نقيض الجمع بينهما"⁴¹. "(فرَّق) بين الشيين من باب نصر وفرقائاً أيضاً، وفرَّق الشيء تفريقاً"⁴². وجاء في كتاب لسان العرب لابن منظور (ت: 711هـ): "(فرق) الفرق خلاف الجمع فرَّقه يفرِّقه فرَّق وفرَّقه، وقيل فرَّق للصلاح فرقاً، وفرَّق للفساد تفريقاً"⁴³. وكلمة الفرقان جاءت في سورٍ أخرى ولكنها تحمل دلالات أخرى، قال الله تعالى: {وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [البقرة، 53/2]، ففي هذه الآية جاء معنى الفرقان بالنصر، نصر الله موسى عليه السلام على عدوه. وقال الله تعالى: {وَبَيَّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} [البقرة، 185/2]، ومثلها في قوله تعالى: {مَنْ قَبْلُ هَدَى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ} [آل عمران، 4/3]، ومثلها في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الأنفال، 29/8]، ففي هذه الآيات جاءت كلمة الفرقان بمعنى الخروج من الشبهة والضلالة إلى الصراط المستقيم طريق الله عز وجل. وفي قول الله تعالى: {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّنَاقَى أَجْمَعَيْنِ} وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [الأنفال، 41/8]، ففي معنى هذه الآية ما حدث في معركة بدر وأحد، إذ فرق الله بين الحق من جهة والباطل من جهة أخرى.

والفرقان في الاصطلاح: "(الفرقان) كل كتاب أنزل به فرَّق الله بين الحق والباطل ويجعل الله للمؤمنين فرقائاً أي: حجة ظاهرة على المشركين"⁴⁴. وجاء في كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة (ت: 209

³⁹ شمس الدين محمد الخطيب الشربيني، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني ربنا الحكيم الخبير، (القاهرة: مطبعة بولاق الأميرية، 1285هـ/1868م)، 646/2.

⁴⁰ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة فرق، 493/4.

⁴¹ نشوان بن سعيد الحميري اليمني، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، حققه: حسين بن عبد الله العمري وآخرون (بيروت: دار الفكر المعاصر، 1420 هـ/ 1999 م)، 5163/8.

⁴² الرازي، مختار الصحاح، مادة: فرق، 238.

⁴³ محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل بن منظور، لسان العرب، الحواشي: لليازجي - وجماعة من اللغويين (بيروت: دار صادر، 1414 هـ/1993م)، مادة: فرق، 299/10.

⁴⁴ الفراهيدي، كتاب العين، مادة: فرق، 148/5.

هـ): "وسمي الفرقان لأنه يفرق بين الحق والباطل، والمؤمن والكافر"⁴⁵. "الفرقان) هو العلم التفصيلي الفارق بين الحق والباطل"⁴⁶، أو "هو اسم من أسماء القرآن الكريم وسمي بذلك؛ لأنه فرَّق بين الحق والباطل، والإيمان والكفر، والحلال والحرام، والخير والشر؛ وذلك لغاية كماله في الهداية والإيمان"⁴⁷.

وفضل سورة الفرقان: فضلٌ عظيم؛ لما في هذه السورة من تمجيد لله سبحانه تعالى والثناء عليه وتسبيحه وتحميده، ووصفه بصفات الألوهية، وجاء فضلها وتعظيمها أيضًا؛ لأنها حملت اسمًا من أسماء القرآن الكريم (الفرقان)؛ لتفريقه بين الحق والباطل.

ومقاصد سورة الفرقان: هو تعظيم شأن القرآن الكريم وبيان عظمته، وذكر تشكيك الكفار بنوة محمد ﷺ، والرد على شبهاتهم وتفنيد أباطيلهم وكشفها، قال القرطبي (ت: 671هـ) في الجامع لأحكام القرآن: "ومقصود هذه السورة ذكر موضع عظم القرآن، وذكر مطاعن الكفار في النبوة والرد على مقالاتهم، فمن جملتها قولهم: إن القرآن افتراه محمد، وإنه ليس من عند الله"⁴⁸. وقال ابن عاشور (ت: 1393هـ) في التحرير والتنوير: "وأدمج في ذلك التنويه بالقرآن، وجلال منزله، وما فيه من الهدى، وتعريض بالامتنان على الناس بهديه وإرشاده إلى اتقاء المهالك، والتنويه بشأن النبي ﷺ"⁴⁹.

ما ورد في سورة الفرقان من أحاديث

وردت أحاديث عديدة أشار فيها النبي ﷺ على سورة الفرقان، منها بصيغة مباشرة ومنها بصيغة غير مباشرة:

الحديث الأول: في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري، ومسلم، وابن حنبل، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يُقرئنيها رسول الله ﷺ، فكُذِّت أساوره في الصلاة، فَتَصَبَّرْتُ حتى سَلَّم، فَلَبَّبْتُهُ بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي كنت تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت: كُذِّبْتُ، أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إني سمعتُ هذا يقرأ سورة

⁴⁵ معمر بن المثنى أبو عبيدة، مجاز القرآن، حققه: محمد فواد سزگين (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1381هـ / 1961م)، 18/1.

⁴⁶ الجرجاني، كتاب التعريفات، باب: الفاء، 166.

⁴⁷ نور الدين محمد عتر، علوم القرآن الكريم (دمشق: مطبعة الصباح، 1414 هـ / 1993 م)، 14.

⁴⁸ محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، حققه: أحمد البردوني - إبراهيم أطفيش (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384 هـ / 1964م)، 1/13.

⁴⁹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 314/18.

الفرقان بحروفٍ لم تُقرئَنيها ، فقال/أرسله، اقرأ يا هشام، فقرأ القراءة التي سمعته فقال رسول الله ﷺ كذلك أنزلت، ثم قال رسول الله ﷺ اقرأ يا عمر فقرأت التي أقرأني، فقال: كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فافروا ما تيسر منه»⁵⁰.

الحديث الثاني: في صحيح البخاري من حديث عبد الله رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»، قال: قلت: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يأكل معك»، قال: قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزني بحليلة جارك»، وأنزل الله عز وجل تصديق قول النبي صلى الله عليه وسلم {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} [الفرقان، 68/25]⁵¹.

الحديث الثالث: في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري، ومسلم، وابن حنبل، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: يقبض الله الأرض، ويطوي السموات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟»⁵²، مصداقاً لقوله تعالى: {الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْخَبِيرُ} [الفرقان، 26/25].

الحديث الرابع: في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (أن رجلاً قال: يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة» قال قتادة: بلى وعزة ربنا)⁵³، مصداقاً لقوله تعالى: {الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا} [الفرقان، 34/25].

الحديث الخامس: في صحيح مسلم من حديث أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل،

⁵⁰ البخاري، "كتاب فضائل القرآن"، "باب أنزل القرآن على سبعة أحرف"، 1909/4، (رقم: 4706)؛ ومسلم، "كتاب صلاة المسافرين وقصرها"، "باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف وبيان معناه"، 561/1، (رقم: 818)؛ وابن حنبل، مسند الإمام أحمد، "مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه"، 379/1، (رقم: 277).

⁵¹ البخاري، محمد بن إسماعيل، خلق أفعال العباد، تحقيق وتقديم: عبد الرحمن عميرة (الرياض: دار المعارف السعودية، تاريخ: د.ت)، 100.

⁵² البخاري، "كتاب التفسير"، "باب قوله: {والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه}"، 1812/4، (رقم: 4534)؛ ومسلم، "كتاب صفة القيامة والجنة والنار"، 2148/4، (رقم: 2787)؛ وابن حنبل، مسند الإمام أحمد، "مسند أبي هريرة رضي الله عنه"، 452/14، (رقم: 8863).

⁵³ البخاري، "كتاب التفسير"، "باب قوله: {الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكاناً وأضل سبيلاً}"، 1784/4، (رقم: 4482)؛ ومسلم، "كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب يحشر الكافر على وجهه"، 2161/4، (رقم: 2806).

حتى تطلع الشمس من مغربها»⁵⁴، مصداقاً لقوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خُلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا} [الفرقان، 62/25].

الحديث السادس: في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون، وأتوها تمشون، عليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا»⁵⁵، مصداقاً لقوله تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} [الفرقان، 63/25].

الحديث السابع: في الصحيحين من حديث عبد الله رضي الله عنه: قال رجل: (يا رسول الله أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: «أن تدعوا لله ندًا وهو خالقك»). قال: ثم أي؟ قال: «ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم منك». قال: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلك جارك»، فأنزل الله تصديقها {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا} [الفرقان، 68/25] «⁵⁶.

الحديث الثامن: في الصحيحين من حديث أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثًا، قالوا: بلى يا رسول الله: (الإشراك بالله، وعقوق الوالدين – وجلس وكان متكئًا، فقال: ألا وقول الزور). قال: فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت»⁵⁷، مصداقاً لقوله تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} [الفرقان، 72/25].

الحديث التاسع: في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»⁵⁸، مصداقاً لقوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا} [الفرقان، 74/25].

⁵⁴ مسلم، "كتاب التوبة"، "باب قبول التوبة من الذنوب، وإن تكررت الذنوب والتوبة"، 2113/4، (رقم: 2759).
⁵⁵ البخاري، "كتاب الجمعة"، "باب المشي إلى الجمعة"، 308/1، (رقم: 866)؛ ومسلم، "كتاب: المساد ومواضع الصلاة"، "باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة والنهي عن إتيانها سعيًا"، 420/1، (رقم: 602).
⁵⁶ البخاري، "كتاب: التوحيد"، "باب قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ}"، 2739/6، (رقم: 7094)؛ ومسلم، "كتاب الإيمان"، "باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده"، 90/1، (رقم: 86).
⁵⁷ البخاري، "كتاب: الشهادات"، "باب ما قيل في شهادة الزور"، 939/2، رقم: (2511)؛ ومسلم، "كتاب: الإيمان"، "باب بيان الكبائر وأكبرها"، 91/1، (رقم: 87).

⁵⁸ مسلم، "كتاب: الوصية"، "باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته"، 1255/3، (رقم: 1631).

هذا ما ورد في سورة الفرقان من أحاديث، حيث إنها ركزت على وحدانية الله سبحانه وتعالى، ونبذت الشرك وأهله، كما أنها حثت على الإيمان برسالة النبي ﷺ، وأيضاً وصف المؤمنين بصفات عظيمة من التواضع وقيام الليل والصبر في الشدة والابتعاد عن الفواحش، وبيّنت حال الكفار ومصيرهم بتكذيبهم للنبي ﷺ، والتحذير من الكفر ورفض الهداية.

المبحث الثاني: عصور المنهج البياني وأساسه وضوابطه في تفسير النص القرآني

المطلب الأول: عصور المنهج البياني

فسر النبي ﷺ القرآن الكريم للصحابة على قدر الحاجة مما كان يشكل عليهم فهمه من القرآن الكريم، ومن بعده كان للصحابة جهدهم في تفسير القرآن الكريم، وكان التفسير وقتها مقصوراً عن طريق الرواية، إذ كانوا يروون عن رسول الله ﷺ، فتتلذذ على أيديهم جمعٌ من التابعين فنقلوه لمن بعدهم بما كان عندهم من تفسير رسول الله ﷺ أو مما اجتهدوا في تفسيره، وكان التفسير في هذه المرحلة يقوم على المشافهة والرواية فحسب، وبدأ المنهج البياني بلمحات موجزة في عهد الصحابة رضي الله عنهم، ثم تطور تدريجياً حتى أصبح منهجاً علمياً متكاملًا في العصر الحديث، معتمداً على علوم اللغة والنحو والبلاغة في كشف جماليات التعبير القرآني، ويُعد اليوم من المجالات الغنية بالبحث ضمن الدراسات القرآنية واللغوية المعاصرة.

المقصد الأول: المنهج البياني النبوي

لم تكن هذه المصطلحات والمفاهيم البلاغية المعروفة اليوم مدونة أو مستخدمة، مثل: الاستعارة أو الكناية أو المجاز، إذ إن تلك المصطلحات ظهرت لاحقاً مع تطور العلوم البلاغية والنقدية، أما النبي ﷺ فقد كان بيانه للقرآن الكريم قائماً على البلاغة الفطرية والذوق العربي السليم، دون حاجة إلى تعقيد أو تنظير بلاغي، وهذا المنهج اعتمده النبي ﷺ حيث إنه بيّن لأصحابه معاني القرآن، كما بيّن لهم ألفاظه، اعتماداً على الفطرة البلاغية وملاءمة المقام وبيان المعنى بحسب السياق، دون استخدام مصطلحات بلاغية مصطنعة، فإنَّ اللَّيْنَةَ الأولى في المنهج البياني كانت في عصر النبي ﷺ، يشكل بيان النبي ﷺ للقرآن الكريم من أبرز عناصر، وأحد أهم جوانب المصدر الثاني في تفسير القرآن، ويأتي ذلك بعد تفسير القرآن بالقرآن، فالنبي ﷺ أول من بيّن وفسر القرآن الكريم ووضحه امتثالاً لقول الله تعالى: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[النحل، 44/16]، والسنة شارحة للقرآن، ومبينة له، جاء ذلك في قول الله تعالى: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}[النجم، 3/53-4]، نقل الفراء (ت: 458هـ)، في

العدة في أصول الفقه: عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: "السنة تفسر القرآن وتبينه"⁵⁹، ووجدنا ذلك بشهادة أحد المشركين وهو الوليد بن مغيرة، على بيان القرآن الكريم وبلاغته، فقد روى الحاكم (ت: 405هـ) في مستدركه عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّ الوليد بن مغيرة جاء إلى النبي ﷺ، فقرأ عليه القرآن، فكأنَّه رَقَّ له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عُمُّ إِنَّ قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً، قال: لِمَ؟ قال: لِيُعْطُوْكَ، فإنك أتيت محمداً لَتُعْرَضَ لِمَا قَبْلَهُ قال: قد علمت قريش إني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك إنك منكِرٌ له أو أنك كاره له، قال: وماذا أقول فوالله ما فيكم رجلاً أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزٍ ولا بقصيدةٍ مني ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إنَّ لقوله الذي يقول حلاوة، وإنَّ عليه لَطَلاوةً، وإنَّه لَمُثَمِّرٌ أعلاه مُغْدِقٌ أسفله، وإنَّ لِيَعْلُو وما يُعْلَى، وإنَّه لِيَحِطُّ ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر، فلما فَكَّرَ قال: هذا سِحْرٌ يُؤَثِّرُ يَأْتُرُهُ من غيره، فنزلت {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا} [المدثر، 11/74]"⁶⁰.

ومن الأمثلة على ذلك كثيرة، وبالرغم من أن القرآن معجزٌ في لفظه وبلاغته، وجدنا توضيحات بيانية للنبي ﷺ في تفسيره للآيات القرآنية، مما زادنا وضوحاً وانبهاراً في هذه البلاغة والفصاحة ومن أمثلتها:

بيانه ﷺ لخروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى التوبيخ في قول الله تعالى: {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (58) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (59)}، [الواقعة، 58/56-59]، {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (63) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (64)} [الواقعة، 63/56-64]، "فوبخهم القرآن بقوله: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ} [الواقعة، 82/56]"⁶¹.

بيان النبي ﷺ بعض المفردات القرآنية التي فهمها الصحابة رضي الله عنهم على ظاهرها، فأوضح لهم النبي ﷺ المعنى المقصود بها، مما يبرز دقة البيان النبوي وأثره في توجيه الفهم الصحيح للنص القرآني، مثلاً في قول الله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأنعام، 82/6] فبينه النبي ﷺ بالشرك، تقدّم الإيمان على الظلم ليفيد **الحصر والقصر**، أي: الذين جمعوا بين

⁵⁹ محمد بن الحسين الفراء البغدادي، **العدة في أصول الفقه**، حققه: أحمد بن علي بن سير المباركي (الناشر: د.ن. 1410هـ/1990م)، 3/141.

⁶⁰ محمد بن عبد الله الحاكم، **المستدرک علی الصحیحین**، دراسة وحققه: مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، 1411هـ/1990م)، "باب تفسير سورة المدثر"، 550/2، (رقم: 3872)، قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجه.

⁶¹ محمد رجب البيومي، **خطوات التفسير البياني**، تقديم: محمد عبد الرحمن ببيصار، (مصر: مجلة البحوث الإسلامية، 1391 هـ/1971م)، الكتاب: 13/42.

الإيمان الخالص ونفي الشرك عنهم هم الآمنون، وهذا من مطابقة الكلام لمقتضى المقام في الحصر ففي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري، ومسلم، وابن حنبل، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين، فقالوا يا رسول الله أين لا يظلم نفسه؟ قال: « ليس ذلك إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: {يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان، 13/31] »⁶².

بيانه ﷺ في توضيح المجلد وبيان المبهم: كان النبي ﷺ يُوضح ما كان مجملًا في القرآن الكريم، ومن أبرز الأمثلة على ذلك بيانه للصلوات الخمس والزكاة والحج، إذ وردت في القرآن باجمال، فقام النبي ﷺ ببيان تفاصيلها قولًا وفعلًا، مثلًا في قول الله تعالى: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} [البقرة، 238/1] هي صلاة العصر، كما في صحيح البخاري من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يوم الخندق: "حبسونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس ملاً الله قبورهم وبيوتهم، أو أجوافهم - شك يحيى - ناراً"⁶³.

بيانه ﷺ في تقييد المطلق وتخصيص العام: في بعض المواضع وردت الأحكام في القرآن بصيغة مطلقة أو عامة، فقام النبي ﷺ بتقييدها أو تخصيصها مثلًا في قول الله تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [المائدة، 38/5]، فقد جاء الحكم مطلقًا، فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن القطع لا يكون إلا في سرقة ربع دينار فأكثر، كما في الصحيحين من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، قال النبي ﷺ: "تقطع اليد في ربع دينار فصاعدًا"⁶⁴.

تصويره ﷺ للقلب الميت والقلب الحي كما في صحيح البخاري، من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت"⁶⁵، تصوير بياني يُبرز الفرق بين القلب الحي بذكر الله عز وجل، والقلب الميت بالغفلة.

الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي: بيانه ﷺ لبعض آيات القرآن الكريم والانتقال معنى العام إلى معنى مجازي، يوضح لأصحابه ما أشكل عليهم في فهم النص القرآني، مثلًا: في قول الله تعالى: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ} [البقرة، 187/2]، فبهذه الآية

⁶² البخاري، "كتاب الأنبياء"، "باب قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ}"، 1262/3، (رقم: 3246)؛ ومسلم، "كتاب الإيمان"، "باب صدق الإيمان وإخلاصه"، وفيه بلفظ (ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه)، 114/1، (رقم: 124)؛ وابن حنبل، مسند الإمام أحمد، "مسند عبدالله بن مسعود"، 275/7، (رقم: 4240).

⁶³ البخاري، "كتاب التفسير"، "باب: (حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى)"، 1648/4، (رقم: 4259).

⁶⁴ البخاري، "كتاب الحدود"، "باب: قول الله تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا}"، 2492/6، (رقم: 6407)؛ ومسلم، "كتاب الحدود"، "باب، حد السارق ونصابها"، 1312/3، (رقم: 1684).

⁶⁵ البخاري، "كتاب الدعوات"، "باب ذكر الله عز وجل"، 2353/5، (رقم: 6044).

رأينا النبي ﷺ ينتقل من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي في تفسيره للخيطين، وتوضيح المشكل للسائل من الصحابة وهو عدي بن حاتم، فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: «لما نزلت {حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ} عمدت إلى عقالٍ أسود وإلى عقالٍ أبيض، فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي، فغدوت على رسول الله ﷺ، فذكرت له ذلك، فقال: «إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار»⁶⁶.

بيانه ﷺ لعدد من الألفاظ القرآنية التي أشكلت على بعض الصحابة رضي الله عنهم، فبينها لهم مع ما يتناسب مع السياق القرآني، مما يعكس دقة الفهم النبوي للنص، وحرصه على ترسيخ المعنى الصحيح في ضوء السياق العام للآية، مثلاً في قول الله تعالى: {لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا}[البقرة، 273/2] فبينها النبي ﷺ بالتعفف، ففي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري، ومسلم، وابن حنبل، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان، ولا اللقمة ولا اللقمتان، إنما المسكين الذي يتعفف، واقرؤوا إن شئتم يعني قوله: {لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا}[البقرة، 273 / 2]»⁶⁷.

المقصد الثاني: المنهج البياني في عصر الصحابة رضي الله عنهم

المقصود منه هو تعامل الصحابة مع النص القرآني بياناً وفهماً، ويُعتبر بيان الصحابة للقرآن الكريم هو أحد أنواع التفسير بالمأثور، فالصحابه الكرام رضي الله عنهم ساروا على نهج النبي ﷺ في بيان القرآن الكريم، وشهدوا التنزيل، وعرفوا أحواله، وأخذوا القرآن من في النبي ﷺ بغير واسطة؛ ولهذا فإنهم أعلم الناس بألفاظ القرآن ومعانيه؛ ولأنه نزل بلغتهم فكان معنى القرآن واضحاً لديهم يفهمونه إذا تلي عليهم، وكانوا يسألون النبي ﷺ فيما أشكل عليهم، فكان النبي ﷺ يبين لهم ويوضح ما أشكل عليهم ويبين مشكله ويفصل مجمله، وبعد وفاة النبي ﷺ إن أشكل على أحدهم شيئاً سأل غيره من الصحابة إن كان سمع بيان وتفسير هذه الآية من النبي ﷺ، فإن لم يجدوا علماً في ذلك اجتهدوا فيها بحسب لغة العرب وفهمهم للقرآن الكريم؛ ولأن كان لهم السبق ومشاهدة التنزيل ووجودهم وقت نزول الآيات على النبي ﷺ فهم أعلم الناس بمقاصد الآيات ومعانيها، وانعكس في شروحهم العديد من اللمحات البيانية التي تُظهر فطرتهم السليمة وسليقتهم اللغوية الراسخة.

⁶⁶ البخاري، "كتاب الصوم"، "باب قول الله تعالى: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ}"، (رقم: 677/2)، (1817).

⁶⁷ البخاري، "كتاب التفسير"، "باب {لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا}"، (رقم: 1651/4)، (4265)؛ ومسلم، "كتاب الزكاة"، "باب المسكين الذي لا يجد غنى ولا يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقُ عليه"، (رقم: 719/2)، (1039)؛ وابن حنبل مسند الإمام أحمد، "مسند أبي هريرة"، (رقم: 71/15)، (9140).

وعلى الرغم من عدم استخدامهم للمصطلحات البلاغية المصنفة كما تطورت لاحقاً، إلا أن تفسيراتهم حملت في طياتها مضامين بيانية دقيقة، تستحق التتبع والبيان في ضوء مناهج الدراسات القرآنية الحديثة، ولما في بيان القرآن منزلة عظيمة، فإذا لم نجد بيان الألفاظ والمعاني في كلام الله تعالى ولا في سنة نبيه ﷺ نرجع إلى أقوالهم، واستنباطاتهم، واجتهادهم؛ وذلك لما ورد في الآيات والأحاديث التي تنص على كمالهم وعدالتهم. قال الله تعالى: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة، 100/9]، {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ قُلُوبُهُمْ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر، 9/59]، ومن السنة كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري، ومسلم، وابن حنبل، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: « لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»⁶⁸، وكما جاء في صحيح البخاري من حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: « خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»⁶⁹.

وكانوا رضي الله عنهم حريصين أشد الحرص على بيان كتاب الله تعالى والتحري عن معاني المفردات، وفهم مراد الله تعالى في كتابه، روى سعيد بن منصور (ت: 227هـ) في سننه، عن أبي مليكة رضي الله عنه قال: سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن آية في كتاب الله - عز وجل - ، قال: «أية أرض تَقْلُنِي، أو آية سماء تُظِلُّنِي، أو أين أذهبُ، وكيف أصنعُ إذا أنا قلت في آية من كتاب الله بغير ما أراد الله بها»⁷⁰، والأحاديث في ذلك كثيرة.

⁶⁸ البخاري، "كتاب فضائل الصحابة"، "باب قول النبي ﷺ (لو كنت متخذاً خليلاً)"، 1343/3، (رقم: 3470)؛ ومسلم، فيه زيادة (فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم....)، "كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم"، "باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم"، 1967/4، (رقم: 2540)؛ وابن حنبل، مسند الإمام أحمد، "مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه"، 137/17، (رقم: 11079).

⁶⁹ البخاري، "كتاب فضائل الصحابة"، "باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم"، 1335/3، (رقم: 3450).

⁷⁰ سعيد بن منصور، سنن سعيد بن منصور، دراسة وتحقيق: سعد بن عبد الله آل حميد (السعودية: دار الصميعي للنشر والتوزيع، 1417هـ/1997م)، باب فضائل القرآن، 168/1، (رقم: 39). قال سعيد بن منصور: سنده ضعيف لإرساله، وهو صحيح لمرسله، وله متابعات يرتقي إلى درجة الحسن لغيره فإنه روي عن أبي بكر رضي الله عنه من أربعة طرق. وقال أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، في فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، رقم الحديث كتيبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة: المكتبة السلفية)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من السؤال، 271/13، هذا حديث منقطع بين النخعي والصديق رضي الله عنه.

وجاء في كتاب مناقب الإمام الشافعي للبيهقي (ت: 458هـ) قال: "قرأت في كتاب الرسالة القديمة، رواية الحسن بن محمد الزعفراني، عن الشافعي رحمه الله قال: "وقد أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله ﷺ، في القرآن والتوراة والإنجيل، وسبق لهم على لسان رسول الله ﷺ، من الفضل ما ليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله وهنأهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين، هم أدوا إلينا سنن رسول الله ﷺ وشاهدوه والوحي ينزل إليه، فعلموا ما أراد رسول الله ﷺ عامًا وخاصًا، وعزمًا وإرشادًا، وعرفوا من سننه ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد، وورع وعقل، وأمر استدرك به علم واستنبت به، وآراؤهم لنا أحمَد، وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا، والله أعلم"⁷¹، روى ابن ماجة ت: (273هـ) في سننه من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه يقول: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فوعظنا موعظةً بليغةً، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقليل: يا رسول الله وعظتنا موعظة مودع، فاعهد إلينا بعهد، فقال: «عليكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبدًا حبشيًا، وسترون من بعدي اختلافًا شديدًا، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليه بالنواجذ، وإياكم والأمور المحدثات، فإن كل بدعة ضلالة»⁷².

"وأما قول الصحابي فإنه حجة، قيل: إنما يكون حجة إذا انفرد ولم يعارضه غيره، وأما إذا خالفه غيره فليس بحجة"⁷³، وقال الإمام النووي (ت: 676هـ) في شرح صحيح مسلم: "ومثل هذا اللفظ (قول الصحابي) أمرنا بكذا ونهينا عن كذا، أو أمر الناس بكذا ونحوه فكله مرفوع سواء قال الصحابي ذلك في حياة رسول الله ﷺ أم بعد وفاته، والله أعلم"⁷⁴، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: 728هـ) في مجموع الفتاوى: "ومن قال من العلماء (إن قول الصحابي حجة) فإنما قاله إذا لم يخالفه غيره من الصحابة، ولا عُرف نص يخالفه ثم إذا اشتهر ولم ينكروه، كان إقرارًا على القول، فقد يقال: (هذا إجماع إقرار) إذا

⁷¹ أحمد بن الحسين البيهقي، مناقب الإمام الشافعي، حققه: السيد أحمد صقر (القاهرة: مكتبة دار التراث، 1390هـ/1970م)، باب ما يؤثر عنه في جملة الصحابة رضي الله عنهم، 442/1.

⁷² محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، سنن ابن ماجة، حققه: محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي، 1371هـ/1952م)، 15/1، (رقم: 42). قال الألباني: إسناده صحيح، محمد ناصر الدين الألباني (ت: 1419هـ)، في سلسلة الأحاديث الصحيحة (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1415هـ/1995م)، 610/2، (رقم: 937).

⁷³ أبو يعلى، العدة في أصول الفقه، 1210/4.

⁷⁴ محي الدين يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1392هـ/1973م)، 78/4.

عرف أنهم أقروه ولم ينكره أحدٌ منهم، وهم لا يقرون على باطل، وأما إذا لم يشتهر فهذا إن عُرفَ أنَّ غيره لم يخالفه فقد يقال: (هو حجة)⁷⁵. وكانت لهم في بيان القرآن الكريم لمسات بيانية ومن أمثلتها:

حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان ابن عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، قال: وما رأيته دعاني يومئذٍ إلا ليرهم مني، فقال: ما تقولون في {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا} [النصر، 1/110 - 2]، حتى ختم السورة، قال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئاً، فقال لي: يا ابن عباس، أذكلك قولك؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ، أعلمه الله له، {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} فتح مكة، فذاك علامة أجلك، {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}. قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم»⁷⁶.

حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في قوله عز وجل: {وَإِذَا النُّفُوسُ رُؤِّجَتْ} [التكوير، 7/81]، قال: «هما الرجلان يعملان العمل يدخلان به الجنة والنار الفاجر مع الفاجر، والصالح مع الصالح»⁷⁷، ففي هذا الأسلوب نجد تقابلاً معنوياً بين (الفاجر، والصالح)، وهذا من أسلوب الطباق، وهو: الجمع بين كلمتين متضادتين، قال السبكي (ت: 773 هـ) في عروس الأفراح: "الطباق والتضاد أيضاً، وهي الجمع بين متضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة"⁷⁸.

حديث سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنَّ رجلاً سأله عن هذه الآية: {وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [الأنعام، 23/6]، وقال في آية أخرى: {وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا} [النساء، 42/4]، فقال ابن عباس رضي الله عنه: «أما قوله: {وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [الأنعام، 23/6]، فإنهم لما رأوا يوم القيامة أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الإسلام، قالوا: تعالوا فلنجدد، فحتم الله على أفواههم، فتكلمت أيديهم وأرجلهم، {وَلَا

⁷⁵ شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، **مجموع الفتاوى**، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1425 هـ/2004 م)، 1/283.

⁷⁶ البخاري، "كتاب المغازي"، "باب منزل النبي ﷺ يوم الفتح"، 1563/4، (رقم: 4043)؛ وابن حنبل، **مسند الإمام أحمد**، "مسند عبدالله بن عباس بن عبد الطلب عن النبي ص" إلى الله عليه وسلم، 231/5، (رقم: 3127).

⁷⁷ الحاكم، **المستدرک علی الصحیحین**، باب تفسير (إذا الشمس كورت)، 560/2، (رقم: 3902). قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

⁷⁸ أحمد بن علي بن عبد الكافي أبو حامد بهاء الدين السبكي، **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، تحقيق: عبد الحميد هندواوي، (بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1423 هـ / 2003 م)، 225/2.

يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا» [النساء، 42/4] ⁷⁹، في كلام ابن عباس، نلاحظ مجاز عقلي، في تحويل الأيدي والأرجل إلى شاهد متكلم، والغرض منه بيان انكشافهم أمام عدل الله تعالى، وانتهاء زمن الكذب.

ذكر البيهقي (ت: 458هـ) في الأسماء والصفات: كما في حديث علي بن أبي طلحة رضي الله عنه، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ} [القلم، 42/68]، قال: «هو الأمر الشديد المفطع من الهول يوم القيامة» ⁸⁰، فبهذه الألفاظ استخدم ابن عباس رضي الله عنه أسلوب الإطناب، (الأمر الشديد، المفطع من الهول)، فجاء بالتعبير العام (الأمر الشديد)، ثم جاء بعده (المفطع من الهول) فيه توضيح وتكثيف لمعنى الشدة.

ذكر الطبري (ت: 310هـ) في جامع البيان: "قال أنس بن مالك قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: {عَبَسَ وَتَوَلَّى} [عبس، 1/80] فلما أتى على هذه الآية {وَفَاكَّهُهٗ وَأَبَّأ} [عبس، 31/80] قال قد عرفنا الفاكهة فما الأب؟ قال لعمر ك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف" ⁸¹، وهو ما يشير إلى تقديره للمعنى العام، دون اللجوء إلى استقصاء لا يضيف إلى المقصود شيئاً.

قال الطبري في جامع البيان، والطبراني (ت: 360هـ) في المعجم الكبير: في تفسير قول الله تعالى: {وَكَايَيْنَ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ} [آل عمران، 146/3]، "قال ابن مسعود رضي الله عنه: «الربيون: الألف»" ⁸²، ففي كلام ابن عباس نراه استخدم الإيجاز بالتفسير اللفظي، وهذا الأسلوب يعتمد على الإيجاز والإشارة، حيث اكتفى بكلمة واحدة تختزل المعنى المقصود، (فالربيون) فسرهما بكلمة (ألف) وهو تفسير يكتف المعنى ويوجز البيان، في مقابل شرح مطول.

في قول الله تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [البقرة، 255/2]، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئاً، فإذا فزع عن قلوبهم وسكن الصوت، عرفوا أنه الحق

⁷⁹ الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، باب تفسیر سورة النساء، 336/2، (رقم: 3198). قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

⁸⁰ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الأسماء والصفات، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: مقبل بن هادي الوادعي (السعودية: مكتبة السوادى، 1413هـ/1993)، باب ما ذكر في الساق، 184/2، (رقم: 747). قال الحاكم في مستدرکه هذا حديث صحيح الإسناد، 542/2.

⁸¹ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، خرج أحاديثه وعلق عليها: إسلام منصور عبد الحميد، خرج شواهد الشعرية: أحمد عاشور إبراهيم- أحمد رمضان محمد (القاهرة: دار الحديث، 1431هـ/2010م)، 389/11، (رقم: 36466)، قال المحقق: حديث صحيح، رجاله كله ثقات وسنده متصل.

⁸² الطبري، جامع البيان، 463/3، (رقم: 7958)؛ وسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، حققه: حمدي عبد المجيد السلفي (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، تاريخ النشر: د.ت)، 225/9، (رقم: 9096).

ونادوا: {مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ}⁸³، في كلام ابن عباس طباق ضمني بين (فرع، سكن)، فاجتماع الفرع والسكون في سياق واحد فيه مقابلة ضمنية تعزز التوتر ثم الطمأنينة.

وربما يقول قائل بان الصحابة الكرام وعلى رأسهم ابن عباس رضي الله عنه لم يكن له في تفسير القرآن الكريم اتجاه بياني، أو لغوي، قال الدكتور محمد رجب البيومي (ت: 1432هـ) في كتابه خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم: "فقد رأينا بعض الكاتبيين في اتجاهات التفسير القرآني يجعلون تفسير ابن عباس رضي الله عنه كله من باب التفسير بالمأثور، وهو ما نقل عن رسول الله ﷺ، وكبار صحابته رضي الله عنهم، ولكننا عند الوقوف لدى أقوال الرجل، نراه يعتمد على الشعر العربي في إيضاح المعنى اللغوي، ويفسر الكلمات موضحاً أصلاتها العربية، انتمائها إلى لغة قوم آخرين، وأكثر ذلك مما يتكئ فيه على نفسه، فاعتبار تفسيره من المأثور الخالص أمر يعوزه الدليل"⁸⁴، وقال ابن عاشور في التفسير ورجاله: "فكان ابن عباس يضيف إليهما عنصراً لغوياً في فهم معنى المفرد، أو فهم سر التركيب، ويتخذ مادة لذلك من الشعر الجاهلي، فكان كثيراً ما يقول عندما يُسأل عن معنى من تراكيب القرآن فيقرره، أما سمعتم الشاعر يقول كذا وينشد البيت، كما أثبت ذلك ابن سعد في الطبقات، ونقل عنه الطبري أنه قال: إذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر، فإن الشعر عربي، وكثيراً ما كان يفسر الكلمات ببيان أنها معربة عن لغة أخرى، ويرجع بها إلى اللغة التي عربت عنها، فيبين معناها فيها، وقد وردت أقوال كثيرة عنه في ذلك في صحيح البخاري، وعنصر آخر أضافه ابن عباس على ما نقل عنه في المصادر المعتمدة، إلى تفسير القرآن، هو عنصر الأخبار التي لم تجيء في حديث النبي ﷺ، مما يرجع إلى مبهمات القرآن، وذلك ما كان يرجع فيه إلى مصادر المعرفة المتوفرة لديهم يومئذ من التاريخ العام وأخبار الأمم، لا سيما الأمتين الكتابيتين: اليهود والنصارى، ومن الظاهر أن هذين العنصرين وإن وجدا في كلام ابن عباس لا يصح اعتبارهما من التفسير بالمأثور، لأن مرجعهما إلى الفهم وإلى المعرفة العامة"⁸⁵.

⁸³ البخاري، "كتاب التوحيد"، "باب قول الله تعالى: وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ" [سبأ: 23]، 2719/6.

⁸⁴ بيومي، خطوات التفسير البياني، الكتاب 42/ 26.

⁸⁵ محمد الفاضل بن عاشور، التفسير ورجاله، تقديم محمد عبد الرحمن بيسار، (مصر: مجلة البحوث الإسلامية، 1390هـ/1970م)، الكتاب 17/13.

المقصد الثالث: المنهج البياني في عصر التابعين

يندرج المنهج البياني لدى التابعين ضمن مصادر تفسير القرآن الكريم، من حيث اعتمادهم على اللغة والسياق في بيان معنى النص القرآني؛ فهو يمثل أسلوباً في التفسير اعتمد فيه التابعون على أدوات اللغة وبلاغة النص القرآني؛ ولأنهم أخذوا من الصحابة رضي الله عنهم، ونقلوا عنهم، وفضلهم ثبت في القرآن الكريم، وفي حديث النبي ﷺ، كيف لا؟ وهم من عاصر صحابة الرسول ﷺ، واتبعواهم بإحسان فكانوا خير خلف لخير سلف، قال الله تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة، 100/9]، وقال الله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر، 10/59].

روى البخاري في صحيحه من حديث النبي ﷺ، فعن عمران بن الحصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»⁸⁶، وفي صحيح مسلم من حديث عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي القرن الذين يلوني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه»⁸⁷، واتفق العلماء بأن خير القرون قرنه ﷺ من الصحابة رضي الله عنهم، والذين يلونهم هم التابعون، والثالث تابعوهم، وسُموا بالتابعين لاتباعهم الصحابة بإحسان قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ}، فَمَنْ شَهِدَ لَهُ بِالْإِحْسَانِ يُحْتَجَّ بِرَوَايَتِهِ وَتَفْسِيرِهِ، وهو إمامٌ من أئمة الدين، وهو كذلك ما لم يخالف نصاً، وما لم يخالف قول صحابي، وما لم يخالفه من أقرانه من التابعين، وما لم تظهر في روايته علة، وقد فسروا القرآن الكريم باجتهادهم، وروى الحاكم في مستدركه من حديث عبدالله بن بسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طوبى لمن رآني وطوبى لمن رأى من رآني ولمن رأى من رأى من رآني وآمن بي»⁸⁸، واختلف العلماء في تفسير التابعي فقالت طائفة: إنه من التفسير بالمأثور؛ لأنه أخذ من الصحابة على الأغلب، وقالت طائفة أخرى: إنه من التفسير بالرأي، والرأي الراجح الذي يفهم من هذه النصوص في هذه المسألة قول الماتريدي: "والخلاصة في هذا الخلاف: أنه إن ثبت عن التابعين فيه -

⁸⁶ البخاري، "كتاب فضائل الصحابة"، "باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم"، 1335/3، (رقم: 3450).

⁸⁷ مسلم، "كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم"، "باب فضل الصحابة"، 1962/4، (رقم: 2533).

⁸⁸ الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، باب فضائل الأمة بعد الصحابة والتابعين، 96/4، (رقم: 6994)، وقال عنه هذا حديث روي بأسانيد قريبة عن أنس بن مالك رضي الله عنه مما علونا في أسانيد منها وأقرب هذه الروايات إلى الصحة ما ذكرناه انتهى. قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: إسناده حسن، 253/3، (رقم: 1254) رجاله معروفون غير اليحصبى هذا فقد ترجمه ابن أبي حاتم (316/2/3) برواية جماعة عنه، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، والظاهر أنه وثقه ابن حبان، والله أعلم.

أي التفسير - شيء: فإن أجمعوا عليه أخذوا به؛ لأجل الإجماع، فإن لم يكن إجماع ينظر فإن توفر في قول أحدهم شرطان: أحدهما أن يكون له حكم المرفوع المرسل، بأن كان فيما ليس للرأي مجال، ولم يكن قائله كذلك معروفاً بالأخذ عن الإسرائيليات، وثانيهما أن يكون إماماً من أئمة التفسير الأخذين لتفسيرهم عن الصحابة، كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير، أو يتأيد قوله بمرسل آخر مثلهم أو نحو ذلك، فإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، ولا عند الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين⁸⁹. واشتهر في عهد التابعين ثلاث مدارس للتفسير، وتتلذذوا على يد أشهر الصحابة في هذه المدارس وهي:

- 1- مدرسة مكة: وكان معلمها ترجمان القرآن، وحبر الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنه، وكان تلاميذه من التابعين أعلم هذه الأمة؛ لصحبته لهم، منهم:
 أولاً: ذكر ابن حجر العسقلاني (ت: 852هـ) في تقريب التهذيب: "سعيد بن جبير الأسدي، مولاهم الكوفي ثقة ثبت فقيه من الطبقة الثالثة، وروايته عن عائشة وأبي موسى ونحوهما مرسله، قتل بين يدي الحجاج (دون المائة) سنة خمس وتسعين، ولم يكمل الخمسين"⁹⁰.
 ثانياً: طاووس بن كيسان اليماني أبو عبدالرحمن الحميري مولاهم الفارسي، يقال: اسمه ذكوان وطاووس لقب، ثقة فقيه فاضل، من الطبقة الثالثة، مات سنة ست ومائة وقيل بعد ذلك⁹¹.
 ثالثاً: عطاء بن أبي رباح، بفتح الراء الموحدة، واسم أبي رباح: أسلم القرشي، مولاهم المكي، ثقة فقيه فاضل، ولكنه كثير الإرسال، من الطبقة الثالثة⁹²، ذكر ابن سعد (ت: 845هـ) في الطبقات الكبرى: قال سفيان بن عيينة، والفضل بن دكين، ومحمد بن عمر، مات عطاء بمكة سنة خمس وعشرة ومائة⁹³.
 رابعاً: عكرمة مولى ابن عباس، أبو عبدالله مولى ابن عباس، أصله بربري، ثقة ثبت عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، ولا تثبت عنه بدعة، من الطبقة الثالثة، مات سنة أربع ومائة، وقيل بعد ذلك⁹⁴.

⁸⁹ محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي، تأويلات أهل السنة، حققه: مجدي باسلوم (بيروت: دار الكتب العلمية، 1426هـ/2005م)، 262/1.

⁹⁰ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، حققه: محمد عوامة (سوريا: دار الرشيد، 1406هـ/1986م)، 234، (رقم: 2278).

⁹¹ المصدر السابق، 281، (رقم: 3009).

⁹² المصدر السابق، 391، (رقم: 4591).

⁹³ محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري، الطبقات الكبرى، حققه: محمد عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، 1410هـ/1990م)، 22/6، (رقم: 1542).

⁹⁴ العسقلاني، تقريب التهذيب، 397، (رقم: 4673).

خامساً: مجاهد بن جبر، بفتح الجيم، وسكون الموحدة، أبو الحجاج المخزومي مولا هم المكي، ثقة إمام في التفسير، وفي العلم، من الطبقة الثالثة، مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة، وله ثلاث وثمانون⁹⁵.

2- مدرسة المدينة: وكان معلمها أبي بن كعب رضي الله عنه، واشتهر في هذه المدرسة من التابعين:

أولاً: سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمر بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار من كبار الثانية، اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل، وقال ابن المدني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه، مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين⁹⁶.

ثانياً: زيد بن أسلم العدوي مولى عمر أبو عبدالله وأبو أسامة المدني، ثقة عالم وكان يريل، من الطبقة الثالثة، مات سنة ست وثلاثين⁹⁷.

ثالثاً: أبو العالية رفيع بالتصغير ابن مهران أبو العالية الرياحي بكسر الحاء والتحتانية، ثقة كثير الإرسال من الثانية، مات سنة تسعين أو ثلاث وتسعين وقيل بعد ذلك⁹⁸.

رابعاً: محمد بن كعب القرظي، محمد بن كعب بن حبان بن سليم، أبو حمزة، ثقة عالماً كثير الحديث ورعاً، مات سنة ثمان ومائة⁹⁹.

3- مدرسة العراق: وكان معلمها عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، واشتهر في هذه المدرسة من التابعين:

أولاً: قتادة بن دعامة السدوسي أبو الخطاب، كان ثقة مأموناً حجة في الحديث، توفي سنة ثمان عشرة ومائة¹⁰⁰.

ثانياً: علقمة بن قيس بن عبدالله بن مالك بن علقمة بن سلامان بن كهل بن بكر بن عوف بن النخع من مذحج، يكنى بأبي شبل، روى عن عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبدالله

⁹⁵ العسقلاني، تقريب التهذيب، 520، (رقم: 6481).

⁹⁶ المصدر السابق، 241، (رقم: 2389).

⁹⁷ العسقلاني، تقريب التهذيب، 222، (رقم: 2117).

⁹⁸ المصدر السابق، 210، (رقم: 1953).

⁹⁹ ابن سعد، الطبقات الكبرى، 340/5، (رقم: 1035).

¹⁰⁰ المصدر السابق، 171/7، (رقم: 3139).

بن مسعود، وحذيفة، وسلمان، وأبي مسعود، وأبي الدرداء، كان ثقة كثير الحديث، مات بالكوفة، سنة اثنتين وستين¹⁰¹.

ثالثاً: عامر الشعبي، عامر بن شراحيل الشعبي بفتح المعجمة أبو عمر ثقة مشهور فقيه فاضل من الطبقة الثالثة، قال مكحول: ما رأيت أفقه منه، مات بعد المائة وله نحو من ثمانين¹⁰².

رابعاً: الأسود بن يزيد بن قيس بن عبدالله بن مالك بن علقمة بن سلامان بن كهل بن بكر بن عوف بن النخع من مذحج، وهو ابن أخي علقمة بن قيس، وكان الأسود بن يزيد أكبر من علقمة، وروى الأسود عن أبي بكر الصديق وعن عمر وعلي وعبدالله بن مسعود ومعاذ بن جبل سمع منه باليمن وروى عن سلمان وأبي موسى وعائشة رضي الله عنهم جميعاً، ولم يروي عن عثمان رضي الله عنه شيئاً، وكان ثقة وله أحاديث صالحة، توفي بالكوفة سنة خمس وسبعين¹⁰³.

خامساً: مسروق بن الأجدع هو عبدالرحمن بن مالك بن أمية بن عبدالله بن مر بن سليمان بن معمر بن الحارث بن سعد بن عبدالله بن وادعة بن عمرو بن عامر بن ناشج من همدان، روى عن عمر وعلي وعبدالله وخباب بن الأرت وأبي بن كعب وعبدالله بن عمرو وعائشة وعبيد بن عمير رضي الله عنهم جميعاً، ولم يروي عن عثمان رضي الله عنه شيئاً، كان ثقة وله أحاديث صالحة، مات سنة ثلاث وستين¹⁰⁴.

سادساً: الحسن البصري: الحسن بن أبي الحسن البصري واسم أبيه يسار بالتحتمانية والمهملة الأنصاري مولاهم، ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيراً ويدلس، قال البزار: كان يروي عن جماعة ولم يسمع منهم فيتجوز ويقول: حدثنا وخطبنا يعني قومه الذين حُدثوا وخطبوا بالبصرة، وهو رأس الطبقة الثالثة، مات سنة عشرة ومائة، وقد قارب التسعين¹⁰⁵.

سابعاً: ابن مرة الهمداني، عبدالله بن مرة الهمداني الخارفي الكوفي، ثقة من الطبقة الثالثة، مات سنة مائة وقيل قبل ذلك¹⁰⁶، توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز، وكان ثقة وله أحاديث صالحة¹⁰⁷.

وكانت لهم في بيان القرآن الكريم لمسات بيانية منها:

¹⁰¹ ابن سعد، الطبقات الكبرى، 146/6، (رقم: 1982).

¹⁰² العسقلاني، تقريب التهذيب، 287، (رقم: 3092).

¹⁰³ ابن سعد، الطبقات الكبرى، 134/6، (رقم: 1976).

¹⁰⁴ المصدر السابق، 138/6، (رقم: 1977).

¹⁰⁵ العسقلاني، تقريب التهذيب، 160، (رقم: 1227).

¹⁰⁶ المصدر السابق، 322، (رقم: 3607).

¹⁰⁷ ابن سعد، الطبقات الكبرى، 296/6، (رقم: 2334).

في قول الله تعالى: {مَا تَنْزَّلُ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا بِالْحَقِّ} [الحجر، 8/15]، قال مجاهد: «بالرسالة والعذاب»¹⁰⁸، عبارة الإمام مجاهد مختصرة جداً، لكنها تحمل معاني متعددة، ذكر (الرسالة، والعذاب) فقط، وحذف ما عداه، والذي يتمثل في الرسالة لهداية الناس، أو بالعذاب لمن يستحقه، فهذا من الإيجاز البلاغي الذي يُكتفى فيه بذكر بعض أفراد العام، للدلالة على الكل.

في قول الله تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} [الأنعام، 68/6]، قال سعيد بن جبیر: «الذين يكذبون بآياتنا»¹⁰⁹، لم يفسر المفردة تفسيراً لغوياً دقيقاً، بل كشف عن الغرض البلاغي منها، أي: أن الخوض هنا ليس مجرد كلام، بل هو تكذيب صريح، والخائضين لا يناقشون، بل يكذبون.

في قول الله تعالى: {خَتَامُهُ مِسْكٌ} [المطففين، 26/83]، قال علقمة: «طعمه وريحه مسك»¹¹⁰، وفي قول علقمة: (طعمه وريحه مسك)، التفصيل بعد الإجمال، طعمه إشارة إلى اللذة الذوقية، وريحه إشارة إلى المتعة الشمية، وهذا أسلوب بياني تفصيلي بياني يُوضح ما أجمل في النص.

المقصد الرابع: المنهج البياني بعد عصر التابعين حتى بداية العصر الحديث

في ظل الفتوحات الإسلامية ودخول غير المسلمين في دين الإسلام وظهور العجمة واللحن في القراءات، قام أهل التفسير واللغة بالتدوين وحفظ لغة القرآن، فجاءت مرحلة التدوين في بداية القرن الثاني الهجري في آخر العصر الأموي وبداية العصر العباسي، إذ دون التفسير مع الحديث، وكان يُفرد له باب مستقل ضمن أبواب الحديث فنرى في مدوناتهم (باب التفسير)، وبدأت العلوم تستقل بنفسها، فأخذ التفسير يستقل شيئاً فشيئاً.

واختص كثير من العلماء في هذه الدراسات التي تحفظ لغة القرآن، واعتمدوا على مناهجهم العلمية في التدوين عن طريق اللغة وكلام العرب، مثل أبو زكريا الفراء (ت: 207هـ) في كتابه (معاني القرآن)، وأبو عبيدة (ت: 209هـ) في كتابه (مجاز القرآن)، والجاحظ (ت: 255هـ) في كتابه (نظم القرآن) و (البيان والتبيين)، وابن قتيبة (ت: 276هـ) في كتابه (غريب القرآن)، و (مشكل القرآن)، والرماني (ت: 384هـ) في كتابه (النكت في إعجاز القرآن)، والخطابي (ت: 388هـ) في كتابه (بيان إعجاز القرآن)، والباقلاني (ت: 403هـ) في كتابه (إعجاز القرآن)، والشريف الرضي (ت: 406هـ) في كتابه (تلخيص البيان في مجازات

¹⁰⁸ البخاري، "كتاب التوحيد"، "باب قول الله تعالى: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا}"، 2734/6.

¹⁰⁹ الطبري، تفسير الطبري، 7/5، (رقم: 13398).

¹¹⁰ المصدر السابق، 451/11، (رقم: 36781)؛ وسعيد بن منصور، سنن سعيد بن منصور، تحقيق فريق من الباحثين، إشراف: سعد بن عبدالله الحميد - خالد بن عبد الرحمن الجريسي (الرياض: دار الألوكة للنشر، 1433هـ/2012م)، 285/8.

القرآن)، والقاضي عبد الجبار (ت: 415هـ) في كتابه (المغني في أبواب التوحيد والعدل)، وعبد القاهر الجرجاني (ت: 471هـ) في كتابه (دلائل الإعجاز) و (التعريفات) و (أسرار البلاغة) و (الرسالة الشافية) وغيرها من الكتب النحوية والصرفية.

وبرزت في مرحلة بعد عصر التابعين بعض التفاسير التي فسرت القرآن كاملاً معتمدين على اللغة والإسناد، ومن أشهر مَنْ أَلَفَ في هذه المرحلة محمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ) في كتابه (جامع البيان في تأويل آي القرآن)، ولا يزال إلى يومنا هذا يُعتبر مرجعاً رئيساً في التفسير بالمأثور وفي اللغة وفي الأسانيد وأقوال السلف، ولذا سمي الإمام الطبري بشيخ المفسرين.

وبعد هذه المرحلة ظهرت تفاسير تهتم بآيات الأحكام التي ركزت على الأحكام الفقهية في آي القرآن، ومن أشهرها (الجامع لأحكام القرآن) للإمام القرطبي (ت: 671هـ).

وأخرى ركزت على الجانب البياني واللغوي للآيات القرآنية وبلاغتها مثل كتاب (الكشاف) للزمخشري (ت: 538هـ) وإن كان فيه شيئاً من الاعتقادات الاعتزالية، ولكنه أقرب التفاسير القديمة إلى المنهج البياني، والبيضاوي (ت: 685هـ) في كتابه (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، وأبو السعود (ت: 982هـ) في كتابه (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، والألوسي (ت: 1270هـ) في كتابه (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني).

ومنهم من حافظ على التفسير بالمأثور مثل ابن كثير (ت: 774هـ) في (تفسير القرآن العظيم) الذي يعتبر المرجع في التفسير بالمأثور والذي يعتبر اختصاراً لتفسير الطبري، وجاءت بعد هذه المرحلة مرحلة أُخْتُصِرَتْ فيها الأسانيد، ونقلت فيها الأقوال التفسيرية دون ذكر الأسانيد إلى قائلها، فظهرت ظاهرة الوضع والروايات الإسرائيلية، وبعد هذه المرحلة جاءت مرحلة تدوين التفسير حاله حال كثير من العلوم، كالعربية، وعلم الكلام، والفلسفة، وبدأت الجهود التفسيرية، وظهر أيضاً التفسير العقلي، وبدأ ترجيح بعض الأقوال على حساب الأقوال الأخرى، واتخذ هذا الاتجاه أشكالاً كثيرة منها قُبِلَتْ ومنها رُدَّتْ، وفي هذه المرحلة أيضاً بدأت الكتابة بعلوم القرآن كموضوعات وأبحاث مستقلة بنفسها، كأسباب النزول، وأحكام القرآن، والناسخ والمنسوخ، ومجاز القرآن، ومفردات القرآن، وجاءت على سبيل الاختصار، أو التعليق عليها، أو متابعة جهود السابقين، وقل الجهد في التأليف والإبداع.

وكانت لهم في بيان القرآن لمسات بيانية منها:

في قول الله تعالى: {فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ} [الحج، 5/22]، قال أبو عبيدة في مجاز القرآن: هذا من مجاز المقدم والمؤخر، فأراد ربّت واهتزّت، وفي قوله تعالى: {إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رَاهَا} [النور، 40/24]، أي: لم يرها ولم يكذّب¹¹¹.

قال أبو عبيدة في تأويل مشكل القرآن: "ومنه أن يأتي الكلام على مذهب الاستفهام وهو تقرير كقوله سبحانه: {أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [المائدة، 116/5]، {وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى} [طه، 17/20]، {وَمَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ} [القصص، 65/28]، {قُلْ مَنْ يَكْفُرْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ} [الأنبياء، 42/21]، ومنه أن يأتي على مذهب الاستفهام وهو تعجب كقوله: عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ} [النبا، 2-1/78]، كأنه قال: عَمَّ يتساءلون يا محمد؟ ثم قال: عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ يتساءلون، وقوله: {لَا يَوْمَ أَجِلَّتْ} [المرسلات، 12/77]، على التعجب، ثم قال: {الْيَوْمَ الْفَصْلُ} [المرسلات، 13/77] أَجِلَّتْ، وأن يأتي على مذهب الاستفهام وهو توبيخ: كقوله: {أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ} [الشعراء، 165/26]، ومنه أن يأتي الكلام على لفظ الأمر وهو تهديد: كقوله: {اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ} [فصلت، 41، 40]، وأن يأتي على لفظ الأمر وهو تأديب كقوله: {وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ} [الطلاق، 2/65]"¹¹².

ونرى الزمخشري في كتابه الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل له لمسات بيانية في تفسيره للقرآن نذكر منها: {وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ} [القيامة، 23-22/75]، "ناضرة: من نضرة النعيم إلى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره، وهذا معنى تقديم المفعول"¹¹³، وفي قوله تعالى: {وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ} [الحشر، 2/59]، "فإن قلت: أي فرق بين قولك: وظنوا أن حصونهم تمنعهم أو ما نعتهم، وبين النظم الذي جاء عليه؟ قلت: في تقديم الخبر على المبتدأ دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها إياهم، وفي تصيير ضميرهم اسماً لأن وإسناد الجملة إليه: دليل على اعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالى معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع في معازتهم، وليس ذلك في قولك: وظنوا أن حصونهم تمنعهم"¹¹⁴.

¹¹¹ أبو عبيدة، مجاز القرآن، 12/1.

¹¹² أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، دت)، 171.

¹¹³ أبو القاسم محمود جار الله الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ/1986م)، 662/4.

¹¹⁴ المصدر السابق، 499/4.

المقصد الخامس: المنهج البياني في العصر الحديث:

المنهج البياني في العصر الحديث أحد الاتجاهات المعاصرة في تفسير القرآن الكريم، حيث يُعنى بإظهار جوانب الإعجاز البلاغي واللغوي في النص القرآني، ويسعى إلى كشف ما يتضمنه من جماليات أسلوبية، ودلالات لغوية دقيقة، وتراكيب نحوية فريدة، تؤكد أن هذا الكلام لا يمكن أن يكون إلا وحياً من عند الله تعالى.

وإن عناية المسلمين بالقرآن الكريم لم تتوقف عبر العصور المتعاقبة، فقد أدرك علماء الإسلام أن مستجدات الحياة المتسارعة يجب أن تصحبها تأملات ونظرات في القرآن الكريم والذي لم يأتي لزمن نزوله فحسب، وإنما جاء لكل الأزمان والعصور حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فمن البديهي أن تتجدد طرق التفسير ومناهجه وألوانه ومدارسه، وتعدد حسب مستجدات الأحوال، فكل عصر خصائصه تتناسب مع الأحوال والظروف المحيطة به، فبالنتيجة سوف تختلف أفكار المفسرين ومناهجهم وطرقهم منذ العصور القديمة إلى عصرنا هذا، فظهرت في عصرنا هذا مستجدات لا يمكن إغفالها ودون التطرق والتعرف إليها؛ ولأنها مرتبطة بالواقع الإنساني، وأن المسلم ليس بمعزلٍ عن العالم، وبسبب تأثير بعض الثقافات الأوروبية على مجتمعنا الإسلامي، فكان لابد للعلماء المسلمين أن يقوموا بحركة إصلاحية لتنهض بالأمة إلى المجالات المختلفة، وكان له أثرٌ كبير في تفسير القرآن الكريم، فظهرت جهود واضحة إبداعية في التفسير، التي ركزت على ربط القرآن بالواقع، ومما ساعد في ذلك كثرت انتشار المطابع، وكثر التأليف في العلوم الإسلامية، لا سيما في التفسير، وامتازت بسهولة العبارة، ووصولها إلى شرائح أكثر في المجتمع، فعكف المفسرون في العصر الحديث على تفسير القرآن الكريم، وبرز الكثير من المفسرين في العصر الحديث وأخرجوا لنا الكثير من الكتب والمؤلفات، ومن أشهر هؤلاء المفسرين:

محمد عبدة، وكتابه التفسير البياني¹¹⁵. أمين الخولي وكتابه، مناهج التجديد¹¹⁶. الشيخ محمد رشيد رضا، وكتابه تفسير المنار¹¹⁷. الشيخ طنطاوي جوهرى، وكتابه الجواهر في تفسير القرآن¹¹⁸. سيد قطب

¹¹⁵ محمد عبدة: ولد في محافظة الغربية بمصر سنة 1266هـ/1849م، وتوفي سنة 1323هـ/1905م، لم يترك لنا كتاباً شاملاً يضم في طياته التفسير البياني، إلا أنه وضع لنا أسساً للتفسير البياني في العصر الحديث من خلال دروسه وليسير عليها من يسلك هذا الطريق.

¹¹⁶ أمين الخولي: ولد في محافظة المنوفية بمصر سنة 1313هـ/1895م، وتوفي سنة 1385هـ/1966م، وكتابه هذا وضع فيه منهج لمجموعة من الخطوات يسير عليها المفسر للوصول إلى المنهج البياني.

¹¹⁷ محمد رضا: ولد في القلمون بلبنان سنة 1282هـ/1865م، وتوفي سنة 1354هـ/1935م، وكتابه يبدأ من أول القرآن الكريم وينتهي عند قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْجِئْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: 101]، ولم يتمه لوفاته رحمه الله، وهو تفسير غني

حسين الشاذلي، وكتابه في ظلال القرآن¹¹⁹. الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، وكتابه أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن¹²⁰. الشيخ محمد حسين الذهبي، وكتابه التفسير والمفسرون¹²¹. الشيخ محمد عزة دروزة النابلسي، وكتابه التفسير الحديث¹²². الشيخ محمد متولي الشعراوي، وكتابه خواطر حول القرآن الكريم (تفسير الشعراوي)¹²³. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، وكتابه التفسير البياني للقرآن الكريم¹²⁴. الشيخ أمير عبد العزيز، وكتابه التفسير الشامل¹²⁵. فاضل صالح مهدي السامرائي، وكتابه على طريق التفسير البياني¹²⁶.

بالمأثور عن الصحابة والتابعين وأساليب اللغة العربية، ويشرح الآيات شرحاً وافياً، ويوضح كثيراً من المشكلات، ويدافع عن الإسلام ويدفع الشبهات التي أثرت على الإسلام.

¹¹⁸ طنطاوي جوهري: ولد في محافظة الشرقية بمصر سنة 1287هـ/1870م، وتوفي سنة 1358هـ/1940م، من علماء الأزهر الشريف، وكتابه يقع في ستة وعشرين جزءاً، واتبع منهجاً مختلفاً بالتفسير حيث يبدأ بالتفسير اللفظي للآيات، ثم يعقبها بالإيضاح والشرح، وكان يضع بين الصفحات مناظراً طبيعية وكثيراً من صور الحيوانات والنباتات، وكان يقصد من وراءها التوضيح والبيان.

¹¹⁹ سيد قطب: ولد في محافظة أسيوط بمصر سنة 1284هـ/1906م، وتوفي سنة 1344هـ/1966م، وهو كاتب وشاعر وأديب ومنظر إسلامي، وكتابه مقسم إلى ثلاثين جزءاً بنفس ترتيب القرآن، وطبع عدة مرات، ويصنف ضمن التفسير بالمأثور، جمع بين الجانب الأدبي والبلاغي والتحليلي والاجتماعي، واهتم كثيراً بالوحدة الموضوعية لكل سورة.

¹²⁰ محمد الأمين الشنقيطي: ولد بموريتانيا سنة 1325هـ/1905م، وتوفي بمكة بعد أدائه لفريضة الحج سنة 1393هـ/1974م وكتابه يعتمد على تفسير القرآن بالقرآن، والتفسير بالمأثور، ويوضح معنى الآيات بآيات أخرى أو بأحاديث النبي ﷺ، وليس فيه غرابة ولا تطويل، ويبين أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والأحكام الفقهية.

¹²¹ محمد حسين الذهبي: ولد في محافظة كفر الشيخ بمصر سنة 1333هـ/1915م، وتوفي مقتولاً في سنة 1397هـ/1977م، وكتابه يعد أول دراسة شاملة لمناهج عدد كبير من المفسرين، وتحدث فيه عن نشأة التفسير من عهد النبي ﷺ حتى العصر الحديث.

¹²² محمد عزة النابلسي: ولد في نابلس سنة 1305هـ/1888م، وتوفي سنة 1404هـ/1984م وكتابه يقع في اثني عشر جزءاً في ست مجلدات، وهو تفسير كامل لجميع سور القرآن الكريم ورتب تفسير السور حسب ترتيب النزول، واستخدم فيه المنهج البياني التحليلي، ويبدأ بذكر فضل السورة ومدلول آياتها وموضوعاتها.

¹²³ الشعراوي: ولد في محافظة الدقهلية بمصر في سنة 1329هـ/1911م، وتوفي سنة 1418هـ/1998م، وكتابه يتسم ببساطته وعاميته، مما جعله يصل إلى شريحة كبيرة من المسلمين، وكتابه يجمع بين أصالة التفاسير القديمة ومعاصرة الواقع العلمي المبتكر، ولقبه البعض بإمام الدعاة.

¹²⁴ عائشة عبد الرحمن: ولدت في دمياط بمصر سنة 1331هـ/1913م، وتوفيت سنة 1419هـ/1998م، وهي مفكرة وباحثة وكاتبة مصرية، وسارت بن الشاطئ في كتابها هذا على خطى أستاذها أمين الخولي بأن الدراسة الأدبية يجب أن تتقدم على أي دراسة أخرى عند تناول النص القرآني، حيث اعتمدت على الدراسة الموضوعية عند تفسير النص القرآني فجمعت كل ما في القرآن مستعملةً الأساليب والألفاظ والدلالات اللغوية.

¹²⁵ أمير عبد العزيز: ولد في الفالوجة بفلسطين سنة 1353هـ/1935م، وتوفي سنة 1442هـ/2021م، وكتابه يتسم بالشمول من الجانب اللغوي للألفاظ، وإظهار المعاني التي تنطوي عليها ألفاظ وآيات وسور القرآن.

¹²⁶ فاضل صالح مهدي السامرائي: ولد في سامراء بالعراق سنة 1351هـ/1933م، وفي كتابه حاول التقرب من النص القرآني وكشف إعجازه البلاغية بأدوات لغوية، ومن خلالها استطاع الوصول إلى دلالات ومقاصد الألفاظ والآيات والسور في القرآن الكريم.

نماذج من لمساتهم البيانية

في قول الله تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ} [الأعراف، 27/7]، قال محمد رشيد رضا في تفسير المنار: "يقال في هذا النداء ما قيل فيما قبله، وتكرار النداء في مقام الوعظ والتذكير من أقوى أساليب التنبيه والتأثير، يعرف ذلك الإنسان من نفسه، ويشعر به في قلبه، ونظيره في التنزيل قصة الجن في سورة الأحقاف، إذ جاء فيها الوعظ والإنذار بتكرار النداء، يا قومنا... يا قومنا"¹²⁷.

في قول الله تعالى: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} [الشرح، 1/94]، قال طنطاوي جوهري: "استفهام بمعنى التقرير، فكأنه قال: لقد شرحنا لك صدرك، أي: فسخناه بما أودعنا فيه من العلوم والحكم حتى وسع أعباء النبوة ودعوة الناس قاطبة"¹²⁸.

في قول الله تعالى: {فَبِمَ تُبَشِّرُونَ} [الحجر، 54/15]، قال الشنقيطي في أضواء البيان: "الظاهر أن استفهام نبي الله إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام للملائكة بقوله فبم تبشرون استفهام تعجب من كمال قدرة الله تعالى، ويدل لذلك أنه تعالى ذكر أن ما وقع له وقع نظيره لامرأته حيث قالت: أألد وأنا عجوز، وقد بين تعالى أن ذلك الاستفهام لعجبها من ذلك الأمر الخارق للعادة في قوله: {قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} [هود، 73/11]"¹²⁹.

في قول الله تعالى: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [النحل، 78/16]، قال الشعراوي: "تقديم السمع على باقي الحواس؛ لأنه أول الإدراكات ويصاحب الإنسان منذ أن يولد، إلى أن يفارق الحياة، ولا يغيب عنه حتى لو كان نائماً، لأن بالسمع يتم الاستدعاء من النوم"¹³⁰. ففي كلامه رحمه الله ترتيب منطقي بأسلوب الاستطراد البياني، يربط بين الحقائق العلمية والبلاغة القرآنية.

¹²⁷ محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1410 هـ/1990م)، 321/8.

¹²⁸ طنطاوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، (مصر: مصطفى البابي وأولاده، 1350 هـ/1931م)، 207/25.

¹²⁹ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415 هـ/1995م)، 183/3.

¹³⁰ محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، (مصر: مطابع أخبار اليوم، 1375 هـ/1997م)، 8115/13.

في قول الله تعالى: {إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} [الشرح، 6/94]، قالت بنت الشاطي: "والراجح أن (أل) في العسر للعهد لا لاستغراق، والمراد والله أعلم ما كان الرسول يشعر به من ضيق الصدر وثقل العبء في مواجهة الوثنية العاتية الراسخة، وأما تنكير (يُسرا) فلكي ينفسح فيه مجال التصور والإطلاق"¹³¹.

في قول الله تعالى: {فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ} [هود، 39/11]، قال الشيخ أمير عبد العزيز في كتابه التفسير الشامل: "ذلك تهديد لهؤلاء المشركين الخاسرين، ووعد لهم بأنهم سوف يعلمون الذي يأتيه العذاب الأليم، في الدنيا وهو الطوفان، ويجوز أن تكون (من) استفهامية، أي: سوف تعلمون من هو الذي يأتيه العذاب الأليم في الدنيا وهو الغرق، وينزل به عذاب مقيم أي: مستديم ولا ينقطع"¹³².

في قول الله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ} [المؤمنون، 3/23]، قال فاضل السامرائي في كتابه (لمسات بيانية في نصوص من التنزيل): "ثم انظر بناء هذه الآية، فإنه جعلها اسمية المسند، فلم يقل: (والذين لا يلغون)، أو (عن اللغو يعرضون)، وقدم الجار والمجرور (عن اللغو) على اسم الفاعل (معرضون)، ولكل سبب، فإن قوله (عن اللغو معرضون)، أبلغ من (لا يلغون)، ذلك إن الذي لا يلغو قد لا يُعرض عن اللغو، بل قد يستهويه، ويميل إليه بنفسه، ويحضر مجالسه، أما الإعراض عنه، فإنه أبلغ من عدم فعله، ذلك أنه أبعد في الترك، فإن المعرض عن اللغو علاوة على عدم فعله ينأى عن مشاهدته وحضوره وسماعه، وإذا سمعه أعرض عنه، كما قال تعالى: {وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ} [القصص، 55/28]، فهم لم يكتفوا بعدم المشاركة فيه، بل هم يناون عنه"¹³³. ومزايا المنهج البياني في العصر الحديث تتجلى في إبراز الإعجاز الأسلوبي للقرآن من خلال كشف دقة التعبير وبلاغته، والمساهمة في الرد على الطعون اللغوية التي يثيرها المشككون عبر توضيح المفردات والتراكيب القرآنية، كما يتميز هذا المنهج بتفاعله مع المناهج اللغوية الحديثة كعلم الدلالة وتحليل النصوص، مما يجعله أكثر انسجاماً مع الثقافة المعاصرة. ويسهم كذلك في دعم التفسير الموضوعي من خلال تتبع الألفاظ في سياقاتها المختلفة، ويحفز على التدبر والتأمل العميق في معاني الآيات، بالإضافة إلى ذلك، يوضح الفروق الدقيقة بين المفردات المتقاربة، مما يعمق فهم النص القرآني، ويعمل في الوقت نفسه على تبسيط المفاهيم للقارئ المعاصر باستخدام أدوات تحليلية مبسطة.

¹³¹ عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي، التفسير البياني للقرآن الكريم، (مصر: دار المعارف، د.ت)، 71/1.

¹³² أمير عبد العزيز، التفسير الشامل للقرآن الكريم، (القاهرة: دار السلام، 1420هـ/2000م)، 1518.

¹³³ فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، (عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، 1423هـ/

المطلب الثاني: أسس وضوابط المنهج البياني

لا بد لنا قبل أن تكلم عن أسس وضوابط التفسير البياني أن نذكر شروطاً يجب توافرها في المتصدي للتفسير البياني؛ ليتمكن من تحليل ألفاظ القرآن بيانياً وهذه الشروط هي:

المقصد الأول: شروط المتصدي للمنهج البياني

تتحدّد الشروط المنهجية والعلمية المطلوبة في المتصدي للمنهج البياني مع تلك المعتمدة للمفسّر في الاصطلاح التفسيري العام، إذ إنّ التفسير البياني فرع من التفسير، فيجري عليه ما يجري على أصله من الضوابط

- 1- الإحاطة الكاملة بعلم اللغة العربية لمعرفة معاني الألفاظ.
- 2- الإحاطة الكاملة بعلم النحو ومعرفة المعرب والمبني.
- 3- الإحاطة الكاملة بعلم الصرف لمعرفة البناء والصيغة للمفردة القرآنية.
- 4- الإحاطة بعلم البلاغة بأقسامه وفروعه (المعاني- البيان- البديع).
- 5- العلم بالقراءات القرآنية وأحوالها.
- 6- العلم بأسباب نزول الآيات ووقت نزولها.
- 7- النظر العميق في السياق القرآني وما يحمله من ألفاظ.
- 8- المعرفة التامة في الوقف والابتداء لما فيهما تأثير في المعنى.
- 9- المداومة على التفكير والتدبر ففيهما يفتح الله على الإنسان الإبداع.
- 10- تحليل المفردة التي يراد تفسيرها واستعمالاتها اللغوية ودلالاتها.
- 11- النظر في اللفظة الواحدة واستعمالاتها المتكررة في القرآن ومدلولاتها البيانية.
- 12- النظر في كتب علوم القرآن، وكتب التفسير، وكتب الإعجاز، وكتب تناسب السور، وكتب المتشابه للقدماء من العلماء والمفسرين الموثوق بهم.
- 13- أن يمتلك الموهبة الفطرية، وينمي هذه الفطرة بكثرة الاطلاع والقراءة في علوم القرآن والتفسير وكتب النحو والصرف والبلاغة¹³⁴.

¹³⁴ ينظر: فاضل صالح السامرائي، على طريق التفسير البياني، (الإمارات: جامعة الشارقة، 1423هـ/2002م)،

المقصد الثاني: خصائص المنهج البياني

لكل علم من العلوم خصائصه التي تجعله علماً متميزاً عن باقي العلوم، وتكون خصائصه نابعةً من العمل في هذا العلم، وللتفسير البياني خصائص مهمة تجعله يتميز عن غيره من العلوم وهذه الخصائص هي:

- 1- الاهتمام الكبير بالألفاظ والمفردات في التفسير البياني وتحليلها لغوياً وصرفياً وبلاغياً.
- 2- الاهتمام ببيان وبوضع اللفظة الواحدة والنظر إليها من ناحية الحقيقة والمجاز.
- 3- الاهتمام الكبير ببيان معاني القرآن وبيان ما هو المراد من تلك المعاني.
- 4- الاهتمام بالطرق المعتبرة في التفسير من ناحية الاتباع والاستماع.

وبعد أن عرفنا شروط المتصدي للتفسير البياني وما يجب عليه من معرفته للعلوم التي تمكنه من التصدي إلى التفسير البياني، وخصائص التفسير البياني، ومن خلال ما وجدناه في نتاج علماء التفسير والبيان في التفسير البياني نذكر جملةً من الأسس والضوابط في المنهج البياني في تفسير النص القرآني التي تمكن الباحثين في هذا المجال بالاعتماد عليها والعمل بها بسهولة ويسر.

المقصد الثالث: أسس وضوابط المنهج البياني في النص القرآني

- 1- دراسة عامة لما حول النص من ناحية فهم القرآن فهماً عاماً دقيقاً، ويتمثل هذا الفهم في معرفة النزول وأسباب نزول الآيات، قال الزركشي (ت: 794هـ) في البرهان: "معرفة النزول هو من أعظم المعين على فهم المعنى، وكان الصحابة يعتمدونه، ففي صحيح البخاري كان عروة بن الزبير قد فهم من قوله تعالى: {إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرٌ فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ} [البقرة، 158/2]، أن السعي ليس بركن، فردت عليه عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: «لو كان كما قلت لقال: فلا جناح عليه ألا يطوف بهما»¹³⁵، "وثبت أنه إنما أتى بهذه الصيغة لأنه كان وقع فزع في قلوب طائفة من الناس كانوا يطوفون قبل ذلك بين الصفا والمروة للأصنام فلما جاء الإسلام كرهوا الفعل الذي كانوا يشركون به فرفع الله ذلك الجناح من قلوبهم وأمرهم بالطواف"¹³⁶، فبمعرفة أسباب النزول اتضح لنا المعنى المراد.

¹³⁵ البخاري، "كتاب: الحج"، "باب: وجوب الصفا والمروة، وجعلهما من شعائر الله"، 592/2، (رقم: 1561).
¹³⁶ أبو عبدالله بدر الدين محمد الزركشي، البرهان في علوم القرآن، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، 1376هـ/1957م)، 202/2.

2- معرفة القراءات وأشكالها وصورها، وبالقراءات يتبين رجحان بعض الوجوه المحتملة على غيرها، فبالقراءات يتسنى للمتصدي للتفسير البياني معرفة وجوه القراءات والمعنى القرآني، وما يدل عليه الإعجاز القرآني، قال فاضل السامرائي في كتابه على طريق التفسير البياني: "والقراءات المتعددة قد تكون أدل شيء على الإعجاز ذلك أنه تحداهم بالقرآن فعجزوا، ثم جاء بقراءة أخرى فعجزوا، ثم جاء بقراءة أخرى فعجزوا، مما يدل على كمال القدرة لله وعجز البشر أمامها على كل حال"¹³⁷، فإن اختلفت القراءات في اللفظ فإنها لا تتناقض، فالاختلاف في القراءات ليس اختلاف تضاد وإنما اختلاف تنوع وليس إثبات أحد الوجهين دون الآخر.

3- معرفة الوقف والابتداء، فبمعرفة الوقف والابتداء يتبين لنا المعنى المقصود لألفاظ القرآن، قال ابن الأنباري (ت: 328هـ) في إيضاح الوقف والابتداء: "ومن تمام معرفة إعراب القرآن ومعانيه وغريبه معرفة الوقف والابتداء فيه"¹³⁸، قال السخاوي (ت: 643هـ) في جمال القراء وكمال الإقراء: "واعلم أن معرفة الوقف والابتداء تنبني على معرفة معاني القرآن، وتفسيره وإعرابه وقراءاته، فقد يقتضي بعض القراءات وقفًا لا تقتضيه القراءة الأخرى"¹³⁹، الوقف والابتداء فنّ جليل يُعرف به أداء القرآن، ويترتب عليه فوائد كثيرة واستنباطات غزيرة، وبه تتبين معاني الآيات، ويؤمن به من الوقوع في الإشكالات، وفي معرفة الوقف والابتداء فوائد عظيمة ففيه بتبين لنا المعنى المقصود للآية القرآنية، وبالوقف والابتداء يتغير المعنى المقصود في الآية، فينبغي يُعرف ما يتوقف القارئ فيه فالوقف التام غير الوقف الكافي، والوقف القبيح غير الوقف الحسن، مثلاً في قول الله تعالى: {فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ} [ص، 73/38] فالوقف على {الملائكة} غير تام؛ لأن {كلهم أجمعون} تؤكد ل {الملائكة}، وفي قول الله تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ} [هود: 75] فالوقف على {إبراهيم} قبيح؛ لأن حليماً خبرها، وفي قول الله تعالى: {وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً} [الفرقان، 25 / 70] فالوقف على {كان} قبيح؛ لأن الله تعالى لفظ الجلالة اسم كان مرفوع ب {كان}.

4- معرفة كيف استخدم القرآن للمفردات وكيف وردت، والتعرف على المعنى المتعدد إن وُجد لكل لفظة من ألفاظه، "وليس لغير العالم بحقائق اللغة ومفهوماتها تفسير شيء من الكتاب العزيز ولا يكفي

¹³⁷ السامرائي، على طريق التفسير البياني، 10/1.

¹³⁸ محمد بن القاسم أبو بكر بن الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء، حققه: محي الدين عبدالرحمن رمضان (دمشق:

مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1390هـ/1971م)، 108/1.

¹³⁹ علي بن محمد علم الدين السخاوي، جمال القراء وكمال الإقراء، حققه: مراد العطية - محسن خرابة (دمشق: دار

المأمون للتراث، 1418هـ/1997م)، 773.

في حقه تعلم اليسير منها فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين¹⁴⁰، فلا بد على الذي يتصدى لبيان القرآن وتفسيره أن يكون عالماً باستخدام القرآن للألفاظ، فالمفسر لا سيما البياني لا غنى له عن التبحر في علوم اللغة، ليدرك المجرد والمزيد، ويفهم أغراض الزيادة، واختلاف الصيغ ودلالاتها، ويُحسن التمييز بين المشتقات.

5- النظر في المركبات والاستعانة بالعلوم الأدبية من نحوٍ وصرفٍ وبلاغةٍ؛ لأنها الأدوات الرئيسية في بيان معنى الأسلوب القرآني، ومن أراد التعمق في أسرار كتاب الله تعالى فعليه أن ينظر في صيغ الكلمات ومواقعها النحوية، فهي مبتدأ أم خبر، فاعل أم مفعول، واقعة في صدر الكلام أم في جوابه، وغير ذلك من المواضع، التي يُستنبط منها المعنى.

6- معرفة إعراب القرآن، ففي معرفة إعرابه يتضح للمتصدي للتفسير البياني معرفة وتبيين المعاني والاستدلالات بها، ومعرفة غرض المتكلم، ويساعد الإعراب في فهم القرآن فهماً دقيقاً، قال مكي بن أبي طالب (ت: 437هـ) في مشكل إعراب القرآن: "من أعظم ما يجب على الطالب لعلوم القرآن الراغب في تجويد ألفاظه وفهم معانيه ومعرفة قراءاته ولغاته وأفضل ما القارئ إليه محتاج معرفة إعرابه والوقوف على تصرف حركاته وسواكنه يكون بذلك سالماً من اللحن فيه مستعيناً على أحكام اللفظ به مطلعاً على المعاني التي قد تختلف باختلاف الحركات متفهماً لما أراد الله به من عباده إذ بمعرفة حقائق الإعراب تعرف أكثر المعاني وينجلي الإشكال فتظهر الفوائد ويفهم الخطاب وتصح معرفة حقيقة المراد"¹⁴¹، وذكر السيوطي (ت: 911هـ) في الإتقان "ومن فوائد هذا النوع معرفة المعنى لأن الإعراب يميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين"¹⁴².

7- معرفة السياق القرآني للألفاظ، ففي معرفة السياق القرآني للألفاظ يتم التعرف على سبب اختيار لفظة على أخرى، ومن السياق يُعرف المعنى، دلالة السياق تعدُّ من أعظم القرائن المبيّنة لمراد المتكلم؛ إذ بها يبيّن المجمل، ويُقطع بعدم احتمال غير المعنى المراد، ويُخصص العام، ويقيد المطلق، وتُستخرج وجوه تنوع الدلالة، ومن أهملها أخطأ في نظائر المسائل، وضلَّ في مواضع المناظرة.

8- التعامل مع القرآن الكريم تعاملًا نفسيًا؛ لأنه كتاب دينٍ وهدى، وبذلك يجب توجيه كل لفظة أو آية إلى العبرة والهداية، قال الله تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ

¹⁴⁰ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 165/2.

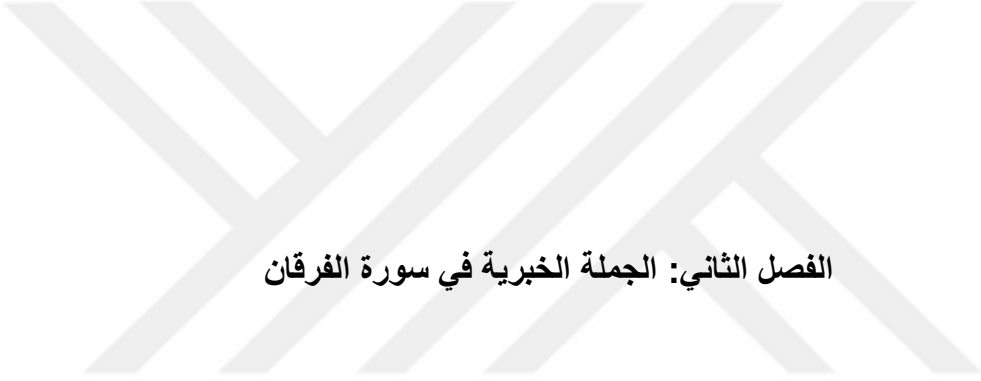
¹⁴¹ مكي بن أبي طالب، حموش بن محمد بن مختار، مشكل إعراب القرآن، حققه: حاتم صالح الضامن (بيروت:

مؤسسة الرسالة، 1415هـ/1994م)، 63/1.

¹⁴² عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم (مصر:

الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1394هـ/1974م)، 309/2.

الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا}[الإسراء، 9/17]، فإنَّ التعامل مع القرآن الكريم يؤثر على الشعور والانفعالات والسلوك، فهو دستور سلوك ومنهج حياة، ففيه حياة القلوب، ومن أهم الأمور التي يجب الالتزام بها في التعامل مع القرآن: احترام القرآن والاهتمام به وتعظيمه وتنزيهه، والاستمرار على قراءته، والتأمل والتدبر أثناء القراءة قال الله تعالى: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}[محمد، 24/47]، وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكير في معاني ما يتلوه فيعرف معنى كل آية، ويتأمل الأوامر والنواهي، ويوقن بوجوب امتثالها، فإن كانت الآية مما قصر في العمل به فيما مضى، ندم واستغفر، وإذا مرَّ بآية رحمة استبشر وسأل، وإذا مرَّ بآية عذاب أشفق وتعوذ، وإذا مرَّ بآية تنزيه سبَّح وعظَّم، وإذا مرَّ بآية دعاء تضرع وسأل، والتذكر أثناء القراءة ومعرفة القصد من الآيات أثناء تلاوتها قال الله تعالى: {وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ}[القمر، 17/54].



الفصل الثاني: الجملة الخبرية في سورة الفرقان

المبحث الأول: الجملة الخبرية في سورة الفرقان وأغراضها البلاغية

الجملة: "جماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره، وأجملت له الحساب والكلام من الجملة، وحساب الجمل: ما قطع من حروف أبي وجاد"¹⁴³، "والجملة واحدة الجمل، وأجمل الحساب رده إلى الجملة"¹⁴⁴، واختلف النحويون واللغويون في الجملة والكلام، فمنهم من قال بأن الجملة والكلام هما لشيء واحد، قال عثمان بن جني الموصلي (ت: 392هـ) في الخصائص: "أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه وهو الذي يسمونه النحويون الجمل نحو: زيد أخوك، وقام محمد، وضرب سعيد، وفي الدار أبوك، وصه، ومه، ورويد، وحاء، وعاء في الأصوات، وحس، ولب، وأف، وأوه، فكل لفظ مستقل بنفسه، وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام"¹⁴⁵.

قال الزمخشري (ت: 538هـ) في المفصل في صناعة الإعراب: "والكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحدهما إلى الأخرى، وذلك لا يتأتى إلا في اسمين كقولك: زيد أخوك، وبشر صاحبك، أو في فعل واسم نحو قولك: ضرب زيد، وانطلق بكر، وتسمى الجملة"¹⁴⁶، وقال ابن يعيش (ت: 643هـ) في شرح المفصل للزمخشري: "اعلم أن الكلام عند النحويين عبارة عن كل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه ويسمى الجملة ويسمى (الجملة)، نحو: (زيد أخوك)، و(قام بكر)"¹⁴⁷، وجمهور النحاة خالفوا من قال بأن الجملة والكلام لشيء واحد؛ لأن الكلام يختلف عن الجملة فالكلام هو اللفظ المفيد فالكلام كله مفيد، والجملة هي المركب الإسنادي (من اسمين، أو اسم وفعل) فيها المفيدة وغير المفيدة، قال البرماوي (ت: 831هـ) في الفوائد السنية: "والصواب أن الجملة أعم؛ لصدقها على ما لا يفيد أو لا يفيد فائدة يحسن السكوت عليها، كجملة الصلة وجملة الشرط وجملة الجزاء ونحو ذلك"¹⁴⁸، والذي يفهم من هذه النصوص بأن الجملة أعم من الكلام وليس العكس، ولكن الكلام أخص منها، وتتألف الجملة من ركنين أساسيين هما المسند والمسند إليه، فالجملة تبعاً للمسند تتكون من فعل مع اسم (فعل، وفاعل، أو نائبه) نحو: حضر زيد، أو اسم مع اسم (مبتدأ وخبر) نحو: زيد حاضر، والطريقة في دراسة الجملة عند العرب القدماء تدور حول محورين

¹⁴³ الفراهيدي، كتاب العين، باب الحيم، 143/6.

¹⁴⁴ الرازي، مختار الصحاح، مادة (ج م ل)، 61.

¹⁴⁵ أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الخصائص، حققه: عبد الحميد هندواي (بيروت: دار الكتب العلمية،

1428هـ/2008م)، 72/1.

¹⁴⁶ محمود بن عمرو بن أحمد جار الله الزمخشري، المفصل في صناعة الإعراب، حققه: علي أبو ملح (بيروت:

مكتبة الهلال، 1413هـ/1993م)، 23.

¹⁴⁷ علي بن أبي السرايا بن يعيش بن يعيش الموصلي، شرح المفصل للزمخشري، تقديم: إميل بديع يعقوب (بيروت:

دار الكتب العلمية، 1422هـ/2001م)، 72/1.

¹⁴⁸ شمس الدين محمد بن عبد الدائم البرماوي، الفوائد السنية في شرح الألفية، حققه: عبدالله رمضان موسى (مصر:

مكتبة التوعية الإسلامية للتحقيق والنشر والبحث العلمي، 1436هـ/2015م)، 902/2، (رقم: 427).

أساسيين: المحور الأول: من حيث التركيب فقسموا الجملة إلى جملة اسمية وأخرى فعلية، وذهب بعضهم إلى نوع ثالث، ورابع هما: الجملة الشرطية والجملة الظرفية، والمحور الثاني: من حيث الدلالة فقسموا الجملة إلى جملة خبرية وأخرى إنشائية.

الخبر في اللغة: "العلم بالشيء، نقول: لي بفلان خبرةٌ وخبرٌ، والله تعالى الخبير أي: العالم بكل شيء" ¹⁴⁹.

أما من الناحية البلاغية: عرفه حبنكة في البلاغة العربية: "هو الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب، باعتبار كونه مجرد كلام، دون النظر إلى قائله، ودون النظر إلى كونه مقرئاً بما يدل على إثباته حتماً، أو نفيه حتماً، ومدلوله لا يتوقف على النطق به" ¹⁵⁰، فيفهم من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي بأن الخبر هو الكلام الذي يحتمل الصدق أو الكذب لذاته، فإن كان الخبرُ مطابقاً للواقع يكون الخبرُ صادقاً، وإن كان الخبرُ غير مطابقاً للواقع يكون الخبرُ كاذباً.

ومن خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي للخبر، يتضح بأن الجملة الخبرية هي الجملة التي يُراد بها الإبلاغ عن مضمون، أو تقديم معلومة، وقد يكون ما تحمله من صدق أو كذب قابلاً للتحقق، وهي على النقيض من الجملة الإنشائية، التي تستعمل للتعبير عن أغراض غير الأخبار.

دلالة الخبر عند البلاغيين تتحقق في أمرين اثنين: **الأول:** وهي دلالة وضعية، وهي المتمثلة في الغرض من إلقاء الخبر، وهي التي تعطي للمخاطب كلاماً في حدثٍ معين يفهم منه المخاطب حقيقة هذا الأمر، وهذه الدلالة هي الأصل والغرض الرئيس من إلقاء الخبر. **والثاني:** دلالة فنية بلاغية يخرج الخبر فيها عن غرضه الأصلي إلى دلالة بيانية فنية فيها جمالية وهي لمجرد الإخبار، وهي المقصود الرئيس في هذه الدراسة، وتتمثل الدلالة الوضعية (الغرض من إلقاء الخبر) في: فائدة الخبر: الفائدة من الخبر عندما يُعطي المخاطب معلومةً في الغالب يجهلها المخاطب، ولازم الفائدة: عندما يكون المخاطب في الغالب عالماً بمضمون الخبر. وقد يخرج الخبر عن غرضه الأصلي إلى أغراض فنية بلاغية أخرى تفهم من السياق، وقرائن الأحوال لمدلول هذا الخبر مثل: (الأمر، النهي، النفي، التعظيم، الوصف، التقرير، الوعد، الوعيد، الترغيب، التهويل، التفضيل، التنبيه، التهكم، المدح، الذم، التقرير، الاستهانة، التقرير، التعجب، التمني، الإنكار، إظهار الضعف، الإنذار، التخويف، الدعاء، الحزن، الاسترحام، التحذير، التفخيم،

¹⁴⁹ ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة: خَبَر، 239/2.

¹⁵⁰ حبنكة، البلاغة العربية، 167/1.

الترغيب

وفي قول الله تعالى: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}[الفرقان، 70/25]، "وأولئك مبتدأ، والإشارة إلى الموصول وهو من، والجمع باعتبار معناها، وجملة يبدل خبر أولئك والله فاعل وسيئاتهم مفعول" ¹⁵³، بيّن الخبر في هذه الآية أسلوبًا واضحًا وهو الترغيب، فهم من السياق وقرائن الأحوال، ترغيبٌ للذين عظمت ذنوبهم بأن الله يتوب عليهم، ويبدل حسناتهم سيئات، ففي صحيح مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، وآخر أهل النار خروجاً منها، رجلٌ يؤتى به يوم القيامة، فيقال أعرضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها، فْتُعَرَضُ عليه صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فيقال عملتَ يومَ كذا وكذا، وكذا، وعملتَ يومَ كذا وكذا، وكذا، وكذا، فيقول: نعم لا يستطيع أن يُنكر، وهو مشفقٌ من كبار ذنوبه أن تُعَرَضَ

¹⁵² مسلم، "كتاب التوبة"، "باب: قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب"، 2113/4، (رقم: 2759).

¹⁵³ محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، **إعراب القرآن وبيانه** (سورية: دار اليمامة؛ دار ابن كثير؛ دار الإرشاد للشؤون الجامعية - بيروت: دار اليمامة؛ دار ابن كثير، 1415هـ/1994م)، 45/7.

عليه، فيقال له: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فيقول: رَبِّ قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هُنَا، فَلَقَدْ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَجِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ»¹⁵⁴.

التهكم

جاء الخبر في سورة الفرقان بمعنى التهكم في قول الله تعالى: {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا} [الفرقان، 24/25]، "أصحاب مبتدأ والجنة مضاف ويومئذ ظرف أضيف إلى مثله وهو متعلق بخير وخير خبر أصحاب وهو اسم تفضيل، أو لمجرد الوصف ومستقرا تمييز وأحسن مقيلاً عطف على خير مستقراً، والمستقر المكان الذين يقضون فيه معظم أوقاتهم والمقيل المكان الذي يأوون إليه للاستراح إلى أزواجهم والتمتع بمغازلتهم"¹⁵⁵، جاءت الجملة الخبرية في هذه الآية الكريمة بمعنى التهكم فهم من السياق وقرائن الأحوال، قبل هذه الآية، كان الحديث عن الكفار يوم القيامة، وكيف يُحشرون إلى جهنم: {وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [الفرقان، 17/25]، فالمشهد مملوء بالرعب والعذاب للكفار، بعد عرض مشهد العذاب، تأتي هذه الجملة لتصوير حال أصحاب الجنة في نفس اليوم، أنهم في مكان {خير مستقراً وأحسن مقيلاً}، المقصود: في الوقت الذي يكون فيه الكفار في أسوأ حال، أصحاب الجنة في أحسن حال، هنا المفارقة بين الطرفين تخلق نبذة سخرية مبطنة من مصير الكفار، لأن السامع الكافر يدرك أنه من أصحاب الحال الأول (جهنم)، فيتلقى العبارة كطعنة تهكمية، قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: "لما وصف حال المشركين في الآخرة علم أن لا حظ لهم في الجنة فتعينت الجنة لغير المشركين يومئذ وهم المؤمنون، إذ أهل مكة في وقت نزول هذه الآية فريقان: مشركون ومؤمنون، فمعنى الكلام: المؤمنون يومئذ هم أصحاب الجنة وهم خير مستقراً وأحسن مقيلاً، والخير هنا: تفضيل، وهو تهكم بالمشركين، وكذلك أحسن، والمستقر: مكان الاستقرار، والمقيل: المكان الذي يؤوى إليه في القيلولة والاستراحة في ذلك الوقت من عادة المترفين"¹⁵⁶.

الذم

دلَّت الجملة الخبرية في سورة الفرقان على الذم في قول الله تعالى: {الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا} [الفرقان، 34/25]، "أولئك مبتدأ، وشر خبر، ومكاناً تمييز، وأضل

¹⁵⁴ مسلم، "كتاب الإيمان"، "باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها"، 177/1، (رقم: 190).

¹⁵⁵ درويش، إعراب القرآن وبيانه، 5/7.

¹⁵⁶ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 9/19.

سبيلاً عطف على شر مكاناً، والجملة تفسيرية فلا محل لها، ولك أن تعرب الذين مبتدأ، والجملة خبره¹⁵⁷،
الذم في هذه الآية للكافرين بوضوح عن ضلالهم وكفرهم، وما سوف يؤول إليه مصيرهم وهو المشي على
وجوههم، فهنا تعبير تصويري يدل على الذل والمهانة، حيث يصور حالهم يوم القيامة بطريقة تُظهر مدى
الخزي الذي يحيط بهم، إذ يساقون وهم منكسون على وجوههم بدلاً من أن يسيروا على أقدامهم، وهو غاية
في الإهانة، اللجوء إلى اسم الإشارة (أولئك) يدل على الإبعاد والاستهجان، فهو لا يستخدم للتكريم بل ليبين
بعدهم عن الخير، ونفور النفس من حالهم ومصيرهم، اعتماد صيغ التفضيل (شر مكاناً)، (وأضل سبيلاً)
يظهر سوء عاقبتهم، فالتعبير يحمل حكماً واضحاً بأنهم في أقبح منزلة وأسوأ طريق، مما يزيد من شدة الذم،
ففي صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أن رجلاً قال: يا نبي الله كيف يحشر
الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: « (أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على
وجهه يوم القيامة) قال قتادة: بلى وعزة ربنا»¹⁵⁸.

وفي قول الله تعالى: {إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا} [الفرقان، 66/25]، "الجملة تعليلية أيضاً وحذف
العاطف بينهما فالجملتان من جملة مقولهم، وان واسمها وجملة ساءت خبرها"¹⁵⁹، جاءت الجملة الخبرية في
هذه الآية بزم الكافرين، وفهم ذلك من السياق وقرائن الأحوال وهو الذم للكافرين الذين سوف يكون مقامهم
جهنم، فالفعل (ساء) يدل على القبح الشديد، وهو فعل يفيد الاستنكار والذم في أعلى درجاته، فالمقصود أن
نار جهنم من أسوأ ما يمكن أن يُتخذ مكاناً للإقامة، سواء كانت مؤقتة، أو دائمة، ذكر (مستقراً)، (ومقاماً) بعد
الفعل جاء لتعميق الذم، وورود الكلمتين معاً يقوي التعبير، إذ يشير إلى جهنم لا تصلح للجلوس فيها مؤقتاً،
ولا للبقاء المستمر، مما يعكس بشاعة الموضع بكل حالاته، فالتوكيد في بداية الجملة ب (أنها) يُضفي طابعاً
مؤكدًا على الحكم، ويُظهر أن ما يقال على جهنم أمرٌ لا جدال فيه، مما يعمق المعنى ويجعل الذم أكثر
وضوحاً وجزماً، قال الشوكاني (ت: 1250هـ) في الفتح القدير: "فالمستقر للعصاة فإنهم يخرجون، والمقام
للكفار يخلدون، وساءت من أفعال الذم كبئست"¹⁶⁰.

¹⁵⁷ درويش، إعراب القرآن وبيانه، 11/7.

¹⁵⁸ البخاري، "كتاب التفسير"، "باب قوله: (الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكاناً وأضل سبيلاً)"،

1784/4، (رقم: 4482).

¹⁵⁹ درويش، إعراب القرآن وبيانه، 40/7.

¹⁶⁰ محمد علي الشوكاني، الفتح القدير، (بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، 1414هـ/1993م)، 100/4.

التفضيل

دلّت الجملة الخبرية في سورة الفرقان على التفضيل في قول الله تعالى: {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا}[الفرقان، 24/25]، (يومئذ) ظرف منصوب متعلق بالخبر (خير)، (مستقرًا) تمييز منصوب¹⁶¹، جاءت الجملة الخبرية في هذه الآية بمعنى التفضيل، تفضيل المؤمنين على الكافرين في المصير وما سوف يرى المؤمنون من النعيم، وما سوف يرى الكافرون من الجحيم، اللفظتان (خير، أحسن) من أدوات التفضيل ويُستفاد منهما أن مكانة أهل الجنة أسمى وأفضل من غيرهم، وهم الكافرون وأصحاب النار، (فخير) تدل على أعلى درجات الراحة، والأمن والهناء، بينما (أحسن) تشير إلى كمال السكينة وجمال الموضع، ويتبين هذا بجمالية التعبير ب (مستقرًا، مقيلاً) فكلمة (مستقر) تشير إلى البقاء الدائم، والثبات في النعيم، أما (مقيل) تعبر عن الراحة والطمأنينة في وقت الظهيرة وهو وقت يعبر عن الاسترخاء والهدوء، قال الشربيني (ت: 977هـ) في السراج المنير: "بابها من التفضيل والمعنى: أن المؤمنين خيرٌ في الآخرة مستقرًا من مستقر الكفار، وأحسن مقيلاً من مقيلهم"¹⁶².

وفي قول الله تعالى: {الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا}[الفرقان، 34/25]، "وجملة: {أُولَئِكَ شَرٌّ...} في محل رفع خبر المبتدأ (الذين)¹⁶³، خرجت صيغة الجملة الخبرية في هذه الآية عن الغرض الأصلي إلى غرض بلاغي وهو التفضيل، وهذه مواجهة ومناظرة بين المؤمنين والكافرين مفادها من المستحق لهذا المصير، قال الجرجاني (ت: 471هـ) في درج الدرر في تفسير الآي والسور: "وقع التفضيل على زعم الكفار من إضافة الشر والضلالة إلى المؤمنين"¹⁶⁴، فانظر بعين الحق وتفكر من الذي هو أولى بهذا الوصف لتعلم أن مكانك شرُّ المكان وبئس المستقر، وسبيلك أضلُّ السبل وعليه قوله تعالى: {وَأِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}[سبأ، 24/34] فالمكان الشرف والمنزلة، وربما يطلق على الدار والمسكن، وشرُّ وأضل محمولان على التفضيل، على طريقة قوله تعالى: {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ}[المائدة، 60/5].

¹⁶¹ محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، إشراف: اللجنة العلمية بدار الرشيد، (دمشق: دار الرشيد؛ بيروت: مؤسسة الإيمان، 1416هـ/1995م، 8/10).

¹⁶² الشربيني، السراج المنير، 657/2.

¹⁶³ صافي، الجدول في إعراب القرآن، 17/10.

¹⁶⁴ عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، درج الدرر في تفسير الآي والسور، حققه: وليد أحمد صالح الحسين- أياد عبداللطيف القيسي (بريطانيا: مجلة الحكمة، 1429هـ/2008م)، 1313/3.

الإنذار والتخويف

جاءت الجملة الخبرية في سورة الفرقان بمعنى الإنذار والتخويف في قول الله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} [الفرقان، 1/25]. " (على عبده) متعلق بـ (نزل)، (اللام) للتعليل (للعالمين) متعلق بالخبر (نذيرا)¹⁶⁵، دلت الجملة الخبرية في هذه الآية على الإنذار والتخويف، ففيها إنذار وتخويف للكفار والإنكار عليهم، {للعالمين} يعني الإنس والجن، {نذيرا} قال ابن الجوزي (ت: 597هـ) في زاد المسير: "أي: مخوفاً من عذاب الله"¹⁶⁶، (نذيراً) قال النسفي (ت: 710هـ) في مدارك التنزيل: "أي: منذراً ومخوفاً، أو إنذاراً كالنكير بمعنى الإنكار ومنه قوله تعالى: {فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٌ} [القمر، 16/54]"¹⁶⁷.

التهديد

في قول الله تعالى: {يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا} [الفرقان، 22/25]، "وجملة يرون مجرورة بإضافة الظرف إليها والملائكة مفعول به، ولا بشرى لا نافية للجنس، وبشرى اسمها وللمجرمين خبرها"¹⁶⁸، خرجت الجملة الخبرية عن غرضها الأصلي وهو فائدة الخبر إلى غرض بلاغي فهم من السياق وقرائن الأحوال إلى التهديد للمشركين بأن مصيرهم النار، وذلك لأن الملائكة ترى فتبشر الذين عملوا الصالحات في الدنيا، وتضرب الكفار بمقامع من حديد، (يوم يرون الملائكة) مشهد مهيب يبعث على الخوف، فظهور الملائكة في هذا الموضع لا يدل على رحمة أو طمأنينة، بل هو لقاء مع ملائكة العذاب ما يشير إلى أن المجرمين يواجهون مشهداً مخيفاً يُنذر بالعقاب والهلاك، ثم قال: (لا بشرى يومئذ للمجرمين) قطع للرجاء وإثبات للهلاك، فالبشارة تنفي تماماً وجود أي خبر سار، أو رجاء بالنجاة، وهو أسلوب يحمل تهديداً صارماً، إذ يبين أن ذلك اليوم سيكون مليئاً بالهم والرعب، دون أدنى مظهر من مظاهر الراحة أو الأمن، ثم يقولون (حجراً محجوراً) نداء استغاثة يائس، فكان العرب يستعملونها لغرض الوقاية والمنع من الشر، وفي هذا السياق ينطقها المجرمون تعبيراً عن

¹⁶⁵ صافي، الجدول في إعراب القرآن، 303/9.

¹⁶⁶ جمال الدين أبو فرج بن الجوزي عبد الرحمن، زاد المسير في علم التفسير، حققه: عبدالرزاق المهدي (بيروت:

دار الكتاب العربي، 1422هـ/2001م)، 311/3.

¹⁶⁷ عبد الله بن أحمد حافظ الدين النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف بدوي،

راجعته وقدم له: محي الدين مستو (بيروت: دار الكلم الطيب، 1419هـ/1998م)، 524/2.

¹⁶⁸ درويش، إعراب القرآن وبيانه، 686/6.

الخوف الشديد، في محاولة للفرار من العذاب، لكن تلك الاستغاثة المتأخرة لا تنفع، بل تدل على حالهم من الذل والانكسار، بعدما فات الأوان.

المدح

في قول الله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسُئِلَ بِهِ خَبِيرًا} [الفرقان، 59/25]، "ثم حرف عطف، واستوى عطف على خلق، وعلى العرش متعلقان به، والرحمن خبر الذي، أو خبر لمبتدأ محذوف أي هو الرحمن"¹⁶⁹، جاءت الجملة الخبرية في الآية الكريمة بمعنى المدح، وتمجيد لله بذكر عظيم صنعه وإحاطته بالكون، من خلال بيان قدرته في إيجاد السموات والأرض وما يتوسطهما، وهذا الاتساع في الخلق يعكس كمال القدرة الإلهية وسعة سلطانه على الوجود بأسره، وهو أعلى درجات المدح، فذكر الرحمن مرفوعاً على وجه المدح، قال الألوسي في روح المعاني: "الرحمن مرفوع على المدح"¹⁷⁰.

الوعد والوعيد

خرجت الجملة الخبرية في سورة الفرقان عن غرضها الأصلي إلى الوعد والوعيد في قول الله تعالى: {بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا} [الفرقان، 40/25]، "وجملة لا يرجون في محل نصب خبر كانوا"¹⁷¹، دلّ الخبر في هذه الآية على الوعد والوعيد، حيث إن الله تعالى أخبر نبيه ﷺ في هذا الخبر بالوعد والوعيد للمشركين بأن يحل بهم مثلما حلّ بالأمم الكافرة من قبلهم، والمقصود هنا هم المشركين والقرية هي قرية لوط عليه السلام، أمطرهم الله بالحجارة، فكان أهل مكة يَمُرُّونَ عليها بأسفارهم، ورأوا العذاب، ولكنهم لن يعتبروا، وهذا المشهد يعد إنذاراً غير مباشر إذ أنهم شاهدوا آثار الهلاك والعقوبة، لكنهم لم يأخذوا العبرة، وكان في الآية تحذيراً بأن العذاب نفسه قد يصيبهم إن ساروا على نفس الطريق، قال الرازي في التفسير الكبير: "واعلم أن الله تعالى أراد بالقرية سدوم، من قرى قوم لوط عليه السلام، وكانت خمساً أهلك الله تعالى أربعاً وبقيت واحدة، و(مطر السوء) الحجارة، يعني أن قريشاً مروا مراراً كثيرة في متاجرهم إلى الشام على تلك القرية التي أهلكت بالحجارة من السماء، (أفلم يكونوا) في مرورهم ينظرون إلى آثار عذاب الله تعالى ونكاله"¹⁷².

¹⁶⁹ درويش، إعراب القرآن وبيانه، 33/7.

¹⁷⁰ الألوسي، روح المعاني، 37/100.

¹⁷¹ صافي، الجدول في إعراب القرآن، 21/10.

¹⁷² الرازي، التفسير الكبير، 461/24.

التعجب

جاء الخبر في سورة الفرقان بمعنى التعجب في قول الله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً}[الفرقان، 3/25]، "والجملة الخبرية: {هم يخلقون...}"¹⁷³، جاءت الجملة الخبرية في هذه الآية بمعنى التعجب من فعلهم، عجباً كيف جعلوا لهم آلهة يعبدوهم من دون الله وهم مخلوقين ولا يستطيعون خلق أي شيء، فالآية تصور موقف المشركين الذين نسبوا الألوهية إلى كائنات لا تملك القدرة على الخلق، بل هي مخلوقات مثلهم، ولا تملك أن تجلب نفعاً، أو تدفع ضرراً، كما أنها عاجزة عن التصرف في الموت أو الحياة أو البعث، والآية تسرد مجموعة من صور العجز التي تصف بها تلك المعبودات الباطلة، قال ابن أبي طالب (ت: 437هـ) في الهداية: "ويعجب أهل النهي من فعلهم وعبادتهم ما لا يخلق شيئاً وهو يخلق، ولا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً"¹⁷⁴.

في قول الله تعالى: {قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ}[الفرقان، 18/25]، "وجملة ينبغي خبر كان ولنا متعلقان ينبغي وأن وما في حيزها فاعل ينبغي، فيكون اسم كان مستترًا، وفاعل ينبغي مستتر"¹⁷⁵، دلّت الجملة الخبرية في هذه الآية على التعجب، من هذا القول الفظيع الذي لا ينبغي لأي ملكٍ مقرب ولا نبيٍّ مرسل أن يفعل هذا الفعل المشين في ضلال العباد (حاشاهم)، فافتتاحهم ب (سبحانك) يعبر عن تمجيد الله وتنزهه عن أن يجعل له شركاء، وفي ذات الوقت توحى اللفظة بدهشة واعتراض على ما نسب إليهم زوراً، فكانهم يقولون معاذ الله أيمن أن نرضى بأن نكون أرباباً من دون الله، ولهذا قالوا (ما كان أن ينبغي لنا) صيغة إنكار تحمل ملامح التعجب، فهو أمرٌ مستبعد تماماً، لا يليق بمن دعا إلى التوحيد، قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: "والمجيبون هم من العقلاء الذين عبدوا من دون الله، كالملائكة وعيسى عليه السلام، وقولهم (سبحانك) كلمة تنزيه أريد بها التعجب، من قولٍ فظيع"¹⁷⁶، وتبرؤ منهم مما نسب إليهم، فصدر الجواب من المعبودين بلفظٍ أو حال، على وجه التعجب من المسألة، قال

¹⁷³ صافي، الجدول في إعراب القرآن، 305/9.

¹⁷⁴ حموش بن محمد مكي القيسي، الهداية إلى بلوغ النهاية، حققه: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي جامعة الشارقة (الإمارات: نشر كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 1429هـ/2008م)، 5174/8.

¹⁷⁵ درويش، إعراب القرآن وبيانه، 681/6.

¹⁷⁶ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 388/18.

الزحيلي في التفسير الوسيط: "فأجاب المعبودين بلسان المقال أو الحال على طريق التعجب مما سئلوا عنه (سبحانك)"¹⁷⁷.

المبحث الثاني: أضرب الجملة الخبرية في سورة الفرقان

إنَّ أي أسلوبٍ من أساليب العربية له غرضٌ يسعى صاحبه لتحقيقه، والغرض الرئيسي للخبر يتعلق بأمرين اثنين يسعى المخبرٌ لتحقيقهما وهما: فائدة الخبر وهو عندما يُعطي المخاطب معلومةً في الغالب يجهلها المخاطب، ولازم الفائدة وهو عندما يكون المخاطب غالباً عالماً بمضمون الخبر، وأضرب الخبر هي طريقة يقدمها المخاطب إلى المخاطب مؤكدة، أو غير مؤكدة.

- 1- إذا كان المخاطب خال الذهن، فلا يحتاج الخبر إلى مؤكد؛ لعد حاجته لذلك المؤكد، مثال ذلك كما في قول الله تعالى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الكهف، 4/18]، فالخبر هنا خالٍ من التوكيد لأن المخاطب خال الذهن وغير متردد وغير شاك ولا منكر لهذا الخبر، فبهذه الحالة لا داعي لتوكيد الخبر.
- 2- إذا كان المخاطب شاكاً ومترددًا في مدلول الخبر، ففي هذه الحالة يحتاج إلى مؤكد من أجل الوصول للحقيقة المنشودة في ذلك الخبر؛ لإزالة هذا الشك والتردد، ويكفي لهذا الضرب أن نؤكد بمؤكدٍ واحدٍ، مثال ذلك كما في قول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَهُمُ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} [الأنعام، 95/6]، فنلاحظ هنا الخبر فيه مؤكد ب (إِنَّ)؛ لأن المخاطب متردد في مدلول الخبر، فاحتاج لمؤكد ليؤكد ذلك الخبر.

- 3- إذا كان المخاطب منكرًا لهذا الخبر، ففي هذه الحالة يحتاج الخبر لتأكيد بمؤكدين اثنين أو أكثر؛ لإزالة هذا الإنكار والوصول للحقيقة المطلوبة في ذلك الخبر، ومثال ذلك كما في قول الله تعالى: {قَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [الأنعام، 144/6]. فالمخاطب في هذه الآية منكرٌ لهذا الخبر فاحتاج إلى مؤكدين اثنين (اللام في ليضل) و (إِنَّ)¹⁷⁸.

مؤكدات الخبر:

المؤكدات كثيرة أشهرها: منها ما يختص بالجملة الاسمية كالقسم وأحرفه (الواو والباء والتاء)، إنَّ، أنْ، وكأنَّ، ولكنَّ، لام الابتداء، وحروف التنبيه والاستفتاح (ألا، أما، ها، يا) القسم، الحروف الزائدة (إن

¹⁷⁷ وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير الوسيط (دمشق: دار الفكر، 1422هـ/2001م)، 1788/2.

¹⁷⁸ عبد العزيز عتيق، علم المعاني، (بيروت: دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، 1430هـ/2009م)، 54،

مكسورة الهمزة، أن مفتوحة الهمزة، ما، لا، من، الباء، الفاء)، أمّا الشرطية، تكرار اللفظ، وتكرار النفي، ضمير الفصل (هو، هم، أنا، أنت)¹⁷⁹، وأسلوب القصر ويعني به: الجملة التي فيها إنَّما، والعطف ب(بل-لا- لكن)، والجملة التي فيها تقديم وتأخير مثل تقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم المفعول به على الفاعل والفعل، والجملة التي فيها نفي واستثناء، المفعول المطلق المؤكد لفعله، والمؤكدات المعنوية (نفس، عين، كلا، كلتا، كل، جميع)، وتوجد ألفاظ تدل على التوكيد (حقًا، صدقًا، لا ريب، لا شك).

ومنها ما يختص بالجملة الفعلية كالسين، سوف، لن، قد التي تفيد التحقيق، نونا التوكيد الخفيفة والثقيلة الداخلتان على فعل وتشترك بعض الأدوات المؤكدة في الجملة الاسمية والجملة الفعلية كـ بعض الزوائد والقسم.

أمثلة على أدوات التوكيد في أضرب الخبر

في قول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}[البقرة، 6/2]، أداة التوكيد في هذه الآية: الحرف المشبه بالفعل (إنَّ).

في قول الله تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ}[آل عمران، 56/3]، أدوات التوكيد في هذه الآية: (أما الشرطية) وحرف الجر الزائد (من).

في قول الله تعالى: {قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ لَمُنْتُنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْنِي عَنْ نَفْسِي فَاَسْتَعْصِمْتُ}[يوسف، 32/12]، أدوات التوكيد في هذه الآية: (نون التوكيد الثقيلة)، و (لام الابتداء) في ولقد، وحرف التحقيق (قد).

في قول الله تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ}[آل عمران، 144/3]، أداة التوكيد في هذه الآية: (القصر بواسطة النفي والاستثناء).

في قول الله تعالى: {وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}[البقرة، 74/2]، أداة التوكيد في هذه الآية (حرف الجر الزائد الباء).

في قول الله تعالى: {وَإِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[المائدة، 76/5]، أداة التوكيد في هذه الآية هو ضمير الفصل (هو).

¹⁷⁹ ضمير الفصل: سمي بذلك؛ لأنه يفصل بين المبتدأ والخبر كقوله تعالى: {وَإِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[المائدة، 76/5]، أو كقولك: محمد هو النبي، وضمير الفصل لا يقع إلا بين معرفتين، ووظيفته يقوي معنى الجملة ويؤكدها.

في قول الله تعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[يونس، 62/10]، أدوات التوكيد في هذه الآية: (حرف الاستفتاح ألا، والحرف المشبه بالفعل إن).

في قول الله تعالى: {وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا}[الإسراء، 26/17]، أداة التوكيد في هذه الآية: (التوكيد بالمفعول المطلق).

في قول الله تعالى: {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا}[الفرقان، 43/25]، أداة التوكيد في هذه الآية: (الفاء الزائدة).

في قول الله تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا}[الفرقان، 55/25]، أداة التوكيد في هذه الآية (تكرار النفي).

في قول الله تعالى: {أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا}[الفرقان، 8/25]، أداة التوكيد في هذه الآية: (تقديم الخبر على المبتدأ).

في قول الله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}[الحجرات، 10/49]، أدوات التوكيد في هذه الآية (أسلوب القصر بـ إنما).

في قول الله تعالى: {وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا}[النبا: 9 - 10-11]، أداة التوكيد في هذه الآية مؤكد واحد وهو (التكرار في جعلنا).

في قول الله تعالى: {وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ}[العصر، 1/103 - 2]، أدوات التوكيد في هذه الآية: (القسم، والحرف المشبه بالفعل إن، ولام الابتداء)¹⁸⁰.

المطلب الأول: الخبر الابتدائي في سورة الفرقان

الخبر الابتدائي يكون خالي من المؤكدات؛ لأن المخاطب لا يحتاج لتلك المؤكدات؛ كونه خال الذهن من مضمون الخبر، وغير متردد ولا شاك، وفي هذا الحال لا يرى المتكلم حاجة لتوكيد الخبر؛ لعدم الحاجة إلى التوكيد، قال عتيق: "أن يكون المخاطب خالي الذهن من الحكم، وفي هذه الحالة يُلقى إليه الخبر خاليًا من

¹⁸⁰ عتيق، علم المعاني، 55-60، بتصرف.

أدوات التوكيد، ويسمى هذا الضرب من الخبر ابتدائياً¹⁸¹، وقد تحقق الخبر الابتدائي في كثير من المواطن في سورة الفرقان وهي:

في قول الله تعالى: {وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الفرقان، 5/25].

{أَسَاطِيرُ} خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هذه أساطير، وهو مضاف، و {الْأَوَّلِينَ} مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، {اِكْتَتَبَهَا} ماضٍ، والفاعل يعود إلى الرسول صَلَّى الله عليه وسلّم الذي يعنونه، و (ها): مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من {أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} و (قد) قبلها مقدرة، {أَسَاطِيرُ} مبتدأ، والجملة الفعلية خبره¹⁸².

والجملتان: {وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} و {فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ}، خبريتان ابتدائيتان لخلوهما من أدوات التوكيد، وخلوهما من أدوات التوكيد جاء مطابقاً لمقتضى الحال، وهم كفار قريش، وهذا الكلام ردّاً على قولهم: عندما قالوا إنّ القرآن أختلقه محمد ﷺ من أخبار الأولين تقرأ عليه في الليل والنهار، وجاءهم الجواب على قولهم في الآية التي بعدها- قل لهم يا محمد بأن الذي أنزله يعلم ما في السر وما في العلن، قال الله تعالى: {قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَوْرًا رَحِيمًا} [الفرقان، 6/25]، وما ينبغي للنبي ﷺ أن يأتي بكلمة من تلقاء نفسه لقول الله تعالى: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ} [الحاقة، 44/69]، وحاشا للنبي ﷺ من قولهم هذا فهو أشد الناس خشيةً من الله تعالى، والخبر في الآية يفيد التهكم والافتراء، إذ يُظهر زعمهم الكاذب لتقليل شأن الوحي والتشكيك في مصدره الإلهي، "الضمير عائد إلى الذين كفروا، فمدلول الصلة مراعى في هذا الضمير إيماء إلى أن هذا القول من آثار كفرهم، الأساطير: جمع أسطورة بضم الهمزة كالأحدثثة والأحاديث، والأغلوطة والأغاليط، وهي القصة المسطورة"¹⁸³.

وفي صحيح البخاري من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: «صنع النبي ﷺ شيئاً فرخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فَحَطَبَ فَحَمِدَ الله ثم قال: «ما بال أقوام يتنزهون عن

¹⁸¹ عتيق، علم المعاني، 53.

¹⁸² محمد علي طه الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، (دمشق: دار ابن كثير، 1430 هـ / 2009م)،

452/6.

¹⁸³ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 324/18.

الشيء أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله، وأشدُّهم له خشية»¹⁸⁴.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي سلمة رضي الله عنه، أنه سأل رسول الله ﷺ أَيْقَلُ الصائم؟ فقال رسول الله ﷺ: «سل هذه» (لأم سلمة) فأخبرته، أن رسول الله ﷺ يصنع ذلك فقال يا رسول الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال رسول الله ﷺ: «أما والله إني لأتقاكم الله، وأخشاكم له»¹⁸⁵.

في قول الله تعالى: {الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا} [الفرقان، 34/25].

{الذين} اسم موصول بُني على الفتح في محل رفع مبتدأ، {أولئك شرٌّ مكانًا} جملة اسمية في محل رفع خبر، "{أولئك شرٌّ مكانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا} أولئك مبتدأ، وشر خبر، ومكانًا تمييز وأضل سبيلًا عطف على شر مكانًا، والجملة تفسيرية فلا محل لها ولك أن تعرب الذين مبتدأ والجملة خبره"¹⁸⁶.

وجملة {أولئك شرٌّ مكانًا} خبرية ابتدائية لخلوها من أدوات التوكيد، وخلوها من التوكيد جاء مطابقًا لمقتضى الحال، والمخاطب خال الذهن، وهم المشركون، فكان ذلك جزاؤهم بما كسبت أيديهم، وتكذيبهم للنبي ﷺ، فيحشرهم الله تعالى في جهنم على وجوههم، فجهنم منزلهم ومكانتهم، قال السمرقندي (ت: 375هـ) في بحر العلوم: "يسحبون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانًا يعني: منزلًا في النار وضيقًا في الدنيا وأضل سبيلًا يعني: أخطأ طريقًا، وذلك أن كفار مكة قالوا: ما كان محمدًا وأصحابه أولى بهذا الأمر منَّا، والله إنهم لشر خلق الله، فأنزل الله عز وجل: {الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ}"¹⁸⁷.

في قول الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا} [الفرقان، 48/25].

{هو} ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ، {الذي} اسم موصول بُني على السكون في محل رفع خبر¹⁸⁸.

¹⁸⁴ البخاري، "كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة"، "باب: ما يكره من التعمق والتنازع في العلم، والغلو في الدين والبدع"، 2662/6، (رقم: 6871).

¹⁸⁵ مسلم، "كتاب الصيام"، "باب: أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته"، 779/2، (رقم: 1108).

¹⁸⁶ درويش، إعراب القرآن وبيانه، 11/7.

¹⁸⁷ محمد بن نصر بن محمد السمرقندي، بحر العلوم، حققه: علي محمد عوض - عادل بن أحمد بن عبد الموجود (بيروت: دار الكتب العلمية، 1413هـ/1993م)، 460/2.

¹⁸⁸ أحمد عبيد الدعاس وآخرون، إعراب القرآن الكريم، (دمشق: دار المنير - دار الفارابي، 1425هـ/2004م)،

{بُشْرًا} قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب بالنون وضم الشين {بُشْرًا}، وقرأها ابن عامر {بُشْرًا} بالنون وضمها وإسكان الشين، وقرأها عاصم بالباء وإسكان الشين {بُشْرًا} وقرأ الباقر بالنون وفتحها وإسكان الشين {بُشْرًا}¹⁸⁹، ففي اختلاف القراءات لا يوجد تضاد في المعنى، وعلى قراءة {بُشْرًا} بضم الميم والنون أرادوا جمع النشور، وهي الريح الطيبة الهبوب، تهب من كل ناحية وجانب، وفي قراءة {بُشْرًا} بضم النون وإسكان الشين الريح الطيبة اللينة التي تنشر السحاب، وفي قراءة {بُشْرًا} بالباء المضمومة وإسكان الشين وهي جمع بشيرة وهي التي تبشر بالمطر¹⁹⁰.

جملة {وَهُوَ الَّذِي} خبرية ابتدائية لخلوها من أدوات التوكيد، وخلوها من أدوات التوكيد جاء مطابقاً لمقتضى الحال، والمخاطب خال الذهن، أي أَنَّ الله تعالى سخر هذه الرياح لتنتشر السحاب، الجملة الخبرية هنا ليس فقط لإعلام المخاطب، بل لتذكيره بقدرة الله ولطفه، وفيه إظهار الامتنان: إرسال الرياح بشارة بالمطر، وإنزال ماء طهور نافع، والترغيب في الإيمان وشكر المنعم، وإقامة الحجة على المنكرين بوصف النعم الحسية التي يشهدونها بأنفسهم، قال الصابوني (ت: 1442هـ) في صفوة التفاسير: "أنزلنا من السحاب الذي ساقته الرياح ماءً طاهراً مطهراً تشربون وتتطهرون"¹⁹¹.

في قول الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا}[الفرقان، 54/25].

{وَهُوَ الَّذِي} أعربت في الآية التي قبلها، {رَبُّكَ} اسم كان مرفوع بالضمة والكاف ضمير متصل بُني على الفتح فيحمل جر بالإضافة، {قَدِيرًا} خبر كان منصوب بالفتحة.

والجملتان: {وَهُوَ الَّذِي} و {وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا} خبريتان ابتدائيتان لخلوهما من أدوات التوكيد، وخلوهما من التوكيد جاء مطابقاً لمقتضى الحال؟ لأن المخاطب خال الذهن، فبعد أن بين الله تعالى كمال قدرته وعظمته وبين فساد عقول المشركين، فبين لهم أي: اعتبروا بنشأة هذا الخلق وكيف قدره الله تعالى بخلط ماء الرجل بماء الأنثى فيخلق منه بشراً، ثم تُعاد الكرة بالمصاهرة بمخالطة الذكر مع الأنثى وهكذا... وربما أراد بخلق آدم عليه السلام أي بداية الخليقة بخلط الماء مع التراب فصار طيناً، ويجوز أن يكون كل شيء خلقه الله تعالى فيه حياة فهو من الماء، ثم قال: {وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا}، الخطاب هنا للنبي ﷺ بقدرة الله

¹⁸⁹ محمد فهد خاروف، التسهيل لقراءات التنزيل من الشاطبية والدرّة، تقديم: محمد كريم راجح (دمشق: دار البيروني، 1429هـ/2008م)، 364.

¹⁹⁰ ينظر ابن الجوزي، زاد المسير، 130/2.

¹⁹¹ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير (القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، 1417هـ/1997م)،

تعالى على إرسالك وإنزال القرآن إليك، ثم قدرته على خلق الإنسان من مادة واحدة، قال ابن جزي (ت: 741هـ) في التسهيل: "خلق من الماء بشرًا" إن أراد بالبشر آدم عليه السلام، فالمراد بالماء: الماء الذي خلق به مع التراب فصار طينًا، وإن أراد بالبشر بني آدم فالمراد بالماء المني الذي يُخلقون منه¹⁹².

في قول الله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسُئِلَ بِهِ خَبِيرًا} [الفرقان، 59/25].

{الَّذِي} اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، {الرَّحْمَنُ} خبر مرفوع بالضمّة، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره (هو الرحمن)¹⁹³.

والجملة الخبرية في الآية خبرية ابتدائية لخلوها من أدوات التوكيد، وخلوها من التوكيد جاء مطابقاً لمقتضى الحال، والمخاطب خال الذهن لا علم له بالخبر، يقول له: إنَّ الله الذي خلق هذا الكون العظيم من السموات والأرض وما بينهما وخلق العباد على هذه الصورة في هذا الوقت، مما يدل على سعة علمه جلَّ وعلى وقدرته وعظمته، وتخصيص هذا العدد جاء لحكمة عظيمة لا يعلمها إلا الله، ولخلق السموات والأرض أكبر آية لمن أراد أن يتذكر ويعتبر؛ لأن في خلقهما تذكُّر واعتبار أعظم من خلق الإنسان، قال الله تعالى: {لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [غافر، 5/4]، فالإنسان يخلقه الله تعالى ثم يميئه بأجلٍ معلوم، واختلف أهل التأويل في {الرَّحْمَنُ فَسُئِلَ بِهِ خَبِيرًا}، فمنهم من قال: الخبير هو الله تعالى؛ لأنه الخبير بالأشياء وهو الأعلم بالتقدير وبكل الخفايا، ومنهم من قال: أي: سل رجلاً عارفاً بالله خبيراً به، ويقصد بهم العلماء العاملين المتقين العارفين بالله تعالى، ومن رجح القول الأول أي: الخبير هو الله تعالى وذلك لما جاء في الآية التي قبلها قوله تبارك وتعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا} [الفرقان، 58/25]، والله تعالى أعلم، قال الرازي في تفسيره: "الخبير هو الله عز وجل، لأنه لا دليل في العقل على كيفية خلق السموات والأرض فلا يعلمها أحد إلا الله، تعالى، وعن ابن عباس أن ذلك الخبير هو جبريل عليه السلام، وغنما قدم لرؤوس الآي وحسن النظم"¹⁹⁴، وقال البيضاوي في أنوار التنزيل: "فسأل عما ذكر من الخلق، والاستواء عالماً يخبرك بحقيقته، وهو الله تعالى، أو جبريل أو

¹⁹² أبو القاسم محمد بن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، حققه: عبدالله الخالدي (بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، 1416هـ/1995م)، 85/2.

¹⁹³ الدرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبياناه، 508/6.

¹⁹⁴ الرازي، التفسير الكبير، 478/24.

من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه، وقيل الضمير للرحمن والمعنى إن أنكروا إطلاقه على الله تعالى فسأل عنه من يخبرك من أهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم¹⁹⁵.

في قول الله تعالى: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الفرقان، 70/25].

(إِلَّا) أداة استثناء (مَنْ) اسم موصول في محل نصب على الاستثناء، (تَابَ) الجملة صلة (وَأَمَنَ) الجملة معطوفة، (وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا) ماض فاعله مستتر ومفعول مطلق، وصالحاً صفة والجملة معطوفة (فَأُولَئِكَ) الفاء استئنافية واسم الإشارة مبتدأ والكاف للخطاب (يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) مضارع وفاعله ومفعولاه المنصوبان بالكسرة والهاء مضاف إليه، والجملة خبر (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) كان واسمها وخبرها والجملة مستأنفة¹⁹⁶.

والجملتان: {يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ} و{وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} خبريتان ابتدائيتان لخلوهما من أدوات التوكيد، وخلوهما من أدوات التوكيد جاء مطابقاً لمقتضى الحال، والمخاطب خال الذهن، فبعد أن ذكر الله تعالى الصفات الثلاث التي تعتبر من أكبر الكبائر، ففاعلها يلقي العذاب مضاعفاً، ثم استثنى الله تعالى التائبين من هؤلاء، الذين يعملون عملاً صالحاً، والوعد منه الحق بتبديل تلك السيئات إلى حسنات، فالله تعالى يغفر لهم ما عملوا ويغفر لهم، والمعنى أن من تاب منهم فإن العذاب لا يضاعف له، ولا يكون من الخالدين فيه، وهذا يُعطي طمأنينة لفئة من المؤمنين الذين سبق أن ارتكبوا شيئاً من أفعال المشركين، ثم أنابوا ورجعوا إلى الله، فكان رجوعهم وتوبتهم سبباً في رفع الوعيد عنهم، قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: "والتقدير إلا من تاب فلا يضاعف له العذاب ولا يخلد فيه، وهذا تطمين لنفوس فريق من المؤمنين الذين قد كانوا تلبسوا بخصال أهل الشرك ثم تابوا عنها بسبب توبتهم من الشرك، وإلا فليس في دعوتهم مع الله إلهاً آخر بعد العنوان عنهم بأنهم عباد الرحمن ثناء زائد"¹⁹⁷، وفي صحيح مسلم أن سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ قَتَلُوا، فَأَكْثَرُوا وَزَنَوْا فَأَكْثَرُوا، ثُمَّ أَتَوْا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُوا لِحَسَنٍ، وَلَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمَلْنَا كَفَارَةً، فَنَزَلَ {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ

¹⁹⁵ ناصر الدين بن عبد الله البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، حققه: محمد عبدالرحمن المرعشلي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1418 هـ / 1997 م)، 129/4.

¹⁹⁶ الدعاس، إعراب القرآن الكريم، 377/2.

¹⁹⁷ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 75/19.

أثاماً{[الفرقان/68/25]، وَنَزَلَ {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ}{[الزمر، 53/39] «¹⁹⁸.

في قول الله تعالى: {أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا}{[الفرقان، 75/25].
"وجملة: {يُجْزَوْنَ}.. إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: {أُولَئِكَ}.. إلخ في محل رفع خبر: (عباد الرحمن) على اعتبار الاسم الموصول خبراً له¹⁹⁹.

{وَيُلَقَّوْنَ} قرأ شعبة وحمزة والكسائي وخلف {وَيُلَقَّوْنَ} بفتح الياء وإسكان اللام وعدم تشديد القاف²⁰⁰.

وجملة {يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ} خبرية ابتدائية لخلوها من أدوات التوكيد، وخلوها من أدوات التوكيد جاء مطابقاً لمقتضى الحال، فيها إشارة على أولئك الذين كانت خصالهم وأوصافهم بما وصفهم الله تعالى بها، فهي صفات لعباد الرحمن، قال الله تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا}{[الفرقان، 63/25 - 64 - 65 - 66 - 67]، وقول الله تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا}{[الفرقان، 68/25]، وقول الله تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا}{[الفرقان، 72/25 - 73]، ففي هذه الآيات أمرهم الله تعالى أن يفعلوا الطاعات والعبادات، واجتناب وترك المحرمات، "التصديق باسم الإشارة للتنبيه على أن ما يرد بعده كانوا أحرى به لأجل ما ذكر قبل اسم الإشارة وتلك مجموع إحدى عشرة خصلة وهي: التواضع، والحلم، والتهجد، والخوف، وترك الإسراف، وترك الإقتار، والتنزه عن الشرك، وترك الزنا، وترك قتل النفس، والتوبة، وترك الكذب، والعفو عن المسيء، وقبول دعوة الحق، وإظهار الاحتياج إلى الله بالدعاء، واسم الإشارة هو الخبر عن قوله: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ}{[الفرقان، 63/25]"²⁰¹.

¹⁹⁸ مسلم، "كتاب الإيمان"، "باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج"، 113/1، (رقم: 122).

¹⁹⁹ الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، 530/6.

²⁰⁰ خاروف، التسهيل لقراءات التنزيل، 366.

²⁰¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 84/19.

المطلب الثاني: الخبر الطلبي في سورة الفرقان

في الخبر الطلبي يكون المخاطب متردد وشاك بمدلول هذا الخبر فيجب على المخاطب أن يأتي بمؤكد لإزالة هذا الشك والتردد والوصول إلى الحقيقة المنشودة، ويكفي في الخبر الطلبي أن يأتي المخبر بمؤكد واحد، قال عتيق في علم المعاني: "أن يكون المخاطب متردداً في الحكم شاكاً فيه، ويبغي الوصول إلى اليقين في معرفته، وفي هذه الحال يحسن توكيده له ليتمكن من نفسه، ويحل فيها اليقين محل الشك، ويسمى هذا الضرب من الخبر طلبياً"²⁰²، وقد تحقق الخبر الطلبي في كثير من المواطن في سورة الفرقان وهي:

في قول الله تعالى: {الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان، 2/25].

{لَهُ} جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم، {مُلْكُ} مبتدأ مؤخر مرفوع بالضم، {لَهُ} الثانية جار ومجرور متعلق خبر مقدم، {شَرِيكٌ} مبتدأ مؤخر مرفوع، "الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً" هذا الموصول يجوز أن يكون بدلاً من الموصول الأول، أو خبر لمبتدأ محذوف فيكون محله الرفع، ويجوز نصبه على المدح، وما بعده تمام الصلة للموصول الأول، وله خبر مقدم، وملك السموات والأرض مبتدأ مؤخر، والجملة صلة الموصول، ولم يتخذ ولداً عطف على ما تقدم²⁰³.

الجملة: {لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، خبرية طلبية جاء توكيدها بمؤكد واحد وهو تقديم الخبر على المبتدأ، {لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، فقله {لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} فيه قصر وحصر للملك به سبحانه؛ فـ"له" مقدّمة على المبتدأ للدلالة على الاختصاص، أي لا مالك حقيقي غيره، وفيه ردّ على مدّعي الألوهية أو الشركاء، {وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً} نفي صريح لما نسب به بعضهم من بنوّة (كما قالت النصارى واليهود والمشركون)، {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ} عطف على النفي الأول لتأكيد استقلاله بالملك، لجمع بين النفيين فيه استقصاء لجميع مظاهر النقص البشري: حاجة الإنسان إلى ولد، وحاجته إلى معين وشريك، قوله: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ} تعبير موجز شامل، يعمّ جميع الموجودات بلا استثناء، حذف المفعول به بعد "خلق" وجيء بكلمة "كل شيء" لتعم، فيدل على كمال القدرة، بعد ذكر الخلق جاء قوله {فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا}، أي أعطى كل مخلوق مقداره وحدوده وصفاته وأجله ووظيفته في الكون، وهذا من بدیع المطابقة بين الخلق والتقدير:

²⁰² عتيق، علم المعاني، 53.

²⁰³ درويش، إعراب القرآن وبيانه، 666/6.

الخلق إيجاد، والتقدير إحكام وضبط، فالملك ملكه والخلق خلقه والسلطان سلطانه، وهو المنفرد بالألوهية، وهو وحده المتصرف في ملكه وفي خلقه كيف يشاء، ولم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك، ولكن الذين كفروا جعلوا له ولدًا وجعلوا له شركاء، قال الله تعالى: {قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ} [المؤمنون، 86/23-87]، قال الصابوني في صفوة التفاسير: "أي: هو تعالى المالك لجميع ما في السموات والأرض خلقًا وملكًا وعبيدًا"²⁰⁴، {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ} قال أبو زهرة في زهرة التفاسير: "هذا نفي مطلق لأنه لو كان له شريك في الملك ما استقام الكون كما قال الله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} [الأنبياء، 22/21]"²⁰⁵.

في قول الله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا} [الفرقان، 3/25].

{وَهُمْ} الواو حالية أو عاطفة، {هُمْ} ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ، "والجملة الخبرية: {وَهُمْ يَخْلُقُونَ}"²⁰⁶، والجملة خبرية طلبية جاء توكيدها بمؤكد واحد وهو تكرار النفي في (لا يخلقون- ولا يملكون- ولا نفعًا- ولا يملكون الثانية- ولا حياة- ولا نشورًا)، والمخاطب شاك ومتردد، والضمير يعود على الكفار، وهم المخاطبون بهذا الخبر، والتعجب من اتخاذهم آلهة باطلة مع وصف تلك الآلهة بصفات العجز التام (لا يخلقون، يُخْلَقُونَ، لا يملكون...)، يفضح سفههم ويظهر تناقضهم، بدأ بنفي القدرة على الخلق (أصل الألوهية)، ثم نفي القدرة على دفع الضر أو جلب النفع، ثم نفي القدرة على التصرف في الموت والحياة والنشور، هذا التدرج البلاغي يقود السامع من أول دليل عقلي إلى أقوى دليل على بطلان الألوهية، هذا التكرار يرسخ في ذهن السامع أن هذه الآلهة لا تملك شيئًا من خصائص الإله، الآية تحمل في طياتها تهكمًا ضمنيًا: كيف يُعبد من لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، قال ابن أبي طالب في الهداية: "واتخذوا من دونه آلهة أي: اتخذ مشركو قريش آلهة يعبدونها من دون الله يقرعهم بذلك، ويعجب أهل النهي من فعلهم وعبادتهم ما لا يخلق شيء وهو يُخلق"²⁰⁷.

²⁰⁴ الصابوني، صفوة التفاسير، 325/2.

²⁰⁵ محمد أحمد مصطفى أبو زهرة، زهرة التفاسير (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت)، 5246/10.

²⁰⁶ صافي، الجدول في إعراب القرآن، 305/8.

²⁰⁷ مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، 5174/8.

في قول الله تعالى: {إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً} [الفرقان، 6/25]. (الهاء في إِنَّه) ضمير متصل مبني على الضم في محل نصب، {غفوراً} خبر كان منصوب {رحيماً} خبر ثاني منصوب، والجملة {كان غفوراً رَحِيماً} في محل رفع خبر إن²⁰⁸، "وجملة: كان غفوراً رَحِيماً في محل رفع خبر إن²⁰⁹".

وجملة {إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً} خبرية طلبية جاءت مؤكدة بمؤكد واحد وهو الحرف المشبه بالفعل (إِنَّ في إِنَّه)، والخطاب للنبي ﷺ، والمعنى قل لهم بأن الذي أنزل القرآن هو الذي يعلم السر في السموات والأرض، والذي لا يخفى عليه شيء، قال الله تعالى: {قُلْ إِنْ تُحْضِرُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذِرُوا مَا يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران، 29/3]، وقال أيضاً: {رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا تُخْفِي وَمَا تُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ} [إبراهيم، 38/14]، وقال أيضاً: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر، 53/39]، وقال أيضاً: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} والله تعالى يغفر لمن يشاء {[غافر، 19/40]، وقال أيضاً: {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً} [الفتح، 14/48]، وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنه « أن أناساً من أهل الشرك، قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إِنَّ الذي تقول وتدعوا إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا لكفارة فنزل: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ} [الفرقان، 68/25]، ونزل: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر، 53/39] «²¹⁰، ففي هذه الآيات أخبر الله تعالى نبيه ﷺ بأن الذي أنزل القرآن هو الذي يعلم ما في السر وما في العلن، وليس من النبي ﷺ ولو كان كذلك لعلمه الله تعالى، قال الله تعالى: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ} [الحاقة، 44/69]، وأنه تعالى غفور لم تاب وآمن وعمل صالحاً، فإن الإسلام يَجِبُ ما قبله، والله تعالى رحيم بالمؤمنين، قال الزمخشري في الكشاف: "كيف طابق قوله: {إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً}، هذا المعنى؟ قلت: لما كان ما تقدمه في معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه، لأنه لا يوصف بالمغفرة والرحمة إلا القادر على العقوبة. أو

²⁰⁸ الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، 453/6.

²⁰⁹ صافي، الجدول في إعراب القرآن، 307/9.

²¹⁰ البخاري، "كتاب التفسير"، "باب: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ}"، 1811/4، (رقم: 4532)؛ ومسلم، "كتاب الإيمان"، "باب: كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج"، 113/1، (رقم: 122).

هو تنبيه على أنهم استوجبوا بمكابرتهم هذه أن يصب عليهم العذاب صبًا، ولكن صرف ذلك عنهم إنه غفور رحيم: يمهل ولا يعاجل"211.

في قول الله تعالى: {أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا} [الفرقان، 8/25].

(له) جار ومجرور متعلق خبر مرفوع مقدم، {جَنَّةٌ} اسم تكون مؤخر مرفوع²¹².

{يَأْكُلُ} قرأها حمزة والكسائي وخلف بالنون {نَأْكُلُ} وقرأها الباقون بالياء²¹³.

وجملة {أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ} خبرية طلبية جاءت بمؤكد واحد وهو تقديم الخبر على المبتدأ، والتقديم جاء لغرض التوكيد؛ لأن المخاطب متردد وشاك، وفي هذه الآية إنكار على قولهم هذا، فبدأوا باعتراضهم كون النبي ﷺ يأكل الطعام، ثم اعترضوا عليه كونه يمشي في الأسواق يتبضع ويتاجر، ثم كان اعتراضهم لولا أنزل إليه ملك فيكون معه في الدعوة والإنذار، ثم اعترضوا وقالوا لو أُلقي إليه المال فيكون حاله حال الأغنياء مُكتفي وغير محتاج للتجارة، ثم قالوا لو أُعطي بستانًا يأكل منها، فهذا كله محض أكاذيب اخترعها الكفار من عقولهم لتشويه ما جاء به النبي ﷺ، فكان الإنكار عليهم أوجب، "كأنهم قالوا: ما لهذا الزاعم أنه رسول ونحوه قول فرعون: {قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ} [الشعراء، 27/26]، أي: إن صحَّ أنه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا يأكل الطعام كما نأكل، ويتردد في الأسواق لطلب المعاش كما نتردد، يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكٌ مستغنياً عن الأكل والتعيش، ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكًا إلى اقتراح أن يكون إنسانًا معه ملك، حتى يتساندا في الإنذار والتخويف، ثم نزلوا أيضًا فقالوا: وإن لم يكن مرفودًا بملك، فليكن مرفودًا بكنز يلقي إليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش، ثم نزلوا فاقنعوا أن يكون رجلًا له بستان يأكل منه ويرتزق كما الدهاقين والياسير، أو يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم"214.

في قول الله تعالى: {لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُنَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا} [الفرقان، 16/25].

الجملة: {لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُنَ}، خبرية طلبية جاء توكيدها بمؤكد واحد وهو تقديم الخبر على المبتدأ في (لهم: الجار والمجرور في محل رفع متعلق بخبر مقدم، ما يشاؤون {ما} اسم موصول مبني على السكون

²¹¹ الزمخشري، الكشاف، 265/3.

²¹² الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، 455/6.

²¹³ خاروف، التسهيل لقراءات التنزيل، 360.

²¹⁴ الزمخشري، الكشاف، 265/3.

في محل رفع مبتدأ مؤخر²¹⁵ والتقديم جاء لغرض التوكيد، والمخاطب هو النبي ﷺ، بأن الجنة هي الثواب للمتقين، ومصيرهم ومنزلتهم، وفيها ما لا عين رأت ولا أدُنُّ سمعت وما لم يخطر على قلب بشر، وفيها ما تشتهي أنفسهم، وفيها نعيم دائم مقيم، ففي الحديث القدسي الذي رواه البخاري، ومسلم، وابن حنبل، وأيضاً الترمذي (ت: 279هـ) في سننه: قال رسول الله ﷺ: « قال الله تعالى: (أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أدُنُّ سمعت، ولا خطر على قلب بشر)، فاقروا إن شئتم {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} [السجدة، 17/32] »²¹⁶، وهذا وعدٌ من الله تعالى إنه لا يخلف الميعاد، كان ذلك وعداً حقاً واجباً على الله تعالى إنجازَه، حقيقةً أن يسئل ويطلب، لأنه جزاء وثوابٌ مستحق، والطلب من المؤمنين، كما قال الله تعالى: {رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادُ} [آل عمران، 194/3]، وطلبٌ من الملائكة أيضاً لمحبتهم للمؤمنين، قال الله تعالى: {رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [غافر، 8/40].

في قول الله تعالى: {يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا} [الفرقان، 22/25].

{لَا بُشْرَى} {لَا} نافية للجنس تعمل عمل إن، {بُشْرَى} اسم لا بُنْيَ على الفتح المقدر في محل نصب. {لِلْمُجْرِمِينَ} جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر لا النافية للجنس، "{لَا}" نافية للجنس تعمل عمل: إن، {بُشْرَى}: اسم {لَا} مبني على فتح مقدر على الألف في محل نصب²¹⁷.

وجملة {لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ} خبرية طلبية جاءت مؤكدة ب (لا النافية للجنس التي تعمل إن)، فالمجرمون عندما يرون الملائكة يوم القيامة يكون شرُّ لهم؛ لأنهم قالوا: {وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ} [الفرقان، 21/25]، وقالوا أيضاً: {أَوْ تَأْتِي بَالَهُ الْمَلَائِكَةُ قَبِيلًا} [الإسراء، 92/17]، ولكن هذه الرؤيا سوف تسوؤهم، فكانت أمنيتهم رؤية الملائكة، وهم لا يعلمون بأن هذه الرؤيا شرُّ لهم، ثم جاء الخبر بأن هذا اليوم لا بشرى لهم، وربما سيكون لقاءهم للملائكة عند قبض أرواحهم، واستعمال النفي

²¹⁵ درويش، إعراب القرآن وبيانه، 678/6.

²¹⁶ البخاري، "كتاب بدء الخلق"، "باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة"، 1185/3، (رقم: 3072)؛ ومسلم، "كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها"، 2174/4، (رقم: 2824)؛ وابن حنبل، مسند الإمام أحمد، "مسند أبي هريرة رضي الله عنه"، 489/13، (رقم: 8143)؛ ومحمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك أبو عيسى الترمذي، سنن الترمذي، حققه: أحمد بن محمد بن شاكر (ج1- ج2) - ومحمد بن فؤاد بن عبد الباقي (ج3) - وإبراهيم بن عطاء (ج4- ج5) (مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1395هـ/1975م، باب: ومن سورة السجدة، 346/5، (رقم: 3197)، وقال عنه هذا حديث حسن صحيح.

²¹⁷ الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، 472/6.

في البشرى هو للحن والعذاب، وحجراً محجوراً أي: حراماً محرماً دخولكم الجنة، قال الماوردي في النكت والعيون: "وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا" فيها ثلاثة أوجه: أحدهما: معاذ الله أن تكون لكم البشرى يومئذ، قاله مجاهد، والثاني: منعنا أن نصل إلى الشيء من الخير، قاله عكرمة، والثالث: حراماً محرماً أن تكون لكم البشرى يومئذ قاله أبو سعيد الخدري والضحاك وقتادة²¹⁸، "ويقال: إنَّ المشركين في الشهر الحرام إذا استقبلهم أحد يقولون: حجراً محجوراً، ويريدون أن يذكره أنه في الشهر الحرام"²¹⁹.

في قول الله تعالى: {إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا} [الفرقان، 30/25].

(قومي) اسم إن منصوب، {اتَّخَذُوا} في محل رفع خبر إن²²⁰.

وجملة {إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا} خبرية طلبية جاءت مؤكدة بمؤكد واحد وهو الحرف المشبه بالفعل (إنَّ في- إنَّ قومي)، والمخاطب هو الله تعالى، فيقول الرسول ﷺ: يوم القيامة شاكياً لله تعالى بأن قومه تركوا القرآن، وهجروه وكذبوه وصدوا عنه، فجاء العزاء من الله تعالى في الآية التي بعدها: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا} [الفرقان، 31/25]، فكَذَلِكَ كان حال الأنبياء من قبلك، فقد جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين المتكبرين، فصبروا على ما أودوا به، فاصبر كما صبروا، قال الله تعالى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} [غافر، 77/40]، وقال أيضاً: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَا الْعُرْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ} [الأحقاف، 35/46] وقال: {فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا} [المعارج، 5/70]، قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: "وفعل الاتخاذ إذا قيد بحالة يفيد شدة اعتناء المتخذ بتلك الحالة بحيث ارتكب الفعل لأجلها وجعله لها قصداً. فهذا أشد مبالغة في هجرهم القرآن من أن يقال: إن قومي هجروا القرآن، واسم الإشارة في هذا القرآن لتعظيمه وأن مثله لا يتخذ مهجوراً بل هو جدير بالإقبال عليه والانتفاع به"²²¹.

في قول الله تعالى: {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ} [الفرقان، 44/25].

{أَكْثَرَهُمْ} اسم أن منصوب، و {هُمْ} ضمير متصل في محل جر بالإضافة، {يَسْمَعُونَ} فعل مضارع مرفوع بثبوت النون و(الواو) فاعل والجملة من الفعل والفاعل في محل رفع خبر أن، {يَعْقِلُونَ} مثل يسمعون

²¹⁸ علي بن محمد الماوردي البصري البغدادي، النكت والعيون، حققه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم (بيروت: دار الكتب العلمية، دت)، 140/4.

²¹⁹ السمرقندي، بحر العلوم، 534/2.

²²⁰ الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، 480/6.

²²¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 17/19.

وتعرب إعرابها، " {يَسْمَعُونَ:} فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: {أَنَّ،} وجملة {يَعْقِلُونَ} معطوفة عليها، فهي في محل رفع مثلها"²²².

والجملتان: {أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ- يَعْقِلُونَ} خبريتان طلبيتان جاء توكيدهما بمؤكد واحد وهو الحرف المشبه بالفعل في (أَنَّ أَكْثَرَهُمْ)، والخطاب موجه إلى النبي ﷺ، أي: أظن أنهم يسمعون ويعقلون ما تتلوا عليهم من الآيات، فلا تجتهد في دعوتهم، والمراد هو نفي الاستماع ومعرفة الحق، قال الله تعالى: {إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ} [النمل، 80/27]، وجاء عطف أو يعقلون على يسمعون ليشير إلى نفي إدراكهم العقلي لما حولهم من الأدلة اللفظية، وهي الآيات المشهودة في المخلوقات، التي تدل على توحيد الله وقدرته، قال الله تعالى: {قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْطِي الْآيَاتِ وَالنُّذُرِ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} [يونس، 101/10]، وهذا ذم لهم، ولهذا جاء وصفهم في هذه الآية بالأنعام بل هم أضل، "كَانَ" هذه المذمة أشد من التي تقدمتها حتى حفت بالإضراب عنها إليها وهو كونهم مسلوبی الأسماع والعقول؛ لأنهم لا يلقون إلى استماع الحق أدنًا إلى تدبره عقلاً، ومشبهين بالأنعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة ونفي ذلك عن أكثرهم؛ لأن فيهم من سبقت له السعادة فأسلم، وجعلوا أضل من الأنعام؛ لأنها تنقاد لأربابها"²²³.

في قوله تعالى: {إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا} [الفرقان، 65/25].

{عَذَابَ} اسم إنَّ منصوب، {كَانَ غَرَامًا} جملة فعلية في محل رفع خبر إنَّ، " {إِنَّ:} حرف مشبه بالفعل. {عَذَابَهَا:} اسم {إِنَّ،} و (ها): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، {كَانَ:} فعل ماض ناقص، واسمه ضمير مستتر فيه تقديره: (هو). {غَرَامًا} خبر {كَانَ،} والجملة الفعلية في محل رفع خبر: {إِنَّ} "²²⁴.

والجملة: {إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا} خبرية طلبية جاء توكيدها بمؤكد واحد وهو الحرف المشبه بالفعل (إِنَّ) في إِنَّ عَذَابَهَا، دعاء المؤمنين خوفاً من العذاب، ودعائهم بصرف العذاب يكون باجتناب السيئات وعمل الصالحات، و{كَانَ غَرَامًا}، قال الزجاج (ت: 311هـ) في معاني القرآن وإعرابه: "الغرام في اللغة:

²²² الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، 494/6.

²²³ أبو حيان، البحر المحيط، 110/8.

²²⁴ الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، 516/6.

أشد العذاب، قال الشاعر: ويوم النّسار ويوم الجفار... كانّا عذابًا وكانّا غرامًا²²⁵، "هم مع طاعتهم مشفقون وجلون خائفون من عذابه، والغرام: اللازم الدائم، ومنه سمي الغريم لملازمته، ويقال: فلان مغرم بكذا، أي: ملازم له مولع به، هذا معناه في كلام العرب، كما ذكره ابن الأعرابي وابن عرفة وغيرهما، ومنه قول الأعشى: إن يعاقب يكن غرامًا وإن... يعطي جزيلًا فإنه لا يبالي"²²⁶، "غرامًا: ثقیلاً قاله قطرب ومنه قوله تعالى: {فَهُمْ مِّنْ مَّعْزَمٍ مُّثْقَلُونَ} [القلم، 46/68]"²²⁷، وهذا حال المؤمنين مع عبادتهم وجهده في الطاعة خائفون ويتعوذون من عذاب الله تعالى.

في قول الله تعالى: {إِنَّهَا سَاعَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا} [الفرقان، 25 / 66].

(الهاء في إِنَّهَا) ضمير متصل مبني على السكون في محل نصب إنَّ، {سَاعَتْ} فعل ماضي مبني على الفتح والتاء تاء التانيث الساكنة، والفاعل ضمير مستتر تقديره هي، والجملة من الفعل والفاعل في محل رفع خبر إنَّ²²⁸.

وجملة {إِنَّهَا سَاعَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا} خبرية طلبية جاءت مؤكدة بمؤكد واحد وهو الحرف المشبه بالفعل (إِنَّ في إِنَّهَا)، وساعت من أفعال الذم، والمستقر هو مكان للاستقرار، والمقام هو مكان للإقامة، والمقام هو الخلود قال الله تعالى: {الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ} [فاطر، 35/35]، "وقرأ جمهور الناس (مقاما) بضم الميم من الإقامة، ومنه قول الشاعر: (حيوا المقام... وحيوا ساكن الدار)، وقرأت فرق (مقاما) بفتح الميم من قام يقوم فجهم ضد مقام كريم والأول أفصح وأشهر"²²⁹، ومستقر الكافرين والمشركين جهنم فبنس المقام وبنس المستقر، وهي مقابلة لما ذكر الله تعالى في نعيم أهل الجنة لأهل الطاعات: {حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا} [الفرقان، 25/76]، واستخدام "إِنَّ" يضيف قوة وثباتًا للخبر، فيجعل الحقيقة المؤكدة لا يمكن التشكيك بها، البلاغة هنا تهدف إلى ترسيخ الرهبة في ذهن السامع، وساعت مستقر: أي كان المكان الذي يقيم فيه الكافر يوم القيامة سيئًا جدًّا، ساعت مقامًا: التأكيد على سوء حالهم، أي أن كل جهة من جهات الموقف عسيرة عليهم، و التكرار هنا بلاغيًا لتقوية الأثر النفسي لدى المستمع، قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: "وجملة إنها ساعت مستقرا ومقاما يجوز أن تكون حكاية

²²⁵ إبراهيم بن السري بن إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، حققه: عبد الجليل عبدة شلبي (بيروت: عالم الكتب، 1408هـ/1988م)، 75/4.

²²⁶ الشوكاني، الفتح القدير، 100/4.

²²⁷ الماوردي، النكت والعيون، 155/4.

²²⁸ الدعاس، إعراب القرآن، 376/2.

²²⁹ عبدالحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، حققه: عبدالسلام عبدالشافى محمد (بيروت: دار الكتب العلمية، 1422هـ/2001م)، 219/4.

لكلام القائلين فتكون تعليلًا ثانيًا مؤكدًا لتعليلهم الأول، وأن تكون من جانب الله تعالى دون التي قبلها فتكون تأييدًا لتعليل القائلين. وأن تكون من كلام الله مع التي قبلها فتكون تكريرًا للاعتراض، والمستقر: مكان الاستقرار، والاستقرار: قوة القرار، والمقام: اسم مكان الإقامة، أي ساءت موضعا لمن يستقر فيها بدون إقامة مثل عصاة أهل الأديان ولمن يقيم فيها من المكذبين للرسول المبعوثين إليهم²³⁰.

في قول الله تعالى: {وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا} [الفرقان، 71/25].

(من) اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، {تاب} فعل ماضي في محل جزم فعل الشرط، والفاعل ضمير مستتر تقديره (هو)، والجملة الشرطية من فعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر، {وَعَمِلَ صَالِحًا} تعرب إعراب {مَنْ تَابَ} لأنها معطوفة عليها، (الهاء في إِنَّه) ضمير متصل مبني على الضم في محل نصب إنَّ، {يَتُوبُ} فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره (هو)، وجملة {يَتُوبُ} في محل رفع خبر إنَّ²³¹.

والجملة: {فإنه يتوب إلى الله متابًا} خبرية طلبية جاء توكيدها بمؤكد واحد: (الحرف المشبه بالفعل في فَإِنَّه)، وتستعمل صيغة المبالغة "متابًا" لتصوير التوبة الكاملة، مع إبراز أن التوبة لا تنفع إلا إذا دعت بعمل صالح، فإن الذي آمن وتاب من الشرك، وتاب من أفعال المشركين ثم عمل صالحًا فأولئك فَضَّلَهُمُ اللَّهُ تعالى، قال القرطبي في جامع الأحكام: "أي من تاب بلسانه ولم يحقق ذلك بفعله، فليست تلك التوبة نافعة، بل من تاب وعمل صالحًا فحقق توبته بالأعمال الصالحة فهو الذي تاب إلى الله متابًا، أي تاب حق التوبة وهي النصوح ولذا أكد المصدر، ف (متابًا) مصدر معناه التأكيد كقوله: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء: 164] أي فإنه يتوب إلى الله حقًا فيقبل الله توبته حقًا"²³².

المطلب الثالث: الخبر الإنكاري في سورة الفرقان

في الخبر الإنكاري يكون المخاطب مُنْكَرًا لمدلول هذا الخبر غير مُصَدِّقُه ففي هذه الحالة يجب على المخاطب أن يأتي بمؤكدين أو أكثر لتأكيد ذلك الخبر وإزالة هذا الإنكار والوصول إلى الحقيقة المنشودة، قال عتيق: "أن يكون المخاطب منكرًا لحكم الخبر، وفي هذا الحال يجب أن يؤكد له الخبر بمؤكد أو أكثر، على

²³⁰ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 71/19.

²³¹ الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، 523/6.

²³² القرطبي، جامع الأحكام، 79/13.

حسب درجة إنكاره من جهة القوة والضعف، ويسمى هذا الضرب من الخبر إنكارياً²³³، وقد تحقق الخبر الإنكاري في سورة الفرقان في عدة مواضع وهي:

في قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان، 20/25].

"(وَمَا) الواو استئنافية ما نافية، (أَرْسَلْنَا) ماض وفاعله والجملة مستأنفة (قَبْلَكَ) ظرف زمان متعلق بأرسلنا والكاف مضاف إليه (مِنَ الْمُرْسَلِينَ) متعلقان بأرسلنا (إِلَّا إِنَّهُمْ) أداة حصر، وإن واسمها والجملة حالية (لَيَأْكُلُونَ) اللام لام المرحلة ومضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة خبر (الطَّعَامَ) مفعول به (وَيَمْشُونَ) معطوف على يأكلون وإعرابه مثله²³⁴.

جاء تأكيد الجملة الخبرية : النفي (وما أرسلنا)، والحرف المشبه بالفعل (إِنَّ فِي إِنَّهُمْ) و(لام الابتداء في لَيَأْكُلُونَ وجاءت الجملة الخبرية ردًا على المشركين لاستهزائهم وتهكمهم بالرسول ﷺ ﴿وَقَالُوا مَا لِيَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [الفرقان، 7/25]، فجاءت هذه الأخبار ردًا على قولهم كيف يزعم بالرسالة وهو ليس بملك ولا ملك؛ لأن الملوك لا تتبذل في الأسواق؛ ولأن الملائكة لا تأكل، وإن كان أرسله الله لكان أرسل معه ملك ليكون له شاهدًا على صدق دعواه، وهذا كله من أباطيلهم وإنكارهم لرسالته ﷺ، والنبي ﷺ حاله حال بقية الأنبياء الذين بُعِثُوا من قبله ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف، 9/46]، فهو من الأدميين كبقية الأنبياء والرسل، فالأنبياء يأكلون ويشربون ويتجولون في الأسواق للتجارة والتكسب، "يقول لهم جل ثناؤه وما أنكر يا محمد هؤلاء القائلون ﴿وَقَالُوا مَا لِيَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ من أكلك الطعام ومشيك في الأسواق، وأنت لله رسول، فقد علموا أنا ما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا مَنْ إنهم لَيَأْكُلُونَ الطعام ويمشون في الأسواق كالذي تأكل أنت وتمشي، فليس لهم عليك بما قالوا من ذلك حجة؟"²³⁵.

في قول الله تعالى: ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان، 42/25].

²³³ عتيق، علم المعاني، 53.

²³⁴ الدعاس، إعراب القرآن الكريم، 368/2.

²³⁵ الطبري، جامع البيان، 491/8.

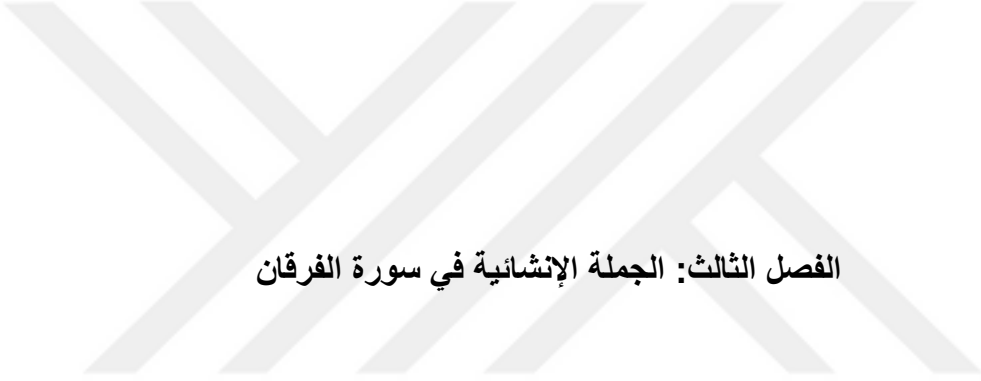
الفعل الماضي الناقص {كادَ} من أفعال المقاربة، واسمه ضمير مستتر تقديره (هو)، {لَيُضِلُّنَا} في محل نصب خبر {كادَ}، قال ابن عقيل (ت: 769هـ) في شرحه لألفية ابن مالك في حديثه على أفعال المقاربة (كاد، وكرب، وأوشك) "كلها تدخل على المبتدأ والخبر فترفع المبتدأ اسماً لها، ويكون خبره خبراً لها، في موضع نصب وهذا هو المراد بقوله: ككان كاد وعسى" ²³⁶، "(إن) مخففة من الثقيلة، (كادَ) ماض ناقص واسمها محذوف، (لَيُضِلُّنَا) اللام الفارقة بين النفي والإثبات وفعل مضارع ومفعوله وفاعله مستتر، والجملة خبر كاد" ²³⁷.

وجملة {إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا} خبرية إنكارية جاء توكيدها بأربع مؤكدات هي: (إِنْ مكسورة الهمزة في إِنْ كاد وهي مخففة) و(لام الابتداء في لَيُضِلُّنَا) و(أَنْ مفتوحة الهمزة في أَنْ صبرنا، حرف مصدري) و(سوف الداخلة على فعل يعلمون)، (إن كاد): أسلوب يُفيد المقاربة، يعني: (أوشك أن يفعل)، هذا يعطي صورة قوية عن تأثير دعوة النبي ﷺ عليهم، حتى كادوا يتركون آلهتهم، (لَيُضِلُّنَا): الفعل مضارع مسبوق بلام التوكيد فيه تقوية للمعنى، ليظهر أن تأثيره عليهم كان وشيكاً جداً، وفيه دلالة على أَنَّ النبي ﷺ أقام عليهم الحجج والبراهين ليضلهم عن عبادة الأصنام، ولكنهم أبوا إلا عبادة هذه الأصنام، وموعدهم يوم القيامة يوم الحساب حينها يعلمون مَنْ كان على الحق وَمَنْ كان على الباطل، قال السمعاني في تفسيره: "قوله: {إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا} عَنْ آلِهَتِنَا} أي: قد قارب أن يضلنا عن آلهتنا، قال الشاعر: (هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكَدْتُ وَلَيْتَنِي.... تركت على عُثْمَانَ تَبْكِي حُلَائِلَهُ)، وقوله: {لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا} أي: لو لم نصبر عليها لأضلنا عنها، وقوله: {وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا} أي: أخطأ سبيلاً" ²³⁸.

²³⁶ عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (القاهرة: دار التراث، دار مصر للطباعة، 1400هـ/1980)، 323/1.

²³⁷ الدعاس، إعراب القرآن الكريم، 372/2.

²³⁸ السمعاني، تفسير القرآن، 21/4.



الفصل الثالث: الجملة الإنشائية في سورة الفرقان

الجملة الإنشائية: عرفها ابن الحاجب (ت: 646هـ) في الأمالي: "كل جملة عن نفس المعنى من غير اعتبار تعلق العلم به، وبيانه إنك إذا قام بنفسك طلب الماء من زيد وعلمت حصول ذلك الطلب، فإذا قصدت التعبير عن الطلب باعتبار تعلق العلم به قلت: طلبت من زيد ماء، فإن قصدت إلى التعبير عن نفس الطلب من غير نظر إلى تعلق العلم به قلت: أسقني، وكذلك التقدير في جميع معاني الأشياء كالاستفهام والتمني والتحضيض والنداء"²³⁹، والجملة الإنشائية قال عنها عباس حسن (ت: 1398هـ) في النحو الوافي: "هي التي يطلب بها إما حصول شيء، أو عدم حصوله، وإما إقراره والموافقة عليه، أو عدم إقراره، فلا دخل للصدق والكذب فيها"²⁴⁰، أو هي التي لا تحتل الصدق والكذب، وهي تشتمل على نوع من الطلب، وتقسم إلى قسمين اثنين: جملة إنشائية طلبية وفيها: (الاستفهام، الأمر، النهي، التمني، النداء)، وأخرى غير طلبية وفيها: (المدح، الذم، القسم، التعجب، الترجي، صيغ العقود).

والجملة الإنشائية لا تقع خبراً، ولا تقع حالاً، ولا تكون صفة "وقد لا تكون طلبية كقولنا: نعم الرجل زيد، وبئس صاحب عمرو، وربما يقوم بكر، وكم غلام ملك، وما أحسن خالدًا، وصيغ العقود نحو: بعت واشتريت، فإن هذه كلها إنشائية وليس شيء منها بطلبي"²⁴¹، والإنشاء في اللغة: عرفه دراز (ت: 1435هـ) في الأساليب الإنشائية: "الإيجاد والإحداث والإبداع، وهو في التصنيف البلاغي يقابل الخبر، وهو العلم بالأشياء المعلومة من جهة الخبر، والإنشاء إيجاد معنى بلفظ يقارنه في الوجود وقد قالوا أن الخبر ما يحتمل الصدق والكذب لذاته، وقولهم لذاته: يخرج ما تدل القرائن والدلائل على تعيين صدقه كالقرآن الكريم، وحديث النبي ﷺ"²⁴²، و"الإنشاء عند علماء البلاغة: الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقه هذه النسبة أولاً تطابقه، وعند الأدباء فنٌ يُعَلَّمُ به جمع المعاني والتأليف بينها وتنسيقها ثم التعبير عنها بعبارات أدبية بليغة"²⁴³.

²³⁹ عثمان بن عمر بن أبي بكر بن الحاجب، أمالي ابن الحاجب، حققه: فخر بن صالح بن سليمان قدارة (الأردن: دار عمار- بيروت: دار الجبل، 1409هـ/1989م)، 781/2.

²⁴⁰ عباس حسن، النحو الوافي، (مصر: دار المعارف، تاريخ النشر: د.ت)، 374/1.

²⁴¹ القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 43/2.

²⁴² صباح عبيد دراز، الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، (مصر: مطبعة الأمانة، 1406هـ/1986م)، 7.

²⁴³ إبراهيم مصطفى وآخرون، مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (مصر: مكتبة الشروق الدولية، 1425هـ/2004م)، 920.

الإنشاء في اللغة: عرفه أبو البقاء (ت: 1094هـ) في الكليات: "الإيجاد والإحداث، وأنشأ يحكي: جَعَلَ وابتدأ، وأنشأ الله السحاب: رفعه، وأنشأ الحديث: وضعه"²⁴⁴.

أما من الناحية البلاغية: عرفه البيهقي في أدوات الإعراب: "هو كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته"²⁴⁵، فيبين من فهم التعريف اللغوي والاصطلاحي للإنشاء هو كلام لا يحتمل الصدق والكذب قطعاً، ويقسم إلى قسمين اثنين:

- 1- الإنشاء الطلبي: هو ما يدل على طلب، ولم يتحقق وقت الطلب وتستخدم فيه أساليب مثل: (أسلوب الاستفهام، أسلوب الأمر، أسلوب النهي، أسلوب التمني، أسلوب النداء).
- 2- الإنشاء (غير الطلبي): هو ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، وتستخدم فيه أساليب مثل: (المدح، الذم، القسم، الرجاء، التعجب، صيغ العقود).

المبحث الأول: أسلوب الإنشاء الطلبي وأغراضه البلاغية في سورة الفرقان

أسلوب الإنشاء الطلبي: قال القزويني في الإيضاح: "والطلب يستدعي مطلوباً غير حاصل عند الطلب لامتناع تحصيل الحاصل"²⁴⁶، وعرفه عتيق (ت: 1396هـ) في علم المعاني: "هو ما يتأخر وجود معناه عن وجود لفظه، أو هو ما يسبق وجود لفظه عن وجود معناه"²⁴⁷.

المطلب الأول: أسلوب الاستفهام

الاستفهام في اللغة: "استفهم عن يستفهم استفهاماً، فهو مستفهم، والمفعول مُستفهم، استفهمه الأمر، استفهمه عن الأمر، استفهم منه عن الأمر، سأله استفسر، استوضح"²⁴⁸.

الاستفهام في الاصطلاح: عرفه المراغي في علوم البلاغة: "هو طلب فهم شيء لم يتقدم لك علم به"²⁴⁹، والاستفهام نوعان:

²⁴⁴ أيوب بن موسى أبو البقاء الحسيني، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، حققه: عدنان درويش- محمد المصري (بيروت: مؤسسة الرسالة، تاريخ النشر: د.ت)، 197.

²⁴⁵ ظاهر شوكت البيهقي، أدوات الإعراب، (بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1425هـ/2005م)، 265.

²⁴⁶ القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 52/3.

²⁴⁷ عتيق، علم المعاني، 73.

²⁴⁸ مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة: فهم، 1748/3.

²⁴⁹ المراغي، علوم البلاغة، 64.

المقصد الأول: الاستفهام الحقيقي: ويقسم إلى قسمين:

1. الاستفهام للتصديق: ويكون لإدراك النسبة، ويكون جوابه ب (نعم) إن أُريدَ به الإثبات، وب (لا) إن أُريدَ به النفي، ويسمى تصديقاً؛ لأن المستفهم خال الذهن من الجواب ومصدقاً لما يُجابُ به، وأدواته: (هل- والهمزة بدون أم المعادلة)، قال الله تعالى: {قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}[الأعراف، 70/7]، وقال الله تعالى: {هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ}[الصف، 10/61]، ويجاب عن الاستفهام المنفي إذا كان لطلب التصديق ب (بلى) إذا أُريدَ بالجواب الإثبات، وب (نعم) إذا أُريدَ بالجواب النفي، قال الله تعالى: {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ}[الملك، 9-8/67]، وقال الله تعالى: {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا}[الأعراف، 172/7]، وقال الله تعالى: {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ}[القيامة، 3/75-4].

2- الاستفهام للتصور: ويُجاب عنه بالتعيين، ويكون ذلك عندما يُستفهم لتعيين أمرٍ بين أمرين اثنين، وتكون أدواته: كل أسماء الاستفهام، والهمزة ومعها (أم) المعادلة، قال الله تعالى: {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[يونس، 48/10]، وقال الله تعالى: {قُلْ أَذِلَّكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا}[الفرقان، 15/25]، وقال الله تعالى: {قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ}[النمل، 38/27]، وقال الله تعالى: {أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[الملك، 22/67]²⁵⁰.

المقصد الثاني: الاستفهام المجازي أو البلاغي

يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معانٍ بلاغية أخرى منها: الأمر، النهي، النفي، التعجب، التحقير، التهويل، التهكم، التعظيم، التكثر، التسوية، الاستبعاد، التشويق، الإنكار، وأغراض أخرى تُفهم من السياق وقرائن الأحوال.

بعض الأمثلة عن خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى أغراض بلاغية:

الاستفهام المجازي الذي يتضمن معنى **النفي**، قال الله تعالى: {كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعَدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ}[آل عمران، 86/3]، فخرج الاستفهام إلى معناه الحقيقي إلى غرض بلاغي وهو النفي أي: لا يهدي، والاستفهام المجازي الذي يتضمن معنى **التعجب**: قال الله تعالى: {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ

²⁵⁰ ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، (الأردن: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1420هـ/2000م)، 232/4، بتصرف.

مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَأَفْكَاءُ آلِهَةً تُؤَدُّونَ لِلَّهِ ثَرِيدُونَ {الصفات، 85/37-86}، فخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى غرض بلاغي فهم من السياق وقرائن الأحوال وهو التعجب.

أدوات الاستفهام نوعان هي:

- 1- الحروف: (الهمزة- هل) ويكون إعرابهما حرفان لا محل لهما من الإعراب.
قال الله تعالى: {أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [البقرة، 2/266].

قال الله تعالى: {قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ} [الأنعام، 148/6].

وتتشابه الهمزة مع هل عندما يكون الاستفهام تصديقاً مثبتاً حيث يمكن استبدال الهمزة بدلاً من هل وبالعكس، هل حضر الرجل- أحضر الرجل.

- 2- الأسماء: كل الأسماء مبنية عدا (أي) فهي معربة.

من: اسم استفهام يُسأل بها عن العاقل، قال الله تعالى: {وَمَنْ أَضَدُّ مِنْ اللَّهِ حَدِيثًا} [النساء، 4/87]، وقد تلحقها (ذا) فتصبح (من ذا) وتفيد الاستفهام أيضاً لكنها أقوى في التعبير، قال الله تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ} [الحديد، 11/57].

ما: اسم استفهام يُسأل بها عن غير العاقل، وصفات من يعقل، قال الله تعالى: {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى} [طه، 17/20]، وتكون للسؤال على صفة العاقل، كقولنا: ما المتنبي؟ فيقال: شاعر، وقد تلحقها (ذا) فتصبح (ماذا) وتفيد الاستفهام أيضاً، قال الله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ} [البقرة، 2/219]، وإذا سبقت ما الاستفهامية بحرف جر فتحذف ألفها للتخفيف قال الله تعالى: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ} [النبأ، 1/78]، وقال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ} [الصف، 2/61].

متى: اسم استفهام يُسأل بها عن الزمان الماضي والمستقبل، قال الله تعالى: {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [يونس، 48/10].

أيان: اسم استفهام يُسأل بها عن الزمان المستقبل، وتفيد التهويل، قال الله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا} [الأعراف، 187/7]، وقال الله تعالى: {يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [القيامة، 6/75].

أين: اسم استفهام يُسأل به عن المكان، قال الله تعالى: {أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ} [النحل،

[27/16].

كيف: اسم استفهام يُسأل بها عن الحال، قال الله تعالى: {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ} [آل عمران، 137/3].

أنى: ولها ثلاث معانٍ يستفهم بها عن:

1- يُسأل بها عن الحال بمعنى (كيف)، قال الله تعالى: {قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا} [البقرة، 259/2].

2- يُسأل بها عن المكان بمعنى (أين)، قال الله تعالى: {قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [آل عمران، 37/3].

3- يُسأل بها عن الزمان بمعنى (متى)، قال الله تعالى: {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ} [البقرة، 223/2].

كم: اسم استفهام مبهم يُسأل بها عن العدد، ولا يفهم معناه إلا بتمييز يوضح معناه ويجب أن يكون مفرداً منصوباً أو مجروراً بحرف جر، وتحتاج إلى جواب، قال الله تعالى: {فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ} [البقرة، 259/2]، وتأتي (كم) خبرية وهي أداة تخبرنا عن معدود حصل في الزمن الماضي، ودليل معرفتنا لها وجود اسم نكرة مجرور يقع بعدها، ولا تحتاج إلى جواب، قال الله تعالى: {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة، 249/2]، وقال الله تعالى: {أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ} [يس، 31/36]، و(كم) في هاتين الآيتين من الممكن استبدالها بغير الاستفهام.

أي: اسم استفهام مبهم لا يُعرف معناه إلا بحسب المضاف إليه وتكون معرفة عكس أسماء الاستفهام كلها فتكون مبنية، قال الله تعالى: {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ} [الشعراء، 227/26]²⁵¹.

التطبيقات في أسلوب الاستفهام

في قول الله تعالى: {وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا} [الفرقان، 7/25].

{مالٍ} ما: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ²⁵²، الاستفهام في هذه الآية استهانة وتهكم بحق النبي ﷺ؛ لأن عقولهم القاصرة لا تحملهم على تصديق نبي يعيش حياة كحياتهم، وبزعمهم كيف

²⁵¹ ينظر: السامرائي، معاني النحو، 232، بتصرف.

²⁵² الدعاس، إعراب القرآن الكريم، 365/2.

يبعث الله نبياً من البشر يمشي في الأسواق، ويشتري حاجياته كباقي الناس، فجاء الاستفهام بصيغة التعجب والاستهجان، لا على وجه السؤال عن الحال، بل على وجه الإنكار والاعتراض، فيه تهكم بالرسول ﷺ، حيث نسبوا إليه ما هو من لوازم البشرية كالأكل والمشي، وكأنهم يرونه نقصاً لا يليق بالرسالة، واسم الإشارة للقريب مع كلمة الرسول فيه نوع من التحقير والاستهانة، أي: هذا الذي يزعم أنه رسول، وهذه الأفعال عُدَّت عندهم قدحاً، بينما هي عين الكمال في حق البشر؛ إذ الرسول يُشارك الناس أحوالهم، ليكون قدوة في حياتهم، (والفاء) للترتيب والتعقيب، وكأنهم يرون أن الرسالة لا تصح إلا بأن يؤيدها ملك يشارك النبي في الإنذار، وفي التعبير (معه) إشارة إلى استصغارهم لشأن النبي ﷺ، كأن الملك هو الأصل، وهو الذي يقوم بالإنذار، والرسول مجرد تابع، قال الزمخشري في الكشاف: "وفي هذا استهانة وتصغير لشأنه وتسميته بالرسول سخرية منهم، كأنهم قالوا ما لهذا الزاعم أنه رسول، ونحوه وقول فرعون: {إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ} [الشعراء، 27/26]، أي: إن صح أنه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا يأكل الطعام كما نأكل، ويتردد في الأسواق لطلب المعاش كما نتردد، يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكاً مستغنياً عن الأكل والتعيش"²⁵³.

في قول الله تعالى: {انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا} [الفرقان، 9/25]. {كَيْفَ}: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال²⁵⁴، والاستفهام للتعجب والإنكار، ظل المشركون يطلقون الأقاويل والأكاذيب بحق النبي ﷺ بهدف تكذيبه وتضليل الناس، وليس المقصود النظر البصري، وإنما النظر العقلي التأملي، وفيه تعجيب من حالهم، أي: تأمل كيف بلغ بهم الحمق أن جعلوا رسالتك موضع طعن وضرب للأمثال الباطلة، و(ضرب المثل) في الأصل للتقريب والتوضيح، لكنهم استخدموه للتنقيص والتشويه، وفيها الإيجاز مع قوة المعنى: (فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً) جملة قصيرة لكنها شديدة الإيقاع، تُبرز التيه الكامل، فالآية لوحة بليغة ترسم حيرتهم وتيههم بعد محاولاتهم اليائسة لتشويه دعوة النبي ﷺ، قال ابن كثير في تفسيره: "فضلوا أي: جاؤوا بما يقذفونك به ويكذبون به عليك من قولهم ساحرٌ مسحورٌ مجنونٌ كذابٌ شاعرٌ، وكلها أقوالٌ باطلة، كُلُّ أَحَدٍ مِمَّنْ لَهُ أَدْنَىٰ فَهْمٍ وَعَقْلٍ يَعْرِفُ كَذِبَهُمْ وافترائهم في ذلك، ولهذا قال فَضَلُّوا عن طريق الهدى فلا يستطيعون سبيلاً، وذلك أَنَّ كُلَّ مَنْ خَرَجَ عَنِ الْحَقِّ وَطَرِيقِ الْهُدَى، فَإِنَّهُ ضَالٌّ حَيْثُمَا تَوَجَّهَ، لِأَنَّ الْحَقَّ وَاحِدٌ وَمَنْهَجُهُ مُتَّحِدٌ يَصْدُقُ بَعْضُهُ بَعْضًا"²⁵⁵.

²⁵³ الزمخشري، الكشاف، 265/3.

²⁵⁴ صافي، الجدول في إعراب القرآن، 309/9.

²⁵⁵ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، حققه: محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الكتب

العلمية، 1419هـ/2000م)، 87/6.

في قول الله تعالى: {قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا} [الفرقان، 15/25].

{أذلك}: الهمزة للاستفهام، {ذا}: اسم إشارة بُني على السكون في محل رفع مبتدأ²⁵⁶، {اللام}: للبعد، {الكاف}: للخطاب، في هذه الآية جعل الله تعالى الجنة والنار منزلتين، فالاستفهام هنا للتقريع والتهكم، وليبيان الفارق بين منزلة الجنة التي وعد الله تعالى بها المتقين، وما فيها من نعيم، وإضافة الجنة إلى الخلد لزيادة المدح، أو لبيان خلودها، ويقابلها منزلة النار وما توعدها الله تعالى بها الكافرين وما سوف يلقونه من عذاب دائم، وجاء تحقيق العذاب بلفظ الإشارة (ذلك)، وتعظيم الجنة بإضافة (الخلد) ووصفها بالوعد الحق، ثم تأكيد تحققها بالفعل الماضي (كانت)، وبيان تمام الجزاء والاستقرار بلفظي (جزاء ومصيرًا). قال القرطبي في تفسيره: "قيل إنما قال ذلك لأن الجنة والنار دخلتا في باب المنازل، فقال ذلك لتفاوت ما بين المنزلتين"²⁵⁷، وهنا جاز التفضيل بين الجنة والنار؛ لأن سياق الكلام فيه سؤال وتوبيخ، وإنما يمنع التفضيل بين الشيئين، الذين ليس بينهما اشتراك في المعنى.

في قول الله تعالى: {وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ} [الفرقان، 17/25].

{يُحْشَرُهُمْ}: قرأها ابن كثير، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب بالياء، وقرأها الباقون {نَحْشَرُهُمْ} بالنون²⁵⁸.

{أَأَنْتُمْ}: الهمزة: همزة استفهام للتوبيخ، {أنتم}: ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ²⁵⁹، والخطاب للمعبودين، لمقصود إظهار البراءة من الشرك، وإلزام الكافرين بالاعتراف بالمسؤولية عن ضلالهم، وتقديم الضمير على أنتم فيه تقوية للتوبيخ وتخصيص للخطاب، والتقديم يعطي وقعاً أقوى على السامع، فيجعل السؤال كالسهم المباشر، وإضافة العباد إلى الله تشريف لهم، رغم أنهم عصوا، لتذكيرهم بأنهم عبيد لله في كل حال، واسم الإشارة (هؤلاء) للتعيين والتحقيق في الوقت نفسه، أي: هؤلاء الذين ترونهم الآن في الموقف العظيم، صيغة (أم) هنا منقطعة، بمعنى (بل) للإضراب الانتقالي، أي: بل هم بأنفسهم ضلوا الطريق، هذا يبين أن الضلال كان عن اختيار وعناد لا بإكراه من معبوداتهم، ومن المفسرين من قال الخطاب للأصنام،

²⁵⁶ عبد الله علوان وآخرون، إعراب القرآن الكريم، تقديم عبد الله الراجحي، راجعه: فتحي الدابولي، (مصر، دار الصحابة للتراث، 1427هـ/2006م)، 1583/3.

²⁵⁷ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 9/13.

²⁵⁸ خاروف، التسهيل لقراءات التنزيل، 361.

²⁵⁹ الدعاس، إعراب القرآن الكريم، 367/2.

حيث يحيي الله تعالى الأصنام لتكذيب عابديها، ومنهم من قال المقصود هنا بالسؤال المعبودين من الملائكة والمسيح والعزير، وهذا هو الراجح لقول الجمهور، قال أبو حيان في البحر المحيط: " قال الجمهور: من عبد ممن يَعْقِلُ ممن لم يأمر بعبادته كالملائكة وعيسى والعزير، وهو الأظهر كقوله أنتم أضللتم وما بعده من المحاورة التي ظاهرها أنها لا تصدر إلا من العقلاء"²⁶⁰.

في قول الله تعالى: {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا} [الفرقان، 20/25].

{أَتَصْبِرُونَ} الهمزة للاستفهام، ومضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل، والجملة مستأنفة {وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا} كان واسمها وخبرها، والكاف مضاف إليه والجملة مستأنفة²⁶¹، فبعد الحديث عن اعتراض الكفار على بشرية الرسول ﷺ، يأتي البيان أن سنة الله جارية على الابتلاء بين الناس جميعًا، ختم الآية بالصفة (بصيرًا) يفيد الإحاطة الكاملة بأحوال العباد وصبرهم أو جزعهم، واختيار بصيرًا بالذات (لا سميًا أو علميًا) لأن الفتنة أفعال وسلوك ثرى وتُشاهد، فناسبها البصر، خرج الاستفهام عن غرضه الأصلي إلى غرض بلاغي وهو الأمر بمعنى: اصبروا، والخطاب لعامة الناس؛ لأن من المعلوم أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان، ولهذا قال الله تعالى: {فِتْنَةً}، فتنة بعض الناس للبعض الآخر، فالمؤمن فتنة للكافر، والصحيح فتنة للسيقم، والغني فتنة للفقير، ولهذا قال الله تعالى: {لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الكهف، 7/18]، وفيه إيمان بالقضاء والقدر؛ لأن الله تعالى هو من قسم الأرزاق، وهو من جعل الغني والفقير، والصحيح والسيقم، فعلى الناس أن يصبروا، قال الله تعالى: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان، 2/25]، قال الصابوني في صفوة التفاسير: "{وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ} أي: جعلنا بعض الناس بلاءً لبعض ومحنة، ابتلى الله الغني بالفقير، والشريف بالوضيع، والصحيح بالمريض ليختبر صبركم وإيمانكم أتشكرون أم تكفرون؟"²⁶².

في قول الله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوَاءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَزْجُونَ نَشُورًا} [الفرقان، 40/25].

{أفلم} الهمزة للاستفهام التقريري المتضمن معنى الإنكار والتقرير هو حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه، والفاء عاطفة لعطف مدخولها على مقدر يقتضيه المقام أي ألم يكونوا ينظرون إليها فلم يكونوا يرونها مرات أثناء تعريضهم عليها ليعتبروا بمصائر من قبلهم وما جرّ عليهم إمعانهم في الغواية وركوب

²⁶⁰ أبو حيان، البحر المحيط، 90/8.

²⁶¹ الدعاس، إعراب القرآن الكريم، 368/2.

²⁶² الصابوني، صفوة التفاسير، 328/2.

متن الشطط من عقوبة لا تقدر وجملتها يرونها خبر يكونوا، بل حرف إضراب وكان واسمها وجملتها لا يرجون خبرها {ونشوراً} مفعول به²⁶³ والاستفهام للتقرير، والخطاب موجه للكفار؛ لأنهم بتجارته من الشام إلى مكة كانوا يمرون بسدوم قرية قوم لوط عليه السلام، وما حل بها من عذاب، أفلم يعتبروا بما رأوا من آثار عذاب الله الذي حل بهذه القرية الظالم أهلها قال الله تعالى: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا، فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ} [الشعراء، 173/26]، ولكنهم مطبوع على قلبهم، ولهذا قال الله تعالى: {لَا يَرْجُونَ نُشُورًا}، بمعنى لم يتعظوا ولم يؤمنوا، ولا يخافون بعثاً ولا نشوراً، قال الزحيلي في التفسير الوسيط: "فلقد مرّ مشركو مكة على ديار قوم لوط، أثناء تجارتهم إلى الشام في رحلة الصيف، وبخاصة على سدوم أعظم قرى قوم لوط التي أهلكها الله بمطر السوء: وهو المصحوب بالحجارة من سجيل (جهنم) أفلم يروا ما حل بتلك القرى من عذاب الله ونكاله، بسبب تكذيبهم رسولهم، ومخالفتهم أوامر الله؟"²⁶⁴.

في قول الله تعالى: {وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا} [الفرقان، 41/25].

{أهذا}: الهمزة: حرف استفهام بُني على الفتح، {هذا}: اسم إشارة بُني على السكون في محل رفع مبتدأ، والاسم الموصول (الذي) خبره²⁶⁵، والاستفهام للاستهزاء والتهكم، والتنقص من النبي صلى الله عليه وسلم، {وَإِذَا رَأَوْكَ} أسلوب شرط يفيد التكرار، أي كلما رأوك يا محمد ﷺ اتخذوك هزواً، هذا يعطي صورة مستمرة متجددة لسخريتهم، {إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا} أسلوب قصر بـ(إن...إلا)، أي ما يفعلون عند رؤيتك إلا السخرية، حصراً لأفعالهم في الهزء فقط، وفيه مبالغة في بيان عنادهم، وكأنهم لا يعرفون من النبي إلا مادة سخرية، الاستفهام هنا يقصدون به الاستهزاء: أهذا الرجل البشري البسيط هو الذي بعثه الله، سم الإشارة (هذا) للتحقير والتصغير، في مقابلة لفظ (رسولاً) الذي هو مقام عظيم، والإيجاز في الآية بعبارة قصيرة ومكتفة، ومع ذلك جمعت: تصوير الموقف، بيان السخرية، وحكاية الاستهزاء بعبارة موجزة، قال وهبة الزحيلي (ت: 1436هـ) في التفسير المنير: "روي أن هذه الآية نزلت في أبي جهل فإنه كان إذا مرّ رسول الله ﷺ مع صحبه قال مستهزئاً {أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا}"²⁶⁶.

في قول الله تعالى: {إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنَّ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا} [الفرقان، 42/25].

²⁶³ الدعاس، إعراب القرآن الكريم، 16/7.

²⁶⁴ الزحيلي، التفسير الوسيط، 1799/2.

²⁶⁵ علوان، إعراب القرآن الكريم، 1593/3.

²⁶⁶ وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (سورية: دار الفكر؛ لبنان: دار الفكر

المعاصر، 1411هـ/1991م)، 71/19.

{مَنْ}: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ²⁶⁷، والخطاب للكافرين، وخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى غرض بلاغي وهو التهديد والوعيد لهم، عُرف من السياق وقرائن الأحوال، فعندما يشاهدون العذاب يوم القيامة حينها يتبين لهم من هو الضال المضل، (وسوف يعلمون) فيه وعيد دلالة على أنهم سوف يروونه لا محالة وإن طالّت مدة الإمهال، فلا بد لهذا المصير أن يلحقهم، فعندما قالوا: (إن كاد ليضلنا) جاءهم الجواب (من أضل سبيلاً)، أي: سيظهر لهم ويعلمون وقتها من المضل من الضال، بمشاهدة العذاب الذي لا مخلص لهم منه، قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: "ولما كان الجواب بالإعراض عن المحاجة ارتكب فيه أسلوب التهكم بجعل ما ينكشف عنه المستقبل هو معرفة من هو أشد ضلالاً من الفريقين على طريقة المجازاة وإرخاء العنان للمخطيء إلى أن يقف على خطئه"²⁶⁸، قال أبو حيان في البحر المحيط: "وسوف يعلمون وعيد دلالة على أنهم لا يفوتونه وإن طالّت مدة الإمهال فلا بد للوعيد أن يلحقهم، فلا يغرنهم التأخير، ولما قالوا إن كاد ليضلنا جاء قوله من أضل سبيلاً، أي: سيظهر لهم من المضل من الضال، بمشاهدة العذاب الذي لا مخلص لهم منه"²⁶⁹.

في قول الله تعالى: {رَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا} [الفرقان، 43/25].

{رَأَيْتَ}: الهمزة للاستفهام، {رَأَيْتَ} فعل وفاعل²⁷⁰، بمعنى أخبرني، والخطاب موجه للنبي صلى الله عليه وسلم، والتعجب من قبيح أعمالهم، {أَفَأَنْتَ}: الهمزة للاستفهام الإنكاري، {أَفَأَنْتَ تَكُونُ} في محل نصب مفعول به ثان لفعل (رأيت)، والمقصود من الآية الكريمة بأنك يا محمد ﷺ ليس عليهم بحافظ تحفظهم من اتباع أهواءهم كما قال الله تعالى: {لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ} [الغاشية، 22/88]، وقول الله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} [البقرة، 256/2]، وتقديم الضمير (أنت) على الفعل يفيد التخصيص والتوكيد: أفأنت بالذات، مع مكانتك، تتكفل به، وفي الآية انتقال بلاغي من بيان انغماس الكافر في هواه إلى توجيه الخطاب للنبي ﷺ بالتسليّة، كأنه يقول: لا تُحمّل نفسك ما لا تطيق، فوظيفتك البلاغ فقط، قال الألوسي في روح المعاني: "استئناف مسوق لاستبعاد كونه ﷺ حفيظاً على هذا المتخذ يزجره عما هو عليه من الضلال ويرشده إلى الحق طوعاً أو كرهاً وإنكار له، والفاء لترتيب الإنكار على ما قبله من الحالة الموجبة له كأنه قيل أبعَدَ ما شاهدت غلوه في طاعة الهوى تعسره على الانقياد إلى الهدى شاء أو أبى"²⁷¹.

²⁶⁷ صافي، الجدول في إعراب القرآن، 22/10.

²⁶⁸ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 34/19.

²⁶⁹ أبو حيان، البحر المحيط، 109/8.

²⁷⁰ علوان، إعراب القرآن الكريم، 1594/3.

²⁷¹ الألوسي، روح المعاني، 25/10.

في قول الله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان، 44/25].

{أَمْ}: حرف عطفٍ بمعنى (بل أتحسب)، الهزمة للاستفهام الإنكاري للتوبيخ من إيمانهم²⁷²، فشبهه الله تعالى الكفار بالأنعام؛ لضلالهم وغيهم، بل هم أضل من الأنعام، فهم ضيعوا طريق الحق، بل الأنعام تسبح لله تعالى وتسجد وهم ليسوا بمأمورين ولا مكلفين، على عكس الإنسان فإنه مكلف ومأمور، قال الله تعالى: ﴿تَسْبُحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء، 44/17]، {إن هم كالأنعام} قصر وحصر بأسلوب (إن... إلا)؛ أي ما هم في انتفاعهم بعقولهم إلا كالبهائم التي لا تميز بين الحق والباطل، {بل هم أضل سبيلاً} بل للإضرار الانتقال من التشبيه إلى ما هو أبلغ منه: ليسوا فقط كالأنعام، بل هم أضل منها، قال الزمخشري في الكشف: "أم هذه منقطعة، معناه، بل أتحسب كأن هذه المذمة أشد من التي تقدمتها حتى حقت بالإضرار عنها إليها وهي كونهم مسلوبى الأسماع والعقول، لأنهم لا يلقون إلى استماع الحق أدنا ولا إلى تدبره عقلا، ومشبهين بالأنعام التي هي مثل في الغفلة والضلال، ثم أرجح ضلالة منها"²⁷³.

في قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [الفرقان، 45/25].

{أَلَمْ}: الهزمة: حرف استفهام مبني على الفتح، {لم}: حرف نفي وجزم وقلب²⁷⁴، والخطاب في سياق الآية موجه للنبي ﷺ، ولكنه في اللفظ عام لجميع الناس، والاستفهام هنا للتقرير، لبيان نعم الله تعالى على خلقه، هذه عظمة الخالق سبحانه كيف مدَّ لظل، ووقت الظل يكون من وقت طلوع الفجر إلى طلوع الشمس وهذا الظل يكون فيه نور بلا شعاع، ثم قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ أي ممتداً فلا تطلع الشمس، ولكن بزواله تطلع الشمس وينتفع الناس في معاشهم، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبا، 78/10-11]، قال ابن عثيمين (ت: 1421هـ) في تفسير سورة الفرقان: "تفسير الظل على الخلاف ثلاثة آراء: أما أنه ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، لأجل أن يتحقق الظل، أو أنه الليل كله، ويكون مدة تطويله ثم ينقص، ففي هذا من قدرة الله تعالى، تغيرُ الفصول بسبب طول الليل وقصره، أو أن

²⁷² درويش، إعراب القرآن وبيانه، 18/7.

²⁷³ الزمخشري، الكشف، 282/3.

²⁷⁴ الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، 495/6.

المراد به ظل كل شاخص، فإنه أول ما تطلع الشمس يكون الظل طويلاً ممدوداً، ثم يقبض شيئاً فشياً²⁷⁵، والرأي الذي أميل إليه في معنى الظل المراد في الآية الكريمة هو من وقت طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. في قول الله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا} [الفرقان، 60/25].

{تَأْمُرُنَا}: قرأ حمزة والكسائي: {يَأْمُرُنَا} بالياء، وقرأها الباقون بالتاء²⁷⁶.

{وَمَا}: الواو: حرف استفهام، {مَا}: اسم استفهام مبني على الفتح في محل رفع خبر مقدم، {الرحمن}: مبتدأ مؤخر مرفوع بالضممة الظاهرة، {أَنَسْجُدُ} الهمزة: حرف استفهام إنكاري تعجبي²⁷⁷، والاستفهام للإنكار، والمقصود ب (قِيلَ لَهُمْ) كفار مكة، فبالبداية هم أنكروا اسم الرحمن مطلقاً {قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ}، ولم يُنكروا الذات الإلهية، قال الله تعالى: {وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} [العنكبوت، 61/29]، وقال الله تعالى: {وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [لقمان، 25/31]، وقال الله تعالى: {وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ} [الزمر، 38/39]، وقال الله تعالى: {وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولَنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} [الزخرف، 9/43]، فأنكروا وصف الرحمن، الذي هو من أعظم صفات الله تعالى، هذه الرحمة التي شملت جميع المخلوقات، فالكفار أشركوا بالألوهية، وأشركوا بالأسماء والصفات، ثم استكبروا عن السجود {أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا}، الهمزة للاستفهام، قال الصابوني في صفوة التفاسير: " {قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ} ؟ أي من هو الرحمن؟ استفهموا عنه استفهام من يجهله وهم عالمون به، {أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا} أي أنسجد لما تأمرنا بالسجود له من غير أن نعرفه؟"²⁷⁸، والسجود المقصود في الآية يحتمل معنيين اثنين، الأول هو السجود بالأعضاء السبعة المعروفة، ففي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري، ومسلم، وابن حنبل، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أمر النبي ﷺ أن يسجد على سبعة أعظم ولا يكف ثوبه ولا شعره»²⁷⁹.

²⁷⁵ محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم "تفسير سورة الفرقان" (السعودية: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، 1436 هـ / 2014م)، 191.

²⁷⁶ خارف، التسهيل لقراءات التنزيل، 365.

²⁷⁷ الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرايه وبيانه، 510/6.

²⁷⁸ الصابوني، صفوة التفاسير، 337/2.

²⁷⁹ البخاري "كتاب: صفة الصلاة"، "باب: لا يكف شعراً"، 281/1، (رقم: 782)، ومسلم، "كتاب الصلاة"، "باب: أعضاء السجود والنهي عن كف الشعر والثوب وعقص الرأس في الصلاة"، 354/1، (رقم: 490)، وابن حنبل، مسند ابن حنبل، "مسند عبد الله بن عباس بن عبد المطلب"، 320/4، (رقم: 2527).

المطلب الثاني: أسلوب الأمر

الأمر في اللغة: عرفه الدقيقي (ت: 613هـ) في اتفاق المباني وافتراق المعاني: "الأمر بالفتح نقيض النهي، والأمر أيضاً كل حدث يحدث وكل قصة تقع، والأمر أيضاً مصدر أمرت الشيء إذا كثرت له قال الله تعالى: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا} [الإسراء، 16/17]"²⁸⁰.

الأمر في الاصطلاح: أحد أساليب الإنشاء الطلبي، "وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام"²⁸¹، وهو عكس النهي، وللأمر وجهان: الوجه الأول وجه حقيقي، والوجه الثاني هو وجه بلاغي، وللأمر أربع صيغ:

- 1- فعل الأمر كقوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} [الأنفال، 60/8].
 - 2- الفعل المضارع المقترن بلام الأمر كقوله تعالى: {فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ} [البقرة، 282/2].
 - 3- اسم فعل الأمر كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [المائدة، 105/5].
 - 4- المصدر النائب عن فعل الأمر كقوله تعالى: {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [النساء، 36/4]²⁸².
- وفعل الأمر مبني يبنى على السكون إذا كان الفعل صحيحاً أو اتصلت به نون النسوة، ويبني أيضاً بحذف حرف العلة إذا كان معتل الآخر، ويبني بحذف النون إذا اتصل به أحد الأفعال الخمسة (واو الجماعة، أو ألف الاثنين، أو ياء المخاطبة)، ويبني على الفتح إذا اتصلت به نون التوكيد الثقيلة أو الخفيفة.
- وقد يخرج الأمر عن غرضه الأصلي إلى أغراض بلاغية تفهم من السياق وقرائن الأحوال، وإذا كان الأمر صادراً من الأعلى إلى الأدنى فحينها يسمى أمراً ويفيد الوجوب، وإذا كان صادراً إلى جهة متساوية يسمى التماس، وإذا صدر الأمر من جهة أدنى إلى جهة أعلى فحينها يسمى دعاء.

²⁸⁰ سليمان بن بنين بن خلف بن عوض الدقيقي، اتفاق المباني وافتراق المعاني، حققه: يحيى علد الرؤوف جبر (الأردن: دار عمار، 1405هـ/1985م)، فصل الأمر، 232.

²⁸¹ عتيق، علم المعاني، 75.

²⁸² المصدر السابق، 75، بتصرف.

بعض الأمثلة عن خروج الأمر عن غرضه الأصلي إلى أغراض بلاغية أخرى تفهم من السياق وقرائن الأحوال:

الدعاء: كقول الله تعالى: {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [إبراهيم، 127/14]، وقول الله تعالى: {قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي} [طه، 25/20 - 26 - 27]، والتهديد في قول الله تعالى: {قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ} [إبراهيم، 30/14]، والتعجيز في قول الله تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة، 30/2]، والإباحة في قول الله تعالى: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ} [البقرة، 187/2]، والالتماس: كقول أبو الفتح البستي (ت: 400 هـ)²⁸³: "عليك نفسك فاستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان"²⁸⁴.

التطبيقات في أسلوب الأمر

في قول الله تعالى: {قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} [الفرقان، 6/25].

{قل}: فعل أمر مبني على السكون، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت²⁸⁵، والخطاب موجه للنبي ﷺ، وخرجت صيغة الأمر عن غرضها الأصلي إلى غرض بلاغي وهو التهديد للكافرين، إنَّ الله تعالى أمر النبي ﷺ بتبليغ القرآن كله، فإذا جاء حكم من الأحكام وفيه عناية واهتمام أمر الله تعالى نبيه الكريم ﷺ بتبليغه، وفي هذه الآية أمره الله تعالى بأن يقول للكافرين الذي نزل القرآن هو الذي لا يخفى عليه شيء في السموات والأرض، ويعلم ما تسرون وما تعلنون، ثم قال: {إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا}، أي من رحمته سبحانه وتعالى أن يتجاوز عن المسيء، وهذا من عظمة الخالق؛ لأن لا يتجاوز عن العقوبة، إلا القادر عليها، قال الله تعالى: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء، 110/4]، وقال الله تعالى: {لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} [الأحزاب، 24/33] وقال الله تعالى: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ

²⁸³ هو الشاعر أبو الفتح علي بن محمد بن الحسين البستي، ولد في بستي في أفغانستان واسمها اليوم لشكر كاه، سنة 303 هـ، توفي سنة 400 هـ.

²⁸⁴ يوسف بن حمد القاضي، المضامين التربوية في نونية أبو الفتح البستي، مجلة كلية التربية، 7/37، (2021م)، 251.

²⁸⁵ درويش، إعراب القرآن وبيانه، 667/6.

اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الفرقان، 70/25]، وقال الله تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} [الشورى، 30/42]، وختم الآية بالغفران والرحمة بعد ذكر علم السر يوحى بالمفارقة: الله العليم بذنوب عباده وخفاياهم مع ذلك يغفر ويرحم، قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: "لقد الله رسوله الجواب لرد بهتان القائلين إن هذا القرآن إلا إفك، وإنه أساطير الأولين، بأنه أنزله الله على رسوله، وعبر عن منزل القرآن بطريق الموصول لما تقتضيه الصلة من استشهاد الرسول الله على ما في سره لأن الله يعلم كل سر في كل مكان"²⁸⁶.

في قول الله تعالى: {انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا} [الفرقان، 9/25].

{انْظُرْ}: فعل أمر مبني على السكون، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت، وهو معلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام²⁸⁷، والخطاب موجه للنبي ﷺ، وخرجت صيغة الأمر عن غرضها الأصلي إلى غرض بلاغي وهو **التعجب والإنكار**، ضربوا للنبي ﷺ الأمثال، والأمثال تعني الأوصاف والأشباه، فوصفه وشبهه بالمسحور قال الله تعالى: {وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا} [الفرقان: 8/25]، وبالمجنون قال الله تعالى: {ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ} [الدخان، 14/44]، وبالشاعر قال الله تعالى: {وَيَقُولُونَ أَنَّا لَنَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ} [الصافات، 36/37]، وبالساحر والكذاب قال الله تعالى: {وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ} [ص، 4/38]، وبالمفتري قال الله تعالى: {أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ} [سبأ، 8/34]، وحاشا النبي صلى الله عليه وسلم من أقوالهم الباطلة، إنما قالوا ذلك من عجزهم، فضلوا عن طريق الهدى والحق، والفاء هنا سببية، فبسبب ما وصفوك به، انصرفوا وبعثوا عن الطريق الصحيح، وقال الله تعالى نفس الآية في سورة الإسراء: {انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا} [الإسراء، 48/17]، قال الزمخشري في الكشاف: " {ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ} أي: قالوا فيك تلك الأقوال واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال النادرة، من نبوة مشتركة بين إنسان وملك، وإلقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك، فبقوا متحيرين ضلالاً، لا يجدون قولاً يستقرّون عليه. أو فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقاً إليه"²⁸⁸.

في قول الله تعالى: {لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا} [الفرقان، 14/25].

²⁸⁶ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 326/18.

²⁸⁷ الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، 455/6.

²⁸⁸ الزمخشري، الكشاف، 266/3.

{وادعوا}: الواو: حرف استئناف، {ادعوا}: فعل أمر مبني على حذف النون، لأن مضارعه من الأفعال الخمسة²⁸⁹، خرجت صيغة الأمر عن غرضها الأصلي على غرض بلاغي وهو التوبيخ للكافرين، والوعيد بالنار التي لها تغيظاً وزفيراً، والتغيظ "شدة الالتهاب"²⁹⁰، والزفير قال ابن القطاع الصقلي (ت: 515هـ) في كتاب الأفعال: "صوت توقد النار"²⁹¹، فإذا ألقوا في النار والعياذ بالله دعوا على أنفسهم بالهلاك والثبور، فقال الله تعالى لهم ادعوا على أنفسكم دعاءً كثيراً؛ لأن العذاب دائم ومستمر، فكلما نضجت جلودكم بدلناكم جلوداً غيرها، وذلك لأن العذاب على الدوام، قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء، 56/4].

في قول الله تعالى: {قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا} [الفرقان، 15/25].

{قُلْ}: فعل أمر بُنِيَ على السكون، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت، والخطاب موجه للنبي ﷺ، ولأمته، وخرجت صيغة الأمر عن غرضها الأصلي إلى غرض بلاغي وهو التفریع للكافرين، والتهكم بهم، وتحسيراً على ما فاتهم، فبعد ما ذكر الله تعالى حال الكافرين في الآية التي قبلها، {لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً} [الفرقان، 14/25]، أتبعها بتفريع الكافرين وبيان حسرتهم وندمهم على ما سوف يحظى به المؤمنين في الجنة ونعيمها {أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ}، فجاءت المقارنة بين ما سوف يروونه في جهنم من العذاب، وجنة الخلد التي سوف ينعم بها المؤمنون، قال ابن عثيمين في تفسير سورة الفرقان: "فكيف يمكن أن يُقَارَنَ بما فيه الخير المطلق؟ الجواب: أن هذا من باب التنزل مع الخصم، ولا بأس أن تأتي مثل هذه المقارنة فقد قارن الله تعالى بين شيئين بينهما من التباين أعظم من التباين في وعيد أهل النار ووعد أهل الجنة فقال الله تعالى: {اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ} [النمل، 59/27]"²⁹²، ثم قال الله تعالى: {كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا}، فهذا النعيم حتماً واقع، فهو جزاء للمؤمنين فوعد الله متحقق لا محالة، قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} [النساء، 122/4].

في قول الله تعالى: {فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْرْنَاَهُمْ تَذْمِيراً} [الفرقان، 36/25].

²⁸⁹ الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرايه وبيانه، 461/6.

²⁹⁰ ابن منظور، لسان العرب، فصل الغين المعجمة، 649/1.

²⁹¹ علي بن جعفر بن القطاع الصقلي، كتاب الأفعال، (بيروت: كتاب الأفعال، 1403هـ/1983م)، مادة: زَفَرَ،

89/2.

²⁹² ابن عثيمين، تفسير سورة الفرقان، 70.

{اذْهَبَا}: فعل أمر بُنِيَ على حذف النون؛ لأن مضارعه من الأفعال الخمسة²⁹³، والخطاب موجه لموسى عليه السلام وأخاه هارون عليه السلام، وخرجت صيغة الأمر عن غرضها الأصلي إلى غرض بلاغي وهو الوعيد، فتوعد الله تعالى من كَذَبَ الرسول محمد ﷺ، وحذرهم من عذابه، وذَكَرَهُم بما حل بالأمم السابقة الذين كذبوا الرسل، فذكر أولاً موسى وأخاه هارون عليهما السلام، وما حل بفرعون وجنوده، وكيف أغرقه وجنوده، ونجى موسى عليه السلام ومن آمن معه، ثم ذكر بعد ذلك ما حلَّ بقوم نوح عليه السلام بعد أن كذبوا رسوله نوحاً عليه السلام، فأغرق الله تعالى كل من في الأرض، ولم يبق منهم أحد سوى نوح عليه السلام ومن كان معه في السفينة، فجعلهم الله آية، وما حل بقوم عادٍ، وثمود، وأصحاب الرس، وباقي الأمم التي أهلكهم الله بسبب تكذيبهم الرسل عليهم السلام، ومن كذب نبي من الأنبياء فقد كذب الأنبياء جميعاً، ولهذا قال الله تعالى: {أَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْهُ وَكُتِبَ لَهُ رُسُلُهُ لَا تَفَرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ} [البقرة، 285/2]، قال الألوسي في روح المعاني: "فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا} هم فرعون وقومه والظاهر تعلق بآياتنا ب كذبوا، والمراد بها دلائل التوحيد المودعة في الأنفس والأفاق أو الآيات التي جاءت بها الرسل الماضية عليهم السلام أو التسع المعلومة، والتعبير عن التكذيب بصيغة الماضي على الاحتمالين الأولين ظاهر وعلى الأخير قيل لتنزيل المستقبل لتحقيقه منزلة الماضي وتعقب بأنه لا يناسب المقام"²⁹⁴، قال أبو زهرة في زهرة التفاسير: "الأمر بالذهاب يومئ إلى أنهما مقدمان على أمر جليل في شأنه، خطير في ذاته؛ لأنه لقوم عتاة، يسبقون إلى الكفر بدل السبق بالإيمان، وقد وصفهم الله سبحانه وتعالى بأنهم كذبوا بآيات الله مع التكذيب بعد الذهاب"²⁹⁵.

في قول الله تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا} [الفرقان، 58/25].

{وَتَوَكَّلْ}: الواو: حرف عطف، {تَوَكَّلْ}: فعل أمر مبني على السكون، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت، {وَسَبِّحْ}: معطوفة على {تَوَكَّلْ} وتعرب نفس إعرابها²⁹⁶، والخطاب موجه للنبي صلى الله عليه وسلم، والتوكل في اللغة: "توكل على الله: اتكل، اعتمد عليه واستسلم إليه ثقة برحمته وكرمه"²⁹⁷، أما في

²⁹³ الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، 485/6.

²⁹⁴ الألوسي، روح المعاني، 19/10.

²⁹⁵ أبو زهرة، زهرة التفاسير، 5279/10.

²⁹⁶ علوان، إعراب القرآن الكريم، 1599/3.

²⁹⁷ مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة: وكل، 2489 /3.

الاصطلاح "هو الثقة بما عند الله، واليأس فيما عند الناس"²⁹⁸، وعرفه السيوطي في معجم مقاليد العلوم: "ترك السعي فيما لا يسعُه قدرة البشر"²⁹⁹، أما التسبيح في اللغة "هو تنزيه الله جلَّ ثناؤه من كل سوء"³⁰⁰، فبعد أن عاند الكفار النبي الكريم ﷺ وكذبوه في دعوته، أمره الله تعالى بالتوكل عليه والاعتماد عليه، وأن يأخذ بالأسباب، ومن المعلوم أن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل، فبهذه الآية بشارة للنبي ﷺ بالنصر والتمكين، فالله تعالى ناصرَك ومؤيدك وكافيك وعاصمك من الناس، قال الله تعالى: {وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} [آل عمران، 20/3]، وقال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [المائدة، 67/5]، فهذا يبين خروج صيغة الأمر عن غرضها الأصلي إلى غرض بلاغي وهو التصبير والتسليّة للنبي ﷺ، وبعد الأمر بالتوكل أمره الله تعالى بتسبيحه وتنزيهه سبحانه وتعالى، ووصفه بالصفات العلى، قال الله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى، 11/42]، وبعد الأمر بالتوكل والتسبيح قال: {وَكَفَى بِهِ بَذْنُوبٍ عِبَادَهُ خَبِيرًا} فيها وعيدٌ شديد، فهو الخبير والعالم بذنوب العباد صغيرها وكبيرها، دَقِيقُها وعَظِيمُها، ويجازي كل حسب عمله، قال الله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى} [النجم، 31/53]، قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: "عطف على جملة قل ما أسئلكم عليه من أجر [الفرقان: 57] أي قل لهم ذلك وتوكل على الله في دعوتك إلى الدين فهو الذي يجازيك على ذلك ويجازيهم، والتوكل: الاعتماد وإسلام الأمور إلى المتوكل عليه وهو الوكيل، أي المتولي مهمات غيره، وقد تقدم في قوله تعالى: {فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} [آل عمران، 159/3]، والحي الذي لا يموت هو الله تعالى. وعدل عن اسم الجلالة إلى هذين الوصفين لما يؤذن به من تعليل الأمر بالتوكل عليه لأنه الدائم فيفيد ذلك معنى حصر التوكل في الكون عليه"³⁰¹.

في قول الله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَنَلْ بِهِ خَبِيرًا} [الفرقان، 59/25].

²⁹⁸ الجرجاني، التعريفات، 70.

²⁹⁹ عبد الرحمن بن أبي بكر بن جلال الدين، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، حققه: محمد بن إبراهيم بن عبادة (مصر: مكتبة الآداب، 1424 هـ / 2004 م)، (رقم: 1765)، 209.

³⁰⁰ ابن فارس، مقاييس اللغة، باب: السين والباء وما يتلثهما، مادة: سبج، 125/3.

³⁰¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 59/19.

{فَسَلِّ}: الفاء: حرف استئناف، {اسأل}: فعل أمر مبني على السكون، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت³⁰²، والخطاب موجه لكافة الناس، لا كما يظن البعض أنه موجه للنبي ﷺ، قال ابن عثيمين في تفسير سورة الفرقان: "{فَسَلِّ} ليس للرسول ﷺ، بل لجميع من يصح خطابه؛ لأن الأصل أن الخطاب الذي يُفرد في القرآن لجميع الناس، إلا إذا دلّ الدليل على أنه خاص بالرسول ﷺ؛ لأن القرآن نزل للجميع، فهو يخاطب الكل ما لم يدل دليل على أنه خاص بالرسول ﷺ، مثل: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} [الشرح، 1/94]، هذا معروف أنه خاص بالرسول ﷺ، ومثل {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ} [المائدة، 41/5]، صرح أنه ينادي الرسول وحده، {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ} [المائدة، 67/5]، {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا} [الأحزاب، 45/33]"³⁰³، وخرجت صيغة الأمر عن غرضها الأصلي إلى غرض بلاغي وهو **التعظيم**، واختلف العلماء في تفسير {خبيراً} فمنهم من قال الله عز وجل: لأن حقيقة السؤال ليس هو المراد، إنما المراد من ذلك التعظيم لله سبحانه وتعالى، "وذلك الخبير هو الله عز وجل؛ لأنه لا دليل في العقل على كيفية خلق السموات والأرض فلا يعلمها إلا الله تعالى"³⁰⁴ وقال الألوسي (ت: 127هـ) في روح المعاني: "والمعنى إن شئت تحقيق ما ذكر، أو تفصيل ما ذكر فسأل معتنياً به خبيراً عظيم الشأن محيطاً بظواهر الأمور وبواطنها، وهو الله عز وجل يطالعك على جليلة الأمر"³⁰⁵، وقال ابن عثيمين في تفسير سورة الفرقان: "الخبير هو الله، فكانه عز وجل يقول: فسأل به خبيراً، يعني خذ الخبرة والعلم مني؛ لأنني خبير بنفسي"³⁰⁶، ومنهم من قال: {خبيراً} يحتمل أن يكون الله عز وجل، ويحتمل أن يكون جبريل عليه السلام، ويحتمل أن يكونوا أهل الكتاب، قال ابن عطية في المحرر الوجيز: "فيها تأويلان: أحدهما أسأل جبريل عليه السلام والعلماء وأهل الكتب المنزلة، والثاني أن يكون المعنى كما تقول: لو لقيت به فلاناً لقيت به البحر، كرمًا أي لقيت منه والمعنى فسأل الله عن كل أمر"³⁰⁷، وقال الخازن في لباب التأويل: "قليل معناه فسأل عنه خبيراً هو الله، وقيل هو جبريل عليه السلام"³⁰⁸.

في قول الله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا} [الفرقان، 60/25].

³⁰² علوان، إعراب القرآن الكريم، 1600/3.

³⁰³ ابن عثيمين، تفسير سورة الفرقان، 242.

³⁰⁴ الرازي، مفاتيح الغيب، 478/24.

³⁰⁵ شهاب الدين بن محمود بن عبد الله الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، حققه: علي

عبد الباري عطية (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ/1994م)، 38/10.

³⁰⁶ ابن عثيمين، تفسير سورة الفرقان، 244.

³⁰⁷ ابن عطية، المحرر الوجيز، 216/4.

³⁰⁸ الخازن، لباب التأويل، 317/3.

{اسْجُدُوا}: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل³⁰⁹، ففعل الأمر هنا في الأصل يفيد الطلب الحقيقي من المخاطبين أن يسجدوا لله، لكن من جهة البلاغة خرج عن مجرد معنى الطلب إلى الإلزام والتحدي والتوبيخ، لأن السياق ليس سياق دعوة لمن يقبل، بل هو سياق إظهار عناد الكافرين، فكأن الأمر قيل لهم على وجه: الإلزام: أن الحق واضح، فلا مجال إلا للامتثال، التحدي: إذ عُرض عليهم السجود لاسم (الرحمن) الذي أنكروا معرفته، فجاء الأمر تكليفاً يختبر صدقهم، التوبيخ: لأن امتناعهم وازدياد نفورهم أظهر عنادهم، فالغرض البلاغي يفيد الإلزام والتحدي والتوبيخ، فأمرهم بالسجود له سبحانه وتعالى، فانكروا ذلك وأطلقوا الحجج، فحجبتهم الأولى انكروا اسم الرحمن، {قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ}، قالوا لا نعرف الرحمن، فأنكروا إطلاق اسم الرحمن على الله تعالى، ويؤيد ذلك قولهم يوم الحديبية، عندما قال النبي ﷺ: باسم الله الرحمن الرحيم، قالوا: لا نعرف الرحمن الرحيم ففي الحديث الذي رواه البخاري، ومسلم، وابن حنبل، من حديث عكرمة: «أنه لما جاءه سهيل بن عمرو: قال النبي ﷺ: (لقد سهل من أمركم)، قال معمر قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً، فدعا النبي ﷺ الكاتب، فقال النبي ﷺ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، قال سهيل: أمّا الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب»³¹⁰، والله الأسماء الحسنى قال الله تعالى: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}{[الإسراء: 110/17]}، فكانت عقوبتهم يوم القيامة بالحسرة والندامة لعدم سجودهم للرحمن قال الله تعالى: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُفُهُمْ ذَّلَّةٌ وَقَدَّ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ}{[القلم، 68/42-43]}، قال الزمخشري في الكشاف: "وَمَا الرَّحْمَنُ يجوز أن يكون سؤالاً عن المسمى به، لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم، والسؤال عن المجهول ب (ما)، ويجوز أن يكون سؤالاً عن معناه، لأنه لم يكن مستعملاً في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم، أو لأنهم أنكروا إطلاقه على الله تعالى لما تأمرونا أي للذي تأمرنا، بمعنى تأمرنا بسجوده: على قوله: أمرتك الخير، أو لأمرك لنا"³¹¹.

في قول الله تعالى: {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا}{[الفرقان، 65/25]}.

³⁰⁹ علوان، إعراب القرآن الكريم، 1600/3.

³¹⁰ البخاري، "كتاب الشروط"، "باب: الشروط في الجهاد، ومصالحة أهل الحرب، وكتابة الشروط"، 977/2، (رقم: 2581)، ومسلم، "كتاب الجهاد والسير"، باب: صلح الحديبية في الحديبية، 1411/3، (رقم: 1784)، وابن حنبل، مسند الإمام أحمد، "مسند الكوفيين"، حديث المسور بن مخرمة الزهري، ومروان بن الحكم، 212/31، (رقم: 18910).
³¹¹ الزمخشري، الكشاف، 289/3.

{اصْرَفْ}: فعل دعاء مبني على السكون، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت³¹²، خرجت صيغة الأمر إلى غرض بلاغي وهو الدعاء، فإن المؤمنين يدعون ربهم ويتوسلون إليه بصرف عذاب جهنم، فبعد ما وصفهم في الآية التي قبلها بأنهم يقومون الليل ويسجدون لربهم {وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا}{الفرقان، 64/25}، ومع طاعتهم ومخافة ربهم يطمعون في الثواب لما عملوا من خيرات، ويخافون من العقاب، قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتًا وَفَلُوبُهُمْ وَجِلَّةٌ}{المؤمنون، 60/23}، ثم قال الله تعالى: {إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا}، والغرام في اللغة "أي لازماً، والمغرم الغرم قال الله تعالى: {فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُنْقَلَبُونَ}{الطور، 40/52}"³¹³، "الغرام: اللزوم من العذاب والشر الدائم والبلاء"³¹⁴، قال البيضاوي في أنوار التنزيل "ومنه الغريم لملازمته، وهو إيدان بأنهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق، واجتهادهم في عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون على الله تعالى في صرفه عنهم؛ لعدم اعتدادهم بأعمالهم، ووثوقهم على استمرار أحوالهم"³¹⁵.

في قول الله تعالى: {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا} [الفرقان، 74/25].

{هَبْ}: فعل دعاء مبني على السكون، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت، {وَاجْعَلْنَا}: الواو: حرف عطف، {اجْعَلْنَا}: فعل دعاء مبني على السكون، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت³¹⁶، خرجت صيغتا الأمر إلى غرض بلاغي وهو الدعاء من الله تعالى بأن يرزقهم أزواجاً وذريات مؤمنين صالحين، مطيعين لله تعالى، تكون قرّة لأعينهم في الدنيا والآخرة، وقد أخرج الإمام البخاري في الأدب المفرد، وابن حنبل في مسنده من حديث عبد الرحمن بن جُبَيْر بن نُفَيْرٍ، عن أبيه قال: «لقد بعث الله النبي ﷺ على أشدّ حالٍ بُعِثَ عليها نبي قط، في فترةٍ جاهليةٍ، ما يرون أنّ ديناً أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفرقانٍ فرّق به بين الحق والباطل، وفرّق به بين الوالد وولده، حتى إن كان الرجل ليرى والدته أو ولده أو أخاه كافراً، وقد فتح الله قفل قلبه بالإيمان، ويعلم أنّه إن هلك دخل النار، فلا تفرّ عينه، وهو يعلم أنّ حبيبته في النار، وأنها للتي قال الله عز وجل {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ} [الفرقان، 74/25]»³¹⁷.

³¹² علوان، إعراب القرآن الكريم، 1602/3.

³¹³ الفراهيدي، العين، باب: الغين والراء والميم، 418/4.

³¹⁴ ابن منظور، لسان العرب، فصل الغين المعجمة، 436/12.

³¹⁵ البيضاوي، أنوار التنزيل، 130/4.

³¹⁶ الدعاس، إعراب القرآن، 378/2.

³¹⁷ البخاري، الأدب المفرد، "باب: الولد قرّة العين"، 44، (رقم: 87)، وابن حنبل، مسند الإمام أحمد، حديث المقداد

بن الأسود، 231/39، (رقم: 23810).

والطلب الثاني فلم يطلبوا المال والجاه والرياسة ولكن كان طلبهم بأن يجعلهم أئمةً للهدى والصلاح والتقوى وأن يقتدى بهم، قال الزمخشري في الكشاف: "في الآية ما يدل على أن الرياسة في الدين يجب أن تطلب ويرغب فيها. وقيل: نزلت هذه الآيات في العشرة المبشرين بالجنة. فإن قلت: من في قوله من أزواجنا ما هي؟ قلت: يحتمل أن تكون بيانية، كأنه قيل: هب لنا قرّة أعين، ثم بينت القرّة وفسرت بقوله: من أزواجنا وذرياتنا. ومعناه: أن يجعلهم الله لهم قرّة أعين، وهو من قولهم: رأيت منك أسداً، أي: أنت أسد، وأن تكون ابتدائية على معنى: هب لنا من جهتهم ما تقرّ به عيوننا من طاعة وصلاح. فإن قلت: لم قال قرّة أعين فنكر وقل؟ قلت: أما التنكير فلأجل تنكير القرّة، لأن المضاف لا سبيل إلى تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه، كأنه قيل: هب لنا منهم سروراً وفرحاً"³¹⁸.

{وَذُرِّيَّتَانَا} بالجمع قرأها نافع، وابن كثير، وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب، {وَذُرِّيَّتَانَا} بالافراد الباقون³¹⁹، والذرية تقع على الجمع وتقع على المفرد، فلا فرق بين اللفظين.

المطلب الثالث: أسلوب النهي

النهي في اللغة: عرفه الفارابي (ت: 393هـ) في الصحاح: "النهي خلاف الأمر، ونهيته عن كذا فأنتهى عنه وتناهى، أي: كفّ، وتناهاها عن المنكر أي: نهى بعضهم بعضاً"³²⁰.
النهي في الاصطلاح: هو طلب الكف عن الفعل أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام، فهو خلاف الأمر، ويصدر من جهةٍ عليا إلى جهةٍ أدنى منها، وللنهي صيغةٌ واحدةٌ وهي: الفعل المضارع المسبوق بلا الناهية الجازمة، فتجزمه وتحوله للاستقبال، قال الله تعالى: {وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا} [الحجرات، 12/49]،³²¹ وهذا القسم الأول من أقسام النهي وهو النهي الحقيقي، والقسم الثاني هو النهي المجازي البلاغي الذي يخرج فيه النهي عن معناه الحقيقي إلى أغراض بلاغية أخرى تفهم من السياق وقرائن الأحوال ومن أمثله:

الدعاء في قول الله تعالى: {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ} [البقرة، 286/2]، والإرشاد كقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ عَنْهَا حِينَ يُنْزَلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ

³¹⁸ الزمخشري، الكشاف، 296/3.

³¹⁹ خاروف، التسهيل لقراءات التنزيل، 366.

³²⁰ أبو نصر بن إسماعيل الفارابي، الصحاح تاج اللغة وتاج العربية، حققه: أحمد عبد الغفور عطار (بيروت: دار

العلم للملايين، 1407هـ/1987م)، مادة: نهى، 2517/6.

³²¹ عتيق، علم المعاني، 83، بتصرف.

عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ{[المائدة، 101/5]، وبيان المصير كقول الله تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَّقُونَ}[آل عمران، 169/3].

التطبيقات في أسلوب النهي

في قول الله تعالى: {لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا}[الفرقان، 14/25].

{لا}: حرف نهى وجزم، {تدعوا}: فعل مضارع مجزوم بحذف النون³²²، والخطاب موجه للكافرين، الثبور في اللغة: "الهلاك، وقد ثَبَرَ يَثْبُرُ ثُبُورًا، وثبره الله أهلكه إهلاكًا لا ينتعش"³²³، "ثبورًا: خسر وهلك، أهلكه: لعنه وطرده"³²⁴، قال الله تعالى: {وَإِنِّي لِأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا}[الإسراء، 102/17]، أي هالكًا، وخرجت صيغة النهي عن غرضها الأصلي إلى غرض بلاغي وهو التوبيخ للكافرين، لأنهم سوف يُلقون في النار مقرنين أي مقيدي الأيدي مع الأعناق، فإذا سقطوا في النار وشاهدوا العذاب بدأوا يدعون على أنفسهم بالهلاك، قال الله تعالى: {وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا}[الفرقان، 13/25]، فأتاهم الجواب {لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا}[الفرقان، 14/25]، أي: لا تدعوا على أنفسكم هلاكًا واحدًا بل ادعوا هلاكًا كثيرًا؛ وذلك لخلودهم في النار، وأن هذا العذاب لا ينتهي أبدًا، فالعذاب متجدد، فلما رأوا العذاب بدأوا ينادوا {يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَّاكِثُونَ}[الزخرف، 77/43]، وقال الله تعالى: {خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ}[البقرة، 162/2]، قال الزحيلي في التفسير الوسيط: "أي يقال لهم على معنى التوبيخ والإعلام بأنهم مَخْلُدُونَ: لا تقتصروا على حزن واحد، بل أحزنوا كثيرًا، لأنكم أهل لذلك. وإنكم إن وقعتم في الهلاك، فليس هو هلاكًا واحدًا، وإنما أنواع كثيرة من الهلاك، إما لتنوع ألوان العذاب، أو لأنهم كلما نضجت جلودهم بدّلوا غيرها. والمقصود تبيينهم من الخلاص من العذاب بالهلاك، والتنبية إلى أن عذابهم أبدي، لا خلاص منه"³²⁵.

في قول الله تعالى: {فَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا}[الفرقان، 52/25].

الفاء الفصيحة، ولا ناهية، وتطع مجزوم بلا، والفاعل مستتر تقديره أنت، والكافرين مفعول به أي فلا تسايروهم فيما يريدونك عليه ولا تأخذك هوادة أولين، وجاهدكم فعل أمر، وفاعل مستتر ومفعول به، وبه متعلقان بجاهدكم، والضمير للقرآن، وائل عليهم دائمًا زواجه وأوامره ونواذره، وجهادا مفعول مطلق

³²² علوان، إعراب القرآن الكريم، 1582/3.

³²³ ابن منظور، لسان العرب، فصل: الثاء المثناة، 99/4.

³²⁴ أحمد رضا، معجم متن اللغة، 424/1.

³²⁵ الزحيلي، التفسير الوسيط، 1786/2.

وكبيراً صفة³²⁶، والخطاب موجه للنبي ﷺ، خرجت صيغة النهي عن غرضها الأصلي إلى غرض بلاغي وهو **التحذير والتذكير**، والطاعة المقصودة التحذير من المداينة على دينهم، وهذه المداينة بعيدة على النبي ﷺ، ولكنها توجيه من الله تعالى لأمته من بعده، قال أبو زهرة في زهرة التفاسير: "ألا تطع الكافرين؛ لأنه منذر لهم، والطاعة تكون تخاذله في الدعوة، وممالاتهم فيما يعبدون، وذلك مستحيل أن يكون من محمد صلى الله عليه وسلم، المبعوث رحمة للعالمين والذي جاء لإصلاحهم، فلا يصح أن يعود إلى مداينتهم في الحق، إنما ذلك أمر لأتباعه ﷺ من بعده، ومن هم معه في حال حياته"³²⁷، ثم بعد ذلك أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجاهد الكفار بالقرآن؛ لأن الضمير في {وَجَاهِدْهُمْ بِهِ} يعود على القرآن، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبُنُسَ الْمَصِيرِ} [التوبة، 73/9]، فهذا تذكير له ﷺ بالثبات على دعوته، والاجتهاد فيها، والإصرار عليها، والصبر عليها، فلا تطعهم بما يدعونك إليه في عملهم واعتقادهم الباطل وفيما يعبدون ويتبعون.

المطلب الرابع: أسلوب التمني

التمني في اللغة: عرفه ابن سعيد اليميني (ت: 573هـ) في شمس العلوم: "تمنى الشيء، إذا ودّه لنفسه، قال بعضهم: التمني من جنس القول وليس بإرادة، وقيل: هو معنى في القلب، وقيل: هو إرادة مخصوصة متعلقة في القلب، وقيل: هو إرادة متعلقة بالمعوم، قال الله تعالى: {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى الْآخَرِ} [النساء، 32/4]"³²⁸.

التمني في الاصطلاح: قال الهاشمي (ت: 1362هـ) في جواهر البلاغة: "هو طلب الشيء المحبوب الذي لا يُرجى، ولا يتوقع حصوله إما لكونه مستحيلاً كقوله: ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب، وإما لكونه ممكن غير مطموح في نيله كقول الله تعالى: {يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [القصص، 79/28]، وإذا كان الأمر المحبوب مما يرجى حصوله كان طلبه ترجياً"³²⁹، فالتمني أمرٌ محبوب ومرغوب فيه، ولكن في اعتقاد صاحبه لا يرجى حصوله، وأدوات التمني أربع: (ليت) وهي الغرض الأصلي في التمني كما في قول الله تعالى: {يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [القصص، 79/28]، وفي هذه الآية الغرض الأصلي هو التمني من قبل مريم عليها السلام وجاء بلفظ (ليت)، لو أنها

³²⁶ درويش، إعراب القرآن وبيانه، 30/7.

³²⁷ أبو زهرة، زهرة التفاسير، 5297/10.

³²⁸ نشوان سعيد بن اليميني الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، حقه: حين بن عبدالله؛ وآخرون (بيروت: دار الفكر المعاصر - دمشق: دار الفكر، 1420هـ/1999م)، مادة: تمنى، 6393/9.

³²⁹ أحمد إبراهيم مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتوثيق وتدقيق: يوسف الصميلي (بيروت: المكتبة العصرية، التاريخ: د.ت)، 87.

ماتت قبل هذا الأمر وكانت غير معروفة لكي لا تُذكر بسوء، "لأنها كانت من أهل شرفٍ وكرم، ومن أهل بيت نبوة، فتمنت أن تكون غير معروفة لئلا تُكر بعدها بسوء ولا تُقذف"³³⁰، وإن قيل لمَ تمت الموت؟ "والجواب أنها تمت الموت استحياء من قومها، ويقال أنها تمت الموت؛ لأنها علمت أن الناس يكفرون بسببها وبسبب ابنها، فتمنت الموت حتى لا يُعصى الله بسببها وبسبب ابنها"³³¹.

والثلاث الباقية تستعمل للغرض البلاغي وهي: (هل، لو، لعل)، قال الهاشمي في جواهر البلاغة: "وللتمني أربع أدوات واحدة أصلية وهي (ليت)، وثلاث غير أصلية نائبة عنها ويتمنى بها لغرض بلاغي وهي: (هل، لو، لعل)"³³²، كما في قول الله تعالى: {أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}[الزمر، 58/39]، فعندما يرى الكافر العذاب يتمنى الرجعة فيكون من المحسنين في طاعة الله عز وجل، قال الخازن (ت: 741هـ) في لباب التأويل: "أو تقول حين ترى العذاب عياناً لو أن لي كرة أي رجعة إلى الدنيا فأكون من المحسنين أي الموحدين ثم أجاب الله تعالى هذا التأويل بأن الأعداء زائلة والتعليل باطل وهو قوله تعالى: {بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ}[الزمر، 59/39]³³³، وقول الله تعالى: {قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْنَا أَثْنَتَيْنِ فَاعْتَرْفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ}[غافر، 11/40]، تمنى بلفظ لاستفهام بعد اعترافهم بذنوبهم التي اقترفوها وإنكارهم للبعث وتكذيبهم لأنبيائه، "فهل إلى خروج إلى أي نوع من الخروج سريع أو بطيء من سبيل قط، أم اليأس واقع دون ذلك، فلا خروج ولا سبيل إليه، وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط، وإنما يقولون ذلك تعللاً وتحيراً"³³⁴، وقول الله تعالى: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ}[غافر، 36/40]، فقول فرعون من المحال ولا يمكن الوصول إليه، قال النعماني (ت: 775هـ) في اللباب في علوم الكتاب: "طرق العلم ثلاثة: الحس والخبر والنظر، ولا يلزم من انتفاء طريق واحد وهو الحس انتفاء المطلوب؛ وذلك لأن موسى عليه الصلاة والسلام كان قد بين لفرعون أن الطريق في معرفة الله تعالى إنما هو الحجة والدليل كما قال الله تعالى: {رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ}[الشعراء، 26/26]، {رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ}[المزمل، 9/73]³³⁵.

³³⁰ الماتريدي، تفسير الماتريدي، 229/7.

³³¹ السمعاني، تفسير القرآن، 286/3.

³³² الهاشمي، جواهر البلاغة، 87.

³³³ علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين (بيروت: دار الكتب العلمية، التاريخ: دت)، 63/4.

³³⁴ الزمخشري، الكشاف، 155/4.

³³⁵ عمر بن علي النعماني، اللباب في علوم الكتاب، حققه: عادل بن أحمد بن عبد الموجود- علي بن محمد بن عوض

(بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ/1998م)، 54/17.

التطبيقات في أسلوب التمني

في قول الله تعالى: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا} [الفرقان، 27 / 25].

{يا لَيْتَنِي} (يا): للنداء، والمندى محذوف (أو أنها للتنبيه)، (ليت): حرف ناسخ للتمني، و (النون): للوقاية و (الياء): اسم (ليت). {اتَّخَذْتُ}: فعل ماضٍ و (التاء): فاعل، والجملة في محل رفع خبر (ليت). {مَعَ}: ظرف منصوب متعلق بمحذوف مفعول ثانٍ لـ (اتخذ)، {الرَّسُولُ}: مضاف إليه مجرور، {سَبِيلًا}: مفعول به أول منصوب وجملة (يا ليتني) في محل نصب مقول القول³³⁶، خرجت صيغة التمني إلى غرض بلاغي وهو التحسر والندامة على ما فاتته من العمل في الحياة الدنيا، "وهذه الآية نزلت بعقبة بن أبي معيط وما أغراه به أمية بن خلف، وكان عقبة لا يقدم من سفر إلا صنع طعامًا ودعا إليه أشراف مكة، وكان عقبة يُكثر من مجالسة النبي ﷺ، فدعاه على هذا الطعام، فقال النبي ﷺ لا أكل حتى تشهد أن لا إله إلا الله، وأنني رسول الله، فقال عقبة: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، فأكل النبي ﷺ من طعام عقبة، فلما عاد أبي بن خلف ذكر له عقبة ما صنع مع النبي ﷺ، فقال له أبي لقد صبت ما صبت ولكن دخل علي رجل فأبى أن يأكل حتى أشهد له، فاستحييت أن يخرج من بيتي دون أن يأكل، فقال أبي لا أرضى عنك حتى تذهب إليه وتبصق في وجهه، فكفر عقبة وامتنل لأمر أبي بن خلف، فعن مجاهد مرسلًا: في قول الله تعالى: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ} قال عقبة بن أبي معيط دعا مجلسًا فيه النبي ﷺ، لطعام، فأبى النبي ﷺ أن يأكل وقال: «لا أكل حتى تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله» فقال: ما أنت بأكل حتى أشهد؟ قال: «نعم»، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فلقبه أمية بن خلف فقال: صَبَوْتُ؟ فقال: أنا أخاك على ما تعلم، ولكني صنعت طعامًا فأبى أن يأكل حتى أقول ذلك، فقلته، وليس من نفسي³³⁷، وهذه الآية للعموم وليس خاصة بعقبة بن معيط، ولكن لكل من عصى النبي ﷺ في دعوته، فوردت الآية في سياق تصوير الندم القاطع الذي يعتري الكافر يوم القيامة نتيجة إعراضه عن اتباع النبي ﷺ، قال ابن عثيمين في تفسير سورة الفرقان: "الآية عامة، لكن تشمل عقبة وغيره، فالصواب أنها عامة لكل ظالم؛ وذلك لأن الأصل بقاء العموم على ما هو عليه حتى يقوم دليل على أن المراد به الخاص، وهنا قوله: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ} عامٌ لعقبة وغيره"³³⁸، وجاء اختيار (يا ليتني) بوصفها أداة من أدوات التمني الدالة على استحالة وقوع المتمنى،

³³⁶ علوان، إعراب القرآن الكريم، 1588/3.

³³⁷ ينظر: الطبري، جامع البيان، 502/8، (رقم: 26400).

³³⁸ ابن عثيمين، تفسير سورة الفرقان، 93.

لتؤكد فوات الأوان وتبرز عمق الحسرة بعد انقضاء زمن العمل وانعدام فرصة التوبة، فهذا حال المجرمين يوم القيامة بالتحسر والندامة والعظ على الأيدي، فيكون حال الْمُتَبِّعِ وَالْمُتَّبَعِ في النار خالدين فيها وبئس المصير، قال الله تعالى: {الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} [الزخرف، 67/43].

في قول الله تعالى: {يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا} [الفرقان، 28/25].

{يا} حرف نداء وويلتا منادى مضاف إلى ياء المتكلم المنقلبة الفاء وأصله يا وليتي، وليتني ليت واسمها وجملة لم أتخذ خبرها³³⁹، {ليتني}: تم الحديث عنها في الآية السابقة، خرجت صيغة التمني إلى غرض بلاغي وهو التحذير من اتخاذ المجرمين والمخالفين أنصاراً، ومخالفة أنبياء الله تعالى، ومودتهم هذه في الحياة الدنيا ثم تزول تلك المودة يوم القيامة؛ لأنها كانت لغير الله تعالى، كما قال إبراهيم عليه السلام: قال الله تعالى: {إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمُ مِنْ نَاصِرِينَ} [العنكبوت، 25/29]، ويحتمل أن يكون هذا الخليل إما الإنسان، أو الشيطان، فهي على العموم تشمل الشيطان وكل كافر؛ لأن الآية التي بعدها قال تعالى فيها: {لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا} [الفرقان، 29/25]، قال الألوسي في روح المعاني: "وهذا التمني وإن كان مسبقاً لإبراز التمني والحسرة، لكنه متضمن لنوع تعلل واعتذار بتوريك جنايته إلى الغير، وقوله تعالى: (لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ) تعليل لتمنيه المذكور وتوضيح لتعلله، وتصديره باللام القسمية للمبالغة في بيان خطئه وإظهار ندمه وحسرتة أي: والله لقد أضلني فلان عن ذكر الله تعالى"³⁴⁰.

المطلب الخامس: أسلوب النداء

النداء في اللغة: عرفه مختار في معجم اللغة العربية المعاصرة: "نداءً ومناداة، فهو منادٍ، والمفعول مُنَادَى، نادى فلاناً، نادى على فلان، نادى فلان: دعاه وصاح بصوتٍ مرتفع"³⁴¹.

النداء في الاصطلاح: "طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة"³⁴²، وعرفه الحنفي (ت: 943هـ) في الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: "الكلام المستعمل في طلب الإقبال"³⁴³،

³³⁹ درويش، إعراب القرآن وبيانه، 6/7.

³⁴⁰ الألوسي، روح المعاني، 14/10.

³⁴¹ مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة: ن دو، 3/2188.

³⁴² السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، 1/474.

³⁴³ الحنفي، إبراهيم بن محمد بن عرب شاه، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، التاريخ: د.ت)، 1/605.

فيتبين من خلال التعاريف السابقة أن النداء: هو طلب إقبال المخاطب، أو التفاته، أو انتباهه بذكر اسمه، أو بذكر صفة من صفاته، بعد حرف من حروف النداء (يا للقريب والمتوسط والبعيد، الهمزة وأي للقريب، أيا وهيا للبعيد)، قال الله تعالى: {وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف، 104 / 7]، وقال الله تعالى: {قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ} [يوسف، 11/12]، وقال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة، 2 / 153]، وقال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ} [المائدة، 5 / 41]، وقال الله تعالى: {يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ} [هود، 76/11].

ومما سبق كان نداء للعاقل، وينادى لغير العاقل أيضًا قال الله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [النمل، 18/27]، وينادى السماء والأرض أيضًا قال الله تعالى: {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي} [هود، 44 / 11]، والجبال قال الله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ} [سبا، 34 / 10]، والنار قال الله تعالى: {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ} [الأنبياء، 21 / 69]، والحسرة قال الله تعالى: {يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [يس، 36 / 30]، والنفس قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ} [الفجر، 27/89]، والويل قال الله تعالى: {يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا} [الفرقان، 25 / 28].

والمنادى أنواع فمنها من يكون مبني على ما يرفع به ويكون في محل نصب، ومنها من يكون معرب أي منصوب:

المنادى المبني (في محل نصب):

المنادى المفرد: المقصود به الشخص الذي يُنادى عليه باسمه ويكون مفردًا أي "دال على الواحد، قال الله تعالى: {يَا مَرْيَمُ أَنْتِ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} [آل عمران، 37 / 3]، يا: حرف نداء، مريم: منادى مبني على الضم في محل نصب؛ لأنه مفرد.

المنادى النكرة المقصودة: وهي في الأصل النكرة (رجل، امرأة)، قال الله تعالى: {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي} [هود، 44 / 11]، يا: حرف نداء، أرض: منادى مبني على الضم في محل نصب؛ لأنه نكرة مقصودة، سماء: منادى مبني على الضم في محل نصب؛ لأنه نكرة مقصودة.

المنادى المعرب (المنصوب):

المنادى المضاف: وهو أحد أنواع المعارف سواء كان علمًا (يا عبدالله أقبل)، أو غير علمًا (يا جنود الإسلام)، وحكمه يكون منصوبًا ويكون الاسم الذي بعده مجرورًا باعتباره مضافًا إليه، قال الله تعالى: {قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ}[يوسف، 11/12]، يا: حرف نداء، أبانا: منادى منصوب بالألف؛ لأنه من الأسماء الخمسة وهو مضاف، والضمير نا: مبني في محل جر مضاف إليه.

المنادى الشبيه بالمضاف: ويكون أحد المشتقات العاملة عمل الفعل، وهو المضاف الذي يحتاج إلى اسم يرد بعده ليتم معناه، وغالبًا ما يكون منصوب بتنوين الفتح، (يا قارئًا النص)، وحكمه النصب، وقلنا شبيه بالمضاف؛ لأننا إذا حذفنا التنوين يصبح مضاف ومضاف إليه (يا قارئ النص).

المنادى النكرة غير المقصودة: وهو المنادى الذي كان في أصله نكرة فدخلت عليه أداة من أدوات النداء، غير أنه لا يدل على شخص بعينه، (يا عاصيًا ثب)، فهنا لم يقصد عاصيًا بعينه ولكن يشمل جميع العصاة، عاصيًا: منادى نكرة غير مقصودة منصوب بتنوين الفتح.

ويجوز حذف أداة النداء، ويفهم أسلوب النداء من سياق الجملة ويبقى حكم لمنادى الإعرابي بحسب نوع المنادى قال الله تعالى: {يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكَ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ}[يوسف، 12/29]، فحذف حرف النداء ولكن فهم أسلوب النداء من سياق الآية³⁴⁴.

ويرتبط بأسلوب النداء أسلوبٌ عربيٌ يسمى بالترخيم: "إسقاط شيء من آخر الاسم في النداء، كقولهم: يا مالك، يا مأل، ويا حارث، يا حار³⁴⁵"، والمفهوم من هذا التعريف هو حذف الحرف الأخير من الاسم المنادى، (يا فاطمُ أصلها يا فاطمة)، (يا عائشُ أصلها يا عائشة)، ويكون إما مبنيًا على الضم في محل نصب (فاطمُ، عائشُ)، أو تبقى حركة الحرف قبل المحذوف الأخير (يا صاح أصلها يا صاحب)، ويبني على الضم المقدر على الحرف المحذوف للترخيم.

التطبيقات في أسلوب النداء

في قول الله تعالى: {وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا}[الفرقان، 27/25].

"(يا): حرف تنبيه، وقيل: أداة نداء، والمنادى محذوف، تقديره: يا قوم ونحوه، والأول أقوى، (ليتني): حرف مشبه بالفعل، والنون للوقاية، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب اسمها، {اتَّخَذْتُ} فعل، وفاعل، {مَعَ} ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، أو هو متعلق بمحذوف حال من: {سَبِيلًا}، كان صفة له،

³⁴⁴ ينظر: السامرائي، معاني النحو، 321/4-331، بتصرف.
³⁴⁵ ابن فارس، مقاييس اللغة، باب: الراء والخاء وما يتلثهما، مادة: رخو 51/2.

فلما قدم عليه صار حالاً، وقيل: مفعول ثانٍ، وليس بشيء، و (مع) مضاف، و {الرَّسُولُ} مضاف إليه، {سَيِّئاً} مفعول به، وجملة: {اتَّخَذْتُ}. إلخ في محل رفع خبر (ليت)، والجملة الاسمية {يَا لَيْتَنِي..}. إلخ في محل نصب مفعول القول، وجملة: {يَقُولُ..}. إلخ في محل نصب حال من {الظَّالِمُ}، والرباط: الضمير فقط³⁴⁶، قبل النداء صور الله تعالى لنا مشهد الكافر: {وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ}، فهذا تصوير للمشهد المرير الذي يجسد عظمة الحسرة والندم، لأن العظة غالباً ما تكون على الشفاه أو الأصابع أما (اليدين) فهي مبالغة في الألم، والنداء في هذه الآية ليس نداء حقيقي، وذلك لعدم وجود منادى، إنما هو أسلوب إنشائي تعبيرى، يُستخدم للندم وشدة الحسرة، يدل على شعور الكافر بفوات الفرصة، والندم الذي لا ينفع، قال الزمخشري في الكشاف: "عض اليدين والأنامل، والسقوط في اليد، وأكل البنان، وحرق الأسنان والأرم، وقرعها كناية عن الغيظ والحسرة؛ لأنها من روادفها، فيذكر الرادفة ويدل بها على المردوف، فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة"³⁴⁷، وقال ابن عاشور في التحرير والتنوير: "ومنه في الندم قرع السن بالإصبع وعض السبابة وعض اليد، ويقال: حرق أسنانه وحرق الأرم (بوزن ركع) الأضرار أو أطراف الأصابع، وفي الغيظ عض الأنامل، قال الله تعالى: {عَضُوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ} [آل عمران، 119/3]"³⁴⁸، وتدل كلمة الظالم على العموم، لا لشخص بعينه، بل تدل على كل ظالم، قال الرازي في تفسيره: "أنَّ الظالم غير مخصوص بشخص واحد بل يعم جميع الظلمة، فكذا المراد بقوله: فلاناً ليس شخصاً واحداً، بل كل من أطيع في معصية الله"³⁴⁹.

قرأ أبو عمرو {يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ} بفتح الياء، وقرأ الباقون بإسكانها {يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ}³⁵⁰.

في قول الله تعالى: {يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً} [الفرقان، 28/25].

"{يَا وَيْلَتَى} (يا): للنداء، (ويلتى): منادى منصوب بالفتحة المقدرة على ما قبل الألف، والألف المنقلبة عن ياء المتكلم مضاف إليه، وجملة (يا ويلتى): استئنافية، {لَيْتَنِي}: (ليت) حرف ناسخ للتمني و (النون): للوقاية و (الياء) اسم (ليت)، {لَمْ}: حرف نفي وجزم وقلب، {أَتَّخِذُ}: فعل مضارع مجزوم والفاعل ضمير مستتر (أنا)، {فُلَاناً}: مفعول به أول منصوب، {خَلِيلاً}: مفعول ثانٍ منصوب وجملة (لم أتخذ): في

³⁴⁶ الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، 477/6.

³⁴⁷ الزمخشري، الكشاف، 276/3.

³⁴⁸ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 12/19.

³⁴⁹ محمد بن عمر الرازي، التفسير الكبير، (بيروت: دار إحياء التراث، تاريخ النشر: 1420هـ/1999)، 455/24.

³⁵⁰ خاروف، التسهيل لقراءات التنزيل، 362.

محل رفع خبر (ليت)، وجملة (ليتني ...) جواب نداء³⁵¹، وهو نداء يراد به التحسر والندم الشديد، وليس نداءً موجه إلى شخص بعينه، بل هو صيغة تعبيرية عن الألم الداخلي والحسرة العميقة، وهذا النداء يُصنّف في علم البلاغة بالنداء المجازي، حيث لا يراد به مخاطبة منادٍ حقيقي، بل الغرض منه إظهار الحزن والتفجع، قال القرطبي في تفسيره: "(يا ويلتى دعاء بالويل والثبور على مخالفة الكافر ومتابعته، (لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا) يعني أمية وكني عنه ولم يصرح باسمه لئلا يكون هذا الوعد مخصوصًا به ولا مقصورًا، بل يتناول جميع من فعل مثل فعلهما"³⁵² ولهذا على العاقل أن يتحرى الرفقة الصالحة، فالرفقة الصالحة هي نورٌ في الدرب وسكينة في القلب، ومفتاحٌ من مفاتيح الجنة، بها تزهو النفوس وتصفى الأرواح، وتُخَفُّ المجالس بالملائكة، ويُذكر فيها الله، إنهم قومٌ إذا ذُكِرُوا، ذُكِرُوا بالله، وإذا صحبتهم زادك قربك منهم قريبًا من الحق، أما الرفقة السيئة فهي عتمة الطريق، ومصدرٌ للزلل، تزيّن لك الباطل وتزيف الحقيقة، تقودك نحو الهاوية وتظنها نجاة، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحًا خبيثة»³⁵³.

في قول الله تعالى: {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا} [الفرقان، 30/25].

"يا حرف نداء، رب منادى مضاف وياء المتكلم المحذوفة مضاف إليه، والجملة مقول القول {إِنَّ قَوْمِي} إن واسمها وياء المتكلم في محل جر، والجملة مقول القول {اتَّخَذُوا} ماض وفاعله والجملة خبر إن، {هَذَا} الهاء للتنبيه وذا اسم إشارة مفعول به أول لاتخذوا، {الْقُرْآنَ} بدل، {مَهْجُورًا} مفعول به ثان³⁵⁴، والنداء هنا يدل على الابتهاال والشكوى إلى الله، لما فيه من تحسر النبي ﷺ على قومه، قال القرطبي في تفسيره: "قول الرسول (يارب): إنما يقوله يوم القيامة، أي هجروا القرآن وهجروني وكذبوني"³⁵⁵، قال سيد قطب (ت: 1385هـ) في ظلال القرآن "وإن ربه ليعلم، ولكن دعاء البث والإنابة، يُشهد به ربه على أنه لم يأل جهدًا، ولكن قومه لم يستمعوا لهذا القرآن ولم يتدبروه"³⁵⁶، إن من أعظم صور الغفلة وأشدّها أثرًا على

³⁵¹ علوان، إعراب القرآن الكريم، 1588/3.

³⁵² القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 26/13.

³⁵³ مسلم، "كتاب: البر والصلة والآداب"، "باب: استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرنا السوء"، 2026/4،

(رقم: 2628).

³⁵⁴ الدعاس، إعراب القرآن، 370/2.

³⁵⁵ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 27/13.

³⁵⁶ سيد قطب، في ظلال القرآن، (القاهرة: دار الشروق، 1423هـ/2003م)، 19/ 2561.

القلوب هجر كتاب الله تعالى، ذلك الكتاب الذي جعله الله نورًا يضيء للناس طريق الهدى، وشفاء لما في الصدور، وحبلاً متيناً من تمسك به نجا، ومن أعرض عنه ضل وخاب، وإن هجر القرآن لا يعني ترك التلاوة فحسب، بل يشمل ترك التدبر، والعمل، والتحاكم إليه، بل حتى الاستماع له بإقبال وخشوع، كما ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله (ت: 751هـ) في الفوائد: "هجر القرآن أنواع: أحدهما هجر سماعه، والإيمان به، والإصغاء إليه"³⁵⁷، فجاءت الشكوى بأسلوب بلاغي يجسد مرارة المفارقة بين عظمة المنزل وخذلان المتلقي، إذ جاء النداء ب (يا رب) للتوجع، وصيغة الخبر للدلالة على الشكوى، كما نبه على ذلك ابن عاشور في التحرير والتنوير: "فحكيت شكاية الرسول ﷺ إلى ربه قومه من نبذهم القرآن بتسويل زعمائهم وسادتهم الذين أضلوهم عن القرآن"³⁵⁸، فيأتي القرآن يوم القيامة إما شاهداً عليهم أو لهم، كما روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والقرآن حجة لك أو عليك»³⁵⁹، فحريٌّ بالمسلم أن يجدد صلته بكتاب ربه، تلاوةً، وتدبراً، وتطبيقاً.

قرأ نافع، والبرقي، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وروح {قَوْمِي اتَّخَذُوا} بفتح الياء، وقرأ الباقون بإسكانها {قَوْمِي اتَّخَذُوا}³⁶⁰، وقرأ ابن كثير، ووفقاً حمزة {الْقُرْآنَ} بألف بدون همز، وقرأ الباقون بتحقيقها {الْقُرْآنَ}³⁶¹.

المبحث الثاني: أسلوب الإنشاء غير الطلبي وأغراضه البلاغية في سورة الفرقان

إنَّ بعض البلاغيين قد اهتموا بدراسة أسلوب الإنشاء الطلبي، ومعظمهم قد أهملوا دراسة أساليب الإنشاء غير الطلبي؛ واعتقدوا في ذلك أن الإنشاء الطلبي فيه الاعتبارات البلاغية وأن الأساليب التي فيه مثل الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء تأتي والمقصود منها غير معانيها، أما أساليب الإنشاء غير الطلبي هي أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء، وأنها تأتي في معانيها التي وضعت لها، وفهمهم هذا فيه نظر، لأن تلك الأساليب لا تخلو من الصور البلاغية، ولهذا أفردت لهذا الأسلوب مبحثاً خاصاً.

³⁵⁷ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، الفوائد، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1393 هـ/1973م) 82.

³⁵⁸ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 17/19.

³⁵⁹ مسلم، "كتاب: الطهارة"، "باب: فضل الوضوء"، 203/1، (رقم: 223).

³⁶⁰ شمس الدين أبو الخير بن الجزري، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، (مصر: المطبعة

التجارية الكبرى، دبت)، 171/2.

³⁶¹ خاروف، التسهيل لقراءات التنزيل، 362.

المطلب الأول: أسلوب المدح والذم:

المدح في اللغة: "المدح: نقيض الهجاء، وهو حُسْنُ الثناء، والمِدْحَةُ اسم المديح، وجمعه مدائح ومدح يُقال مدحته وامتدحته"³⁶².

وفي الاصطلاح: "هو الثناء بالسان على الجميل الاختياري قصداً"³⁶³، والمدح هو أحد أساليب العربية، والغاية منه إبداء الرضا وأفعاله نِعَمٌ، حَبْذاً، والأفعال التي تسد مسدها مثل (حَسَنٌ، كَبُرَ، وكل فعل يدل على المدح والثناء).

الذم في اللغة: "الذال والميم في المضاعف أصل واحد يدل كله على خلاف الحمد، يُقال ذَمَمْتُ فلاناً أذُمه، فهو ذميم ومذموم"³⁶⁴.

ويُفهم من المعنى اللغوي بأن الذم هو تعبير عن ذم الشيء واحتقاره، وعدم الرضا به وبصاحبه.

تتكون جملة المدح والذم من ثلاثة أركان رئيسية وهي: الركن الأول: فعل المدح أو الذم، الركن الثاني: الفاعل ويأتي بعد الفعل مباشرةً، الركن الثالث: المخصوص ويكون اسماً معرفة، أو نكرة مخصصة وتكون مضافة أو موصوفة، ويقصد بالمخصوص هو الممدوح أو المذموم³⁶⁵.

1- (فعل المدح نِعَم، فعل الذم بُئْسَ)

حالات فاعل فعلي نِعَم، بُئْسَ:

أ- أن يكون فاعل نِعَم وبُئْسَ اسماً ظاهراً معرفاً بـأل، قال الله تعالى: {وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ}[ص، 30/38]، نعم: فعل المدح وفاعله (العبد) ونوعه اسم معرف بـأل.

ب- أن يكون فاعل نِعَم وبُئْسَ اسماً ظاهراً مضافاً إلى المعرف بـأل، (نعم دارُ المتقين الجنة)، نعم: فعل المدح، و(دارُ المتقين) فاعل فعل المدح (نعم)، ونوعه اسم مضاف إلى المعرف بـأل.

ج- أن يكون فاعل نِعَم وبُئْسَ ضميراً مستترًا مفسراً بنكرة منصوبة على التمييز، ومن هذا التمييز نعرف الضمير المستتر، قال الله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا}[الكهف، 50/18]، بُئْسَ:

³⁶² الفراهيدي، العين، باب: الحاء والذال والميم، 188/3.

³⁶³ الجرجاني، التعريفات، باب الميم، 207.

³⁶⁴ ابن فارس، مقاييس اللغة، باب: الذال وما معها، مادة: ذم، 345/2.

³⁶⁵ محمد عيد، النحو المصفي، (مصر: مكتبة الشباب، 1391هـ/1971م)، 418-419، بتصرف.

فعل ماضي لإنشاء الذم، مبني على الفتح وفاعله ضمير مستتر تقديره هو، بدلاً: تمييز منصوب للفاعل المستتر في فعل الذم (بئس)³⁶⁶.

2- (فعل المدح حبّ، فعل الذم لا حبّ)

حالات فاعل فعلي حبّ، لا حبّ:

له حالة واحدة فقط؛ لأنه ملازم لفعله ولا يتغير وهو اسم الإشارة (ذا)، فحينها يصبح فعل المدح (حبذا)، وفعل الذم (لا حبذا).

قال ابن هشام (ت: 213هـ) في السيرة: "قال جعفر بن أبي طالب: حين اقتحم عن فرسٍ له شقراء ثم عَقَرَهَا ثم قَاتَلَ حتى قُتِلَ وهو يقول:

"يا حَبْذَا الجنة واقترباها طيبةً وباردُ شرابها
والروم رومٌ قد دنا عذابها كافرةٌ بعيدةٌ أنسابها
عليّ إذا لقيتها ضاربها"³⁶⁷.

يا: إذا دخلت على حبّ ولا حبّ تصبح أداة تنبيه، حبّ: فعل المدح، ذا: اسم إشارة، الجنة: مبتدأ مرفوع بالضمّة، وجملة حبذا في محل رفع خبر مقدم.

وليس شرطاً أن يكون أسلوب المدح والذم مقصوراً على (نعم وبئس وحَبْذَا ولا حَبْذَا)، فقد يفهم المدح والذم من ألفاظ أخرى بحسب السياق، كما أشار ابن هشام (ت: 761هـ) في مغني اللبيب: "نعم وبئس موضوعان للمدح والذم العامين فَنَاسَبَ مقامهما الإطناب بتكثير الجمل وَلِهَذَا يجيزون في نحو {هدى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ} أن يكون الَّذِينَ نصباً بِتَقْدِيرِ أمدح"³⁶⁸.

التطبيقات في أسلوب المدح

لا يرد في سورة الفرقان المدح بصيغته الحقيقية المباشرة، وإنما يأتي غالباً بصيغة غير مباشرة، وذلك من خلال الثناء الضمني، أو عرض صفات الكمال لله تعالى وعباده المؤمنين، فالمدح في السورة لا يأتي بالصيغة الصريحة مثل (نعم) و(بئس)، وإنما يتجلى عبر عرض أفعال الله الدالة على عظّمته، وبيان

³⁶⁶ عادل ناجح البصيصي وآخرون، اللغة العربية، (العراق: وزارة التربية، المديرية العامة للمناهج، 1444هـ / 2022م)، 32/2-33-34، بتصرف.

³⁶⁷ عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية لابن هشام، حققه: مصطفى السقا وآخرون (مصر: شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1375هـ/1955م)، 378/3.

³⁶⁸ عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: مازن المبارك؛ محمد علي حمد الله، (دمشق: دار الفكر، 1364هـ/1985)، 785.

مظاهر قدرته في الكون، وكذلك من خلال تصوير سمات (عباد الرحمن) الذين خُصّوا بخصال تدل على رفعتهم ومكانتهم، وبهذا فإن السورة تعتمد أسلوب المدح غير المباشر، الذي يُستفاد من السياق والدلالة، لا من أدوات المدح الصريحة.

التطبيقات في أسلوب الذم

في قول الله تعالى: {الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا} [الفرقان، 34/25].

"{الَّذِينَ} اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، تقديره: أعني، أو أذم، أو هو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم الذين، أو هو في محل رفع مبتدأ خبره ما يأتي، {يُحْشَرُونَ} مضارع مبني للمجهول مرفوع، والواو نائب فاعله، والجمل الفعلية صلة الموصول لا محل لها {عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ} متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، التقدير: يحشرون مكبوبين على وجوههم، والهاء في محل جر بالإضافة، {إِلَىٰ جَهَنَّمَ} متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. {أُولَٰئِكَ} اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. {شَرٌّ} خبر المبتدأ. {مَّكَانًا} ³⁶⁹، فبعد أن أطلق الكفار الشبهات على نزول القرآن مفرقًا، وقالوا: لولا أنزل جملة واحدة، كما أنزلت الكتب على الأنبياء من قبل، التوراة على موسى عليه السلام، والإنجيل على عيسى عليه السلام، والزبور على داود عليه السلام، فجاء الذم للكفار على شبههم، والمشي على الوجوه دلالة على الخزي والعار والذلة والمهانة، ويساقون سوقًا على وجوههم، ويسحبون على أقبح حال، وهم شرُّ الناس منزلةً يوم القيامة، وأضل سبيلًا في الحياة الدنيا، وأبعدهم عن طريق الحق، روى الإمام أحمد في مسنده، من حديث أنس بن مالك، أن رجلاً قال: يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال نبي الله ﷺ: «إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَىٰ رَجْلَيْهِ، قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَمْشِيَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فِي النَّارِ» ³⁷⁰، فالمشي على الوجوه حقيقة وغير مجاز، قال الزحيلي في التفسير الوسيط: "ثم أوعد الله تعالى الكفار بما ينزل بهم يوم القيامة، من الحشر على وجوههم إلى النار، إذلالًا وخزيًا وهوانًا، وأولئك الظلمة هم شرُّ مكانا وهو جهنم، شر من أهل الجنة، وأضل سبيلًا، أي طريقًا عن الحق، والمقصود منه الزجر عن طريقهم ومنهجهم الخطأ، والمشي على الوجوه إما حقيقة بإقدار الله تعالى،

³⁶⁹ الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، 483/6.

³⁷⁰ ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، "مسند أنس بن مالك رضي الله عنه"، 89/21، (رقم: 13392)، قال المحقق (شعيب الأرناؤوط): إسناده صحيح على شرط الشيخين.

كإقذارهم المشي على أقدامهم، أو مجاز عن سوء الحال ودفعهم دفعا إلى جهنم، من غير وعي منهم ولا احترام لهم³⁷¹.

في قول الله تعالى: {إِنَّهَا سَاعَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا}[الفرقان، 66/25].

"{إِنَّهَا} حرف مشبه بالفعل، و (ها): ضمير متصل في محل نصب اسمها. {سَاعَتْ}، فعل ماض لإنشاء الذم، والتاء للتأنيث حرف لا محل له، والفاعل ضمير مستتر تقديره: {هي} دل عليه التمييز بعده، وهو: {مُسْتَقَرًّا}، {وَمُقَامًا} معطوف على ما قبله، وجملة: {سَاعَتْ}. إلخ في محل رفع خبر (إن)³⁷²، {سَاعَتْ} بمعنى بثست، فهي لَذَمُ جَهَنَّمَ، {مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا} أي المقام والاستقرار، فمصيرهم إلى النار وبئس المصير، فبعدما ذكر الله تعالى نعيم أهل الجنة، وما سوف يروونه من نعيمها، قال الله تعالى: {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا}[الفرقان، 24/25]، وفي صحيح البخاري، وصحيح مسلم، ومسنَد الإمام أحمد، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»³⁷³، فذكر بعدها مصير أهل النار وما سوف يلقونه من عذابها وأهوالها، وبئس الورد المورود، قال الله تعالى: {يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمُؤْرَدُ}[هود، 98/11]، قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: "وجملة إنها سَاعَتْ مُسْتَقَرًّا ومقاما يجوز أن تكون حكاية لكلام القائلين فتكون تعليلًا ثانيًا مؤكدا لتعليلهم الأول، وأن تكون من جانب الله تعالى دون التي قبلها فتكون تأييدًا لتعليل القائلين، وأن تكون من كلام الله مع التي قبلها فتكون تكريرًا للاعتراض، والمستقر: مكان الاستقرار، والاستقرار: قوة القرار، والمقام: اسم مكان الإقامة، أي سَاعَتْ موضعًا لمن يستقر فيها بدون إقامة مثل عصاة أهل الأديان ولمن يقيم فيها من المكذبين للرسول المبعوثين إليهم³⁷⁴.

³⁷¹ الزحيلي، التفسير الوسيط، 1797/2.

³⁷² الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، 516/6.

³⁷³ البخاري، "كتاب: بدء الخلق"، "باب: ما جاء في صفة أهل الجنة وأنها مخلوقة"، 1185/3، (رقم: 3072)، ومسلم، "كتاب الجنة، وصفة نعيمها وأهلها"، 2174/4، (رقم: 2824)، وابن حنبل، مسند الإمام أحمد، "مسند أبي هريرة رضي الله عنه"، 407/15، (رقم: 9649).

³⁷⁴ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 71/19.

المطلب الثاني: أسلوب التعجب

التعجب في اللغة: "عَجِبَ مِنْهُ مِنْ بَابِ طَرَبَ، وَتَعَجَّبَ وَاسْتَعَجَبَ بِمَعْنَى، وَعَجَّبَ غَيْرَهُ تَعَجُّبًا"³⁷⁵.
التعجب في الاصطلاح: قال أبو العباس في الإعراب الميسر: "انفعال يحدث في النفس عند الشعور بأمر يجهل سببه"³⁷⁶، فالتعجب حالة تقع في النفس عندما يستعظم الإنسان أمرًا.
وللتعجب طريقتان:

المقصد الأول: الطريقة السماعية

وهو التعجب الذي لا وزن له ولا قاعدة (الله دره، الله درك، سبحان الله، يا للداهية، والاستفهام المجازي الذي يخرج إلى معنى التعجب، وهذه كلها كلمات تعجبية موروثة من العرب الفصحاء، وهي أساليب موجودة في اللغة العربية لغير التعجب في الأصل، وعانيها لا تدل على التعجب لوحدها، ولكنها للاستعمال المجازي، وظروف نطق الكلمات دلّ على التعجب، فقولنا لشخص ما (الله درك) أي: الله عملك، فنسبة العمل إلى لفظ الجلالة (الله) لا تدل على التعجب لكنها دلت عليه على سبيل المجاز، وفيها:

1. الجملة الاسمية المكونة من الخبر المقدم (الله)، والمبتدأ المؤخر (در).
2. المصدر (سبحان الله)، يعرب مفعولًا مطلقًا، قال الله تعالى: {قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا}[الإسراء، 93/17].
3. التعجب على طريقة الاستغاثة: باستعمال حرف النداء (يا)، الذي يفيد معنى التعجب، ويأتي بعده الاسم المتعجب منه مسبوق بلام مفتوحة تسمى لام التعجب، قال عمرو القيس (ت: 545هـ) في ديوانه: "فيا لك من ليلٍ كأنَّ نجومه بأمراسٍ كتاني إلى صمِّ جَنْدَلٍ"³⁷⁷.
4. الاستفهام المجازي الذي خرج إلى غرض التعجب: قال الله تعالى: {اتَّأَمَّرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنَسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}[البقرة، 44/2]، وقال الله تعالى: {أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ}[النحل، 71/16]، وقال الله تعالى: {انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا}[الإسراء، 48/17]، وقال الله تعالى: {وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا}[الفرقان، 7/25]، فهذه الآيات هي أساليب استفهام خرج إلى غرض مجازي يفيد التعجب.

³⁷⁵ الرازي، مختار الصحاح، مادة: ع ج ب، 200.
³⁷⁶ محمد علي أبو العباس، الإعراب الميسر (القاهرة: دار الطلائع للنشر والتوزيع، 1417هـ/1996م)، 143.
³⁷⁷ عمرو القيس بن حجر بن حارث الكندي، ديوان امرئ القيس، اعتنى به: عبد الرحمن مصطوي (بيروت: دار المعرفة، 1425هـ/2004م)، 15.

المقصد الثاني: الطريقة القياسية

وبهذه الطريقة صيغ تدل في اللفظ والمعنى على التعجب، وهي معدة لذلك صرفياً، وفي معناها التعجب الواضح، وهكذا استُعْمِلَتْ في اللغة، وصيغتنا التعجب هما:

1. صيغة (ما أفعله): الجملة الاسمية مكونة من (ما أفعله)، وتتكون من (ما)، وفعل التعجب (أفعل)، والمتعجب منه (مفعول به)، و(ما) التعجبية تعرب مبتدأ في محل رفع وهي مبنية على السكون، و(أفعل) الذي هو فعل التعجب يعرب فعلاً ماضياً مبنياً على الفتح وفاعله ضمير مستتر وجوباً تقديره (هو)، و(الهاء) يمثل المتعجب منه يعرب مفعولاً به، (ما أعظمه، ما أجمله).

2. صيغة (أفعل به): الجملة الفعلية مكونة من (أفعل به)، وتتكون من فعل التعجب (أفعل)، و(الباء الزائدة)، المتعجب منه (فاعل)، (أفعل) فعل التعجب وهو فعل ماضي جاء على صيغة فعل الأمر ويكون مبني على السكون، و(الباء) حرف جر زائد، و(الهاء) المتعجب منه ويمثل فاعل الفعل وهو دائماً مجرور لفظاً بالحرف الزائد (الباء) مرفوع محلاً، (أكرم به).

ولصياغة فعل التعجب سبعة شروط يجب توفرها في فعل التعجب وهي:

- 1- أن يكون فعلاً ثلاثياً، فلا يصاغ فعل التعجب من فعل غير ثلاثي.
- 2- أن يكون الفعل تاماً، فلا يصاغ فعل التعجب من فعل ناقص، مثل كان وأخواتها.
- 3- أن يكون الفعل متصرفاً، فلا يصاغ فعل التعجب من فعل غير متصرف، مثل: بئس، نعم، نعم، حبذا، لا حبذا، عسى.
- 4- أن يكون الفعل مثبتاً، فلا يصاغ فعل التعجب من فعل منفي، مثل ما انتفع خالدٌ بالدواء.
- 5- أن يكون الفعل مبني للمعلوم، فلا يصاغ فعل التعجب من فعل مبني للمجهول، ضرب محمدٌ، فلا يُصاغ من هذه الجملة، ما أضرب محمد.
- 6- أن يكون الفعل قابلاً للتفاضل، فلا يمكن صياغة فعل التعجب من فعل غير قابل للتفاضل، كالموت، فلا نقول فلان أموت من فلان.
- 7- ألا يكون الفعل على وزن أفعل فعلاء، ومن ذلك صيغ الألوان أو الصفات الدالة على العيوب، مثل أحور، أسود، أعور³⁷⁸.

التطبيقات في أسلوب التعجب

³⁷⁸ ينظر: عبد الله بن يوسف بن أحمد جمال الدين بن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، (لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت)، 235/3-237، بتصرف.

في قول الله تعالى: {انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا} [الفرقان، 9/25].

الخطاب موجه للنبي ﷺ، وهو تعجب للنبي ﷺ بصيغة الاستفهام المجازي وهو من الطريقة السماعية، وقول الكفار يستحق التعجب، لأن ما قالوه من خيالهم القاصر، وتحير في أفكارهم، فأطلقوا الشبهات الفارغة لإنكار نبوة محمد ﷺ، فتارة قالوا عن القرآن: ما هو إلا إفك افتراه، أو أعانه عليه قوم آخرون، وتارة قالوا عن القرآن: ما هو إلا أساطير الأولين، وتارة قالوا عن النبي ﷺ: بأنه مسحور، وتارة قالوا: كيف لهذا الرسول يأكل الطعام، وتارة أخرى قالوا: كيف لهذا الرسول يمشي في الأسواق كسائر الناس، وتارة قالوا: لو أن نزل معه ملك يؤيده في دعواه، ونعتوه بالمجنون، والساحر، والشاعر، ومن أمثال هذه الشبه التي تستدعي التعجب من أقوالهم، وأمثالهم، ولكنهم لم يثبتوا على قول واحد، وبقوا متحيرين {فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا}، قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: "وقوله: انظر مستعار لمعنى العلم تشبيها للأمر المعقول بالأمر المرئي لشدة وضوحه، و (كيف) اسم للكيفية والحالة مجرد هنا عن معنى الاستفهام، وفرع على هذا التعجب إخبار عنهم بأنهم ضلوا في تلفيق المطاعن في رسالة الرسول فسلخوا طرائق لا تصل بهم إلى دليل مقنع على مرادهم، ففعل ضلوا مستعمل في معنياه المجازيين هما: معنى عدم التوفيق في الحجة، ومعنى عدم الوصول للدين الحق، وهو هنا تعجب من خطلم وإعراض عن مجاباتهم"³⁷⁹.

في قول الله تعالى: {قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ} [الفرقان،

18/25].

هذا التعجب بالمصدر، وهو من الطريقة السماعية، وهذا قول المعبودين تعجباً منهم، كالملائكة، والجن، والعزير، وعيسى عليهم السلام، والأصنام، قال القرطبي في جامع الأحكام: "فإن قيل: فإن كانت الأصنام التي تُعبد تُحشَر فكيف تنطق وهي جماد؟ قيل له: ينطقها الله تعالى يوم القيامة كما ينطق الأيدي والأرجل"³⁸⁰، فكل هؤلاء نزهوا الله تعالى عن الأنداد، ولسان حالهم يقول: من باب التقرير والتوبيخ للكافرين، ما ينبغي لأي أحد من المخلوقين أن يعبد غير الله تعالى، وما يحق لنا أن نأمرهم بعبادتنا، ولكن طُبع على قلوبهم فَعُمِيَتْ أَبْصَارُهُمْ، وسُدَّتْ آذَانُهُمْ عن سماع الحق، قال الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ

³⁷⁹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 330/18.

³⁸⁰ القرطبي، جامع الأحكام، 10/13.

وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ {المائدة، 5/ 116-117}، وقال الله تعالى: {وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ} [سبأ، 40/34-41]، ويوم القيامة سوف يرى الكفار مصيرهم قال الله تعالى: {اخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْتَدُوا لَهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ} [الصافات، 22/37-23]، قال الزمخشري في الكشاف: "سُبْحَانَكَ تعجب منهم، قد تعجبوا مما قيل لهم لأنهم ملائكة وأنبياء معصومون، فما أبعدهم عن الإضلال الذي هو مختص إبليس وحزبه، أو نطقوا بسبحانك ليدلوا على أنهم المسبحون المتقدسون الموسومون بذلك، فكيف يليق بحالهم أن يضلوا عباده، أو قصدوا به تنزيهه عن الأنداد، وأن يكون له نبي أو ملك أو غيرهما ندًا، ثم قالوا: ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون أن نتولى أحدًا دونك، فكيف يصح لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولونا دونك، أو ما كان ينبغي لنا أن نكون أمثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار" 381.

في قول الله تعالى: {وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوَاءً أَلَمَ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا} [الفرقان، 40/25].

المقصود في الآية هم أهل مكة، والمقصود بالقرية هي قرية سدوم قرية قوم لوط عليه السلام، حيث كانوا أهل مكة يمرون بأسفارهم عبر قرية سدوم، وهذه القرية أمطرت بالحجارة؛ لعملهم الخبائث، قال الله تعالى: {أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ} [الشعراء، 165/26-166]، فجاءهم العذاب في الدنيا قبل الآخرة، قال الله تعالى: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ} [الشعراء، 173/26]، فكان أهل مكة يرون ما حلَّ بهذه القرية وبأهلها، والآثار الدالة على النعمة والعذاب، وآثارهم باقية إلى يومنا هذا، والاستفهام هنا مجازي يفيد التعجب، وهو من الطريقة السماعية، وهو أيضًا للإنكار، والإنكار في النفي هو إثبات، والتقرير هنا بأنهم كانوا يرونها، ويروا آثار العذاب الذي حلَّ بهؤلاء القوم، واقتران لام القسم بالخبر يفيد التعجب من حالهم عندما كانوا يشاهدون العذاب بأعينهم ولم يعتبروا، ولم يتعظوا؛ لأنهم كانوا ينكرون البعث، ويكذبون بالآخرة، أن قريشًا كانوا يرون آثار عذاب الله ونكاله إذا مروا في تجارتهم إلى الشام على قرية قوم لوط التي أهلكت بالحجارة من السماء، أفلم يكونوا ينظرون إلى ما حلَّ بتلك القرية، ويذكرون، بل كانوا قومًا كفرة بالبعث لا يتوقعون نشورًا وعاقبة، قال الزمخشري في الكشاف: "أن قريشًا مروا مرارًا كثيرة في متاجرهم إلى الشام على تلك القرية

381 الزمخشري، الكشاف، 270/3.

التي أهلكك بالحجارة من السماء، أفلم يكونوا في مرار مرورهم ينظرون إلى آثار عذاب الله ونكاله، ويذكرون، بل كانوا قومًا كفرة بالبعث لا يتوقعون نشورًا وعاقبة³⁸²، وقال الشعراوي في تفسيره: "فالمعنى: أنهم مرّوا عليها وشاهدوها، ويعرفونها تمام المعرفة، لكنهم لا يرجون نشورًا يعني: لا ينتظرون البعث، ولا يؤمنون به، ولا يعترفون بالوقوف بين يدي الله للحساب، ألم يقولوا: {إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ} [المؤمنون، 82/23]، وعجيبٌ ألا يؤمن هؤلاء بالبعث والحساب، وهم أنفسهم كانوا إذا رأوا ظالمًا وقفوا في وجهه ومنعوه من الظلم، كما كان في حلف الفضول مثلاً، فيأخذون الظالم ويعاقبونه حتى يرجع عن ظلمه، ثم يردّون للمظلوم حقه³⁸³.

{لَا يَرْجُونَ نُشُورًا} قرأ السوسي عن أبي عمرو بالإدغام الكبير، وقرأ الباقون بالإظهار³⁸⁴.

في قول الله تعالى: {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا} [الفرقان، 43/25].

المخاطب في هذه الآية هو النبي ﷺ، بعدما أعرض الكفار عن دعوته، وهو حريصًا على دعوتهم، ومحباً لهدايتهم، لكنهم أعرضوا عنه وكذبوه، وأطلقوا عليه الشبه، فأعلمه الله تعالى بأن هؤلاء طبع على قلوبهم، ولا يرجى هدايتهم، والاستفهام مجازي أفاد التعجب وهو من الطريقة السماعية، وهذا تعجيب للنبي ﷺ على أفعالهم القبيحة وسوء حالهم، أي انظر إلى هذا الكافر الذي أعرض عن استماع الحق، وبنى أمر دينه على الباطل، ثم خاطبه الله تعالى بالاستفهام {أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا} والاستفهام هنا للإنكار والاستبعاد، أي إنك لا تستطيع أن تكون عليه وكيلًا وترشده إلى الحق بعدما اتخذ هواه إلهاً له، ولا تتأسف عليهم، قال الله تعالى: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ} [النحل، 127/16]، والفعل اتخذ هو فعل متعدي أخذ مفعولين (إلهه، هواه) وفي هذه الآية تقدم المفعول الثاني (إلهه) على المفعول الأول (هواه)، وذلك للاهتمام والعناية، قال البيضاوي في أنوار التنزيل: "أرأيت من اتخذ إلهه هواه بأن أطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يبصر دليلاً، وإنما قدم المفعول الثاني للعناية به"³⁸⁵، وقال الزحيلي في التفسير المنير: "تعجيب، وفيه تقديم المفعول الثاني على الأول للعناية به، والأصل: اتخذ هواه إلهاً له، بأن أطاعه وبنى عليه دينه، لا يسمع حجة، ولا يبصر دليلاً"³⁸⁶.

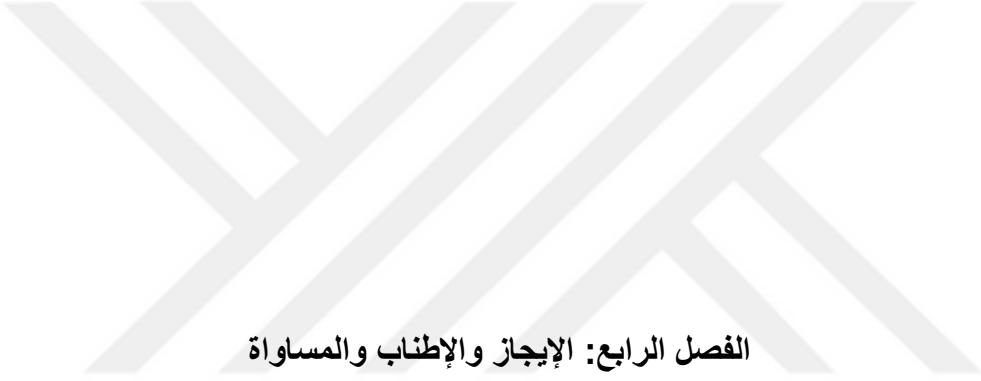
³⁸² الزمخشري، الكشاف، 281/3.

³⁸³ الشعراوي، تفسير الشعراوي، 10477/17.

³⁸⁴ خاروف، التسهيل لقراءات التنزيل، 363.

³⁸⁵ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 125/4.

³⁸⁶ الزحيلي، التفسير المنير، 70/19.



الفصل الرابع: الإيجاز والإطناب والمساواة

في سورة الفرقان

تعتبر ظواهر الإيجاز والإطناب والمساواة، من أبرز الموضوعات البلاغية التي تلقى اهتماماً واسعاً في مجال علوم البلاغة وعلم المعاني، خاصة عند دراسة وتحليل النصوص القرآنية، فهذه الظاهر لا تقتصر على كونها أساليب لغوية فحسب، بل هي أدوات فنية دقيقة تساهم في توجيه المعنى وبناء الصورة البلاغية، مما يزيد من تأثير النص وقوته على القارئ والمستمع، ولأهمية هذه الظواهر جميعاً في تشكيل عناصر أساسية داخل النصوص، فإن دراسة أبعادها ووظائفها البلاغية، وفهم آليات استخدامها يمثل خطوة أساسية لفهم أسرار البيان والإقناع، وكشف غوامض النصوص التي تتسم ببنية بلاغية راقية.

المبحث الأول: الإيجاز

الإيجاز في اللغة: "أَوْجَزَ في يَوْجِز، إِيْجَازًا، فهو مَوْجِزٌ، والمفعول مَوْجَزٌ (للمتعدّي)، أَوْجَزَ كلامه، أَوْجَزَ في كلامه، قلله واختصره، أعاده على نحو موجز" ³⁸⁷.

الإيجاز في الاصطلاح: " هو وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل منها، وافية بالغرض المقصود، مع الإبانة والإفصاح، كقول الله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف، 199/7]، فهذه الآية قصيرة جمعت مكارم الأخلاق بأسرها" ³⁸⁸.

ومن خلال التعريفين اللغوي والاصطلاحي يُفهم بأن الإيجاز: ليس مجرد تقليص بعدد الكلمات، أو حذف في المباني، بل هو مهارة قول المعاني العميقة بألفاظ محدودة، وهو يتطلب مهارة دقيقة في انتقاء الألفاظ ووضعها في السياق المناسب، بحيث يُحافظ على المعنى كاملاً دون إخلال أو غموض، قال المؤيد بالله (ت: 745هـ) في الطراز لأسرار البلاغة: "وإنما الذي يجب مراعاته ويتوجه إليه قصده، هو الإتيان بالألفاظ الوجيزة الفصيحة، والتجنب للألفاظ الوحشية مع الوفاء في ذلك بالإبانة والإفصاح، وسواء فهم العوام أم لم يفهموا فإنه لا عبرة بهم ولا اعتداد بأحوالهم ولا يضر الكلام الفصيح عدم فهمهم لمعناه، ولهذا فإن نور الشمس إذ لم يره الأعمى لا يكون نقصاً في وضوحه وجلائه، وإنما النقص في بصر الأعمى حيث لم يدركه" ³⁸⁹.

أنواع الإيجاز: للإيجاز نوعان: إيجاز قصر، وإيجاز حذف.

³⁸⁷ مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة: وَجَزَ، 2403/3.

³⁸⁸ الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، 197.

³⁸⁹ يحيى بن حمزة بن علي الطالبي الملقب بالمؤيد بالله، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، (بيروت، المكتبة العصرية، 1423هـ/2003م)، 50/2.

المطلب الأول: إيجاز القصر

القصر في اللغة: القَصْرُ والقَصْرُ في كل شيء خلافُ الطول، وهما لغتان: وقَصَرَ الشيء بالضم يقصُرُ قصراً، خلافُ طال، وقَصَرْتُ من الصلاة أقصُرُ قصراً، والقصيرُ خلافُ الطويل³⁹⁰.

القصر في الاصطلاح: "تضمن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة من غير حذف"³⁹¹

إيجاز قصر: "وهو تقليل الألفاظ وتكثير المعاني، وقيل: هو تضمين العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف"³⁹².

يُعد إيجاز القصر من أرقى مظاهر البلاغة العربية التي تتجلى بوضوح في البيان القرآني، حيث يلتقي الاختزال اللفظي مع العمق الدلالي في صورة بديعة تجمع بين الإيجاز والإحكام.

التطبيقات:

في قول الله تعالى: {فَقُلْنَا أَهْبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا} [الفرقان، 36/25].

في هذه الآية أسلوب الإيجاز بالقصر واضح، يتجلى في ما دار بين موسى وهارون عليهما السلام وبين تدمير القوم، مثلاً في دعوتهما، استجابتهما، مواقف التكذيب، المكابرة، الصبر، ثم وقوع العذاب، وفي قوله: {فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا} جاء التعبير بلفظة واحدة "دمرناهم" مضافاً إليها مصدرًا مؤكدًا "تدميرًا" ليبدل على الاستئصال التام والشامل، بدل أن يُفصّل فيذكر صور العذاب أو أنواعه (كالخسف، الغرق، الريح، الصيحة...). فجُمع كل ذلك في لفظ موجز جامع، وهو "التدمير"، فأفاد الاستئصال المطلق، قال ابن عطية في المحرر الوجيز: "هذه الآية ذكر فيها الأمم هي تمثيل لهم وتوعد أن يحل بهم ما حلّ بهؤلاء المعذبين، والكتاب والتوراة، والوزير المعين، وهو من تحمل الوزر، أي: ثقل الحال، أو من الوزر الذي هو الملجأ، والقوم الذين كذبوا هم فرعون وملؤه من القبط، ثم حذف من الكلام كثير دلّ عليه ما بقي، وتقدير المحذوف: فأديا الرسالة فكذبوهما فدمرناهم"³⁹³، وقال الإيجي (ت: 905هـ) في جامع البيان في تفسير القرآن: "{فَقُلْنَا أَهْبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا} فإن قوم فرعون لما أشركوا بالله كذبوا بما جاء به

³⁹⁰ ابن منظور، لسان العرب، فصل القاف، مادة قصر، 95/5.

³⁹¹ الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، 198.

³⁹² عتيق، علم المعاني، 176.

³⁹³ ابن عطية، المحرر الوجيز، 210/4.

الأنبياء من قبلهم (فَدَمَّرْنَاَهُمْ تَدْمِيرًا)، أي: فكذبوهما فاستأصلناهم، اختصر القصة فذكر مجملها، لأن الزام الحجة ببعثة الرسل أو استحقاق الهلاكة بالتكذيب³⁹⁴.

في قول الله تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا} [الفرقان، 58/25].

إيجاز قصر، حيث إن التوكل على الله يحتاج إلى ذكر صفات الله عز وجل مثل: القدير، العليم، الرحيم،... إلخ، لكنه أختزل في صفة واحدة (الحي الذي لا يموت)، فهذه الصفة اختزلت كل معاني الربوبية والكمال، في عبارة موجزة، قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: "عدل عن اسم الجلالة إلى هذين الوصفين لما يؤذن به من تعليل الأمر بالتوكل عليه لأنه الدائم فيفيد ذلك معنى حصر التوكل في الكون عليه، وفي ذكر الوصفين تعريض بالمشركون إذ ناطوا آمالهم بالأصنام وهي أموات غير أحياء"³⁹⁵، فالإيجاز بالقصر هنا: أن القرآن بعبارة قصيرة "الحي الذي لا يموت" جمع جميع معاني الكمال والدوام التي تقتضي انحصار التوكل على الله وحده، دون حاجة إلى تفصيل أو إطناب.

في قول الله تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} [الفرقان، 63/25].

إيجاز قصر، حيث اختزل الله خُلُقًا عظيمًا لعباد الرحمن، مثل: (التواضع، الحلم، اللين، الوقار،.. إلخ)، في صورة واحدة (يمشون هونًا)، فهذه العبارة تُغني عن شرح مطول، وتجعل من المشي المتواضع رمزًا شاملاً للسلوك الأخلاقي الرفيع، وهو تعبير موجز يدل على التواضع والسكينة دون أن يفصل، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال: "حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيْنٍ لَيْنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ"³⁹⁶، (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا) إيجاز بليغ، شرح وفصل حياتهم مع الكفار بالرغم من الكلام السيء الكثير الذي كانوا يطلقونه على المؤمنين، فلم يطل في شرح ردودهم أو جدالهم، بل أوجز بأنهم يكتفون بكلمة (سلامًا)، قال الرازي في تفسيره: "واعلم أنه تعالى لما ذكر سيرتهم في النهار من وجهين: أحدهما: ترك الإيذاء، وهو المراد من قوله: (يمشون على الأرض هونًا) والآخر تحمل

³⁹⁴ محمد بن عبد الرحمن بن محمد الحسيني الإيجي، جامع البيان في تفسير القرآن، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1424 هـ/2004م)، 156/3.

³⁹⁵ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 59/19.

³⁹⁶ ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، مسند عبد الله بن مسعود، 53/7، (رقم: 3938)، قال المحقق شعيب (الأرنؤوط) حسن بشواهد، وهذا إسناد ضعيف، الأودي - وهو عبدالله بن عمرو - لم يروي عنه غير موسى بن عقبة، ولم يؤثر توثيقه عن غير ابن حبان، وبقيّة رجاله ثقات.

التأذي، وهو المراد من قوله: (وإذا خاطبهم الجاعلون قالوا سلاماً) فكانه شرح سيرتهم مع الخلق في النهار³⁹⁷.

في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} [الفرقان، 67/25].

إيجاز قصر، حيث إنه لم يُفصل في الأمور المالية والنفقات، بل اختصرها في نفي الإسراف، ونفي التقتير، فالقصر هنا بين كمال الاعتدال في الإنفاق بين التبذير والتقتير، قال تعالى: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ} [الإسراء، 29/17]، فقد اختزل القرآن صفات المعتدلين في الإنفاق بجملة واحدة جامعة (لم يسرفوا ولم يقتروا) ثم ختمها بتوصيف موجز (وكان بين ذلك قواماً)، دون شرح مطول، فأضمر معاني كثيرة في كلمات معدودة دون حاجة إلى الحذف، قال ابن عثيمين في تفسيره: "فهؤلاء إذا أنفقوا لم يسرفوا، والإسراف مجاوزة الحد كمية أو كيفية، (ولم يقتروا) يُضَيِّقُوا، فالإقتار هو الإقلال والتضييق، وفهم معناه مما قول به وهو قوله عز وجل: (لم يسرفوا)"³⁹⁸.

في قول الله تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} [الفرقان، 72/25].

إيجاز قصر، حيث إن الزور لا يقتصر على الكذب، بل يشمل شهادة الباطل، واللهو، والفجور، وكل قول أو فعل باطل، فاختصر الانحراف الأخلاقي كله في كلمة واحدة (الزور)، فهذا التركيب يوجز منهجاً في الصدق والنزاهة بكلمة واحدة فقط، وفي صحيح البخاري من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وجلس وكان متكئاً فقال: ألا وقول الزور، قال: فما زال يكررها حتى قلنا: لينته سكت"³⁹⁹، قال السعدي (ت: 1376 هـ) في تيسير الكريم الرحمن: "(لا يشهدون الزور) أي لا يحضرون الزور، أي: القول والفعل المحرم، فيجتنبون جميع المجالس المشتملة على الأقوال المحرمة أو الأفعال المحرمة، كالخوض في آيات الله، والجدال الباطل، والغيبة والنميمة والسب والقذف والاستهزاء والغناء المحرم وشرب الخمر وفرش الحرير، والصور ونحو ذلك، وإذا كانوا لا يشهدون الزور فمن باب أولى وأحرى أن لا يقولوه ويفعلوه"⁴⁰⁰، (وإذا مروا باللغو مروا كراماً) إيجاز بليغ عن الإعراض بإحسان، لا بتفصيل أو بسرد، مع وصفهم بأنهم كرام، قال تعالى: {وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ

³⁹⁷ الرازي، مفاتيح الغيب، 481/24.

³⁹⁸ ابن عثيمين، تفسير سورة الفرقان، 280.

³⁹⁹ البخاري، كتاب: "الشهادات"، باب: ما قيل في شهادة الزور، 939/2، (رقم: 2511).

⁴⁰⁰ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن

بن معلا اللويحق، (السعودية: مؤسسة الرسالة، 1420هـ/2000م)، 587.

أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ} [القصص، 55/28]، قال الزمخشري في الكشف: "والمعنى إذا مروا بأهل اللغو والمشتغلين به مروا معرضين عنهم، مكرمين أنفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم"⁴⁰¹.

المطلب الثاني: إيجاز الحذف

الحذف في اللغة: قال ابن الهروي (ت: 370هـ) في تهذيب اللغة: "قَطِفُ الشيء من الطرف كما يُحَدَفُ ذنب الدابة"⁴⁰²، وعرفه ابن سيده (ت: 458هـ) في المحكم: "حَدَفَ الشيء يَحْدِفُهُ حَدْفًا، قطعه من طرفه"⁴⁰³.

الحذف في الاصطلاح: عرفة الجرجاني (ت: 471هـ) في دلائل الإعجاز: "هو بابٌ دقيق المسلك، لطيف المأخذ عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به تركُ الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين"⁴⁰⁴.

إيجاز حذف: "هو ما يحذف منه كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تعيّن المحذوف"⁴⁰⁵.

يُعدُّ الإيجاز بالحذف من أعظم وجوه البلاغة التي تجلت في القرآن الكريم، إذ إنه يمثل ذروة البيان حين يُعبر النص بأقل لفظٍ عن أوسع معنى، دون إخلال أو غموض.

أسباب الحذف: الحذف أسلوب من أساليب العربية ولهذا الأسلوب أسباب نشأ عنه، "والأصل أن لا حذف"⁴⁰⁶، إلا للاضطرار، وقام النحويون بجمع تلك الأسباب منها:

- 1- علم المخاطب بالمحذوف، والعرب يحذفون الكلام اختصاراً وتخفيفاً، قال سيبويه (ت: 810هـ) في الكتاب: "هذا باب يحذف المستثنى فيه استخفافاً، وذلك قولك: ليس غير، وليس إلا كأنه قال: ليس إلا ذاك، وليس غير ذاك، ولكنهم حذفوا ذلك تخفيفاً واكتفاءً بعلم المخاطب وما يعني"⁴⁰⁷.

⁴⁰¹ الزمخشري، الكشف، 295/3.

⁴⁰² محمد أحمد الهروي الأزهرى، تهذيب اللغة، حققه: محمد بن عوض بن مريع (بيروت: دار إحياء التراث العربي،

1421هـ/2001م)، باب: الحاء والذال، 270/4.

⁴⁰³ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، حققه: عبد الحميد هنداوي (بيروت: دار الكتب

العلمية، 1421هـ/2000م)، باب: الحاء والذال والفاء، 291/3.

⁴⁰⁴ أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، حققه: محمود محمد شاكر (مصر:

مطبعة المدني؛ جدة: دار المدني، 1413هـ/1992م)، 146/1.

⁴⁰⁵ عتيق، علم المعاني، 178.

⁴⁰⁶ أبو حيان، البحر المحيط، 406/1.

⁴⁰⁷ عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، حققه: محمد عبد السلام هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي،

1408هـ/1988م)، باب: يحذف فيه المستثنى استخفافاً، 344/2-345.

2- الطول في تركيب الجملة، فمن المعلوم أن الطول في تركيب الجملة يؤدي إلى الثقل، لذلك يلجأ المتكلم للتخفيف بأسلوب الحذف، قال الإشبيلي (ت: 669هـ) في شرح جمل الزجاج: "فمثال حذف الاختصار أن تقول في جواب من قال: (هل أعلمت زيداً عمراً منطلقاً)؟ (أعلمت زيداً)، أو (أعلمت زيداً عمراً) وتحذف ما بقي لدلالة تقدم ذكر المحذوف في كلام السائل"⁴⁰⁸.

3- الاستعمال الكثير للجملة، وهي من الأسباب الرئيسة للحذف، والتي علل بها النحاة هذا الأسلوب، مثال ذلك في قول الله تعالى: {يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ} [هود، 105/11]، قال ابن مجاهد (ت: 324هـ) في كتاب السبعة: "قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي {يَوْمَ يَأْتِ} بياء في الوصل ويحذفونها في الوقف، غير أن ابن كثير كان يقف بالياء ويصل بالياء فيما أحسب وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة بغير ياء في وصل ولا وقف"⁴⁰⁹، قال ابن الشجري (ت: 542هـ) في الأمالي: "ونظير حذف هذه الياء إذا سكنت حذف ياء المتكلم في الوقف كقراءة من قرأ: {رَبِّي أَكْرَمَنَ} و {رَبِّي أَهَانَنَ} [الفجر، 15/89-16]"⁴¹⁰.

ومن بلاغة القرآن الكريم أسلوب إيجاز الحذف، ويكون الحذف إما بالحرف، أو بالكلمة سواء كانت هذه الكلمة مسنداً إليه من مبتدأ، وفاعل، أو مسنداً من فعل، أو خبر، أو مضاف، أو من المتعلقات، أو حذف الجملة.

التطبيقات:

في قول الله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا} [الفرقان، 4/25].

حذف حرف الجر (الباء)، في (ظلم) والأصل جَاءُوا بِظُلْمٍ وَزُورٍ، والغرض البلاغي من الحذف هو عظم قول الكافرين وافتراءهم وكذبهم؛ لأنهم نسبوا كلام الله تعالى إلى الكذب والافتراء، ولما حذف حرف الجر نُصِبَتْ كلمة (ظلمًا)؛ أي: كان قولهم هذا قولاً هائلاً عظيماً، فالنصب أقوى في التعبير والوصف من الجر، فهذا من بلاغة القرآن، فالإنكار عليهم لعظم قولهم هذا، وما شابهه من الشبه التي أملى عليهم الشيطان

⁴⁰⁸ علي بن مؤمن بن محمد بن عصفور الإشبيلي، شرح جمل الزجاجي، تقديم: فواز الشعار، إشراف: أميل بديع يعقوب (لبنان: دار الكتب العلمية، 1419هـ/1998م)، 293/1.

⁴⁰⁹ أحمد بن موسى بن العباس أبو بكر بن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، حققه: شوقي ضيف (مصر: دار المعارف، 1400هـ/1979م)، 338.

⁴¹⁰ ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن الشجري، أمالي ابن الشجري، حققه: محمود محمد الطناحي (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1413هـ/1991)، 291/2.

فأنساهم ذكر ربهم، قال البغوي (ت: 510 هـ) في معالم التنزيل: "(ظُلماً وَزُوراً) أي: بظلم وزور، فلما حذف الباء انتصب"⁴¹¹، ونصب ظلماً متعلق بفعل جاؤا، إذ إن جاء قد تستخدم استخدام أتي، ويعدى تعديته، وأن ذلك من باب حذف حرف الجر، والأصل جاؤوا بظلم، حذف الباء هنا فيه إيجاز، لأن الباء تدل على الملابس (جاؤوا بظلم)، لكن حذفها أوصل المعنى بقوة أكبر، فجعل الظلم والزور نفس ما جاؤوا به، لا مجرد شيء مصاحب لهم، أي أنهم لم يأتوا ومعهم ظلم، بل كانوا هم الظلم والزور بعينه، فالآية الكريمة عبرت بعبارة موجزة محذوفة الأداة، فأفادت المبالغة في وصف افتراءهم بالكذب.

في قول الله تعالى: {وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الفرقان، 5/25].

حذف المسند إليه أي: المبتدأ (هذه)، في (أساطير الأولين)؛ لأن أساطير هو المسند أي: الخبر، والتقدير (هذه أساطير الأولين)، والغرض البلاغي من الحذف هو علم المخاطب بالمحذوف، ولغرض التخفيف والاختصار.

وفي الآية الكريمة حُذِفَ المسند إليه (الفاعل) من الفعل (اكتتبها)، "وقرئ على البناء للمفعول؛ لأنه أُمي وأصله: اكتتبها كاتب له، فحذف اللام وأفضى الفعل إلى الضمير فصار اكتتبها إياه كاتب ثم حُذِفَ الفاعل وبني الفعل للضمير فاستتر فيه، فهي تملأ عليه بكرة وأصيلًا، ليحفظها فإنه أُمي، لا يقدر أن يكرر من الكتاب أو لتكتب"⁴¹².

وفي هذين الحذفين يتبين الإيجاز في المعنى، والقوة في البلاغة، وهذا من إعجاز القرآن الذي تحدى الله به عقولهم وأسماعهم، وأدهشهم، لأنه يعطي القوة في المعنى بأخصر عبارة وجزالة في المعنى.

في قول الله تعالى: {لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُنَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا} [الفرقان، 16/25].

حذف العائد على ما، وهي التي بمعنى الذي، أي: لهم فيها الذي يشاؤون، والأصل: (لهم فيها الذي يشاؤون)، فحذف العائد على (ما) وهو (الهاء)، لغرض التخفيف والاختصار، "الراجع إلى الموصولين محذوف، يعني: وعدّها المتفون وما يشاؤون"⁴¹³، أي لهم في الجنة كل ما يشتهونه ويتمنونه، وذلك لأن ما يشاؤون جاءت نكرة وغير مقيدة لتفيد العموم.

⁴¹¹ أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، حققه: محمد عبدالله النمر؛ وآخرون، (السعودية: دار طيبة للنشر والتوزيع، 1417هـ/ 1997م)، 6/ 72.

⁴¹² البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 4/ 118.

⁴¹³ الزمخشري، الكشاف، 3/ 267.

وأيضاً حُذِفَ حرف العطف (الواو) مع الضمير العائد(هُم)، والتقدير: (لهم فيها ما يشاؤونهم وهم خالدين)، فَحُذِفَ حرف العطف والضمير لدلالة السياق عليهما، وهو أسلوبٌ بلاغي معروفٌ في القرآن الكريم. وجاء الحذف للإيجاز البلاغي، والتأكيد على المعنى.

في قول الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا}[الفرقان، 20/25].

حذف كلمة (رسلاً) والتقدير: (وما أرسلنا قبلك رسلاً من المرسلين) لوجود (من) في الآية، وإنما حذفت الكلمة لأنها معلومة عند المخاطب، ولتخفيف الكلام، قال الزجاج في معاني القرآن: "حُذِفَتْ رَسَلًا لِأَنَّ (مِنْ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {مِنْ الْمُرْسَلِينَ} دَلِيلٌ عَلَى مَا حُذِفَ مِنْهُ"⁴¹⁴.

وربما حُذِفَتْ جملةٌ كاملةٌ للإعجاز البلاغي، وإلى هذا ذهب الزمخشري فقال: "الجملة بعد (إلا) صفة لموصوف محذوف، والمعنى: وما أرسلنا قبلك أحدًا من المرسلين إلا آكلين ومشين، وإنما حذف اكتفاءً بالجار والمجرور، أعني من المرسلين"⁴¹⁵.

في قول الله تعالى: {وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا}[الفرقان، 25/25].

"{تَشْقُقُ} قرأها نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب: {تَشْقُقُ} بتشديد الشين فهم شددوا الشين وأدغموها في التاء؛ لأن أصلها {تَشْقُقُ}، وقرأها الباقون بالتخفيف"⁴¹⁶، فمن خفف حذف التاء ولم يدغمها في الشين.

"قرأها ابن كثير {وَنُزِّلَ} بنونين الأولى مضمومة والثانية ساكنة، وقرأها الباقون {وَنُزِّلَ}":⁴¹⁷، "بحذف النون التي هو فاء الفعل من نزل"⁴¹⁸.

والمقصود يوم القيامة ونزول الملائكة؛ لأن في يوم القيامة تنشق السماء، قال الله تعالى: {إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ}[الانشقاق، 1/84]، وهذا اليوم سهلٌ على المؤمنين، وعسيرٌ على الكافرين، حُذِفَ الفعل (اذكر) قبل يوم، والتقدير (واذكر يوم تنشق السماء بالغمام)، وفهم ذلك من السياق، وحُذِفَ الفعل للإيجاز والاختصار والتخفيف، وفي هذا الحذف وجدنا الآية أقوى في المعنى وأبلغ، وأيضاً حُذِفَ الفاعل في (وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ

⁴¹⁴ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 62/4.

⁴¹⁵ الزمخشري، الكشاف، 271 / 3.

⁴¹⁶ خاروف، التسهيل لقراءات التنزيل، 362.

⁴¹⁷ المصدر السابق، 362.

⁴¹⁸ الزمخشري، الكشاف، 275/3.

تَنْزِيلًا)، ونلاحظ الفعل (نُزِّلَ) مبني للمجهول لم يُذكر فاعله، وهو مفهومٌ من السياق فالفاعل (الله تعالى)، ولم يُذكر تنزيهاً له سبحانه وتعالى عن التصريح، وهذا من البلاغة العالية للقرآن الكريم، والتقدير (وُنُزِّلَ اللهُ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا)، قال الزمخشري في الكشاف: "وقرئ: وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ، وَتَنْزَلَ الْمَلَائِكَةُ، وَنُزِّلَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَأَنْزَلَ الْمَلَائِكَةُ، وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ، وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ: على حذف النون الذي هو فاء الفعل من نزل: قراءة أهل مكة"⁴¹⁹.

في قول الله تعالى: {وَإِذَا رَأَوْكَ أَنْ يَنْخُدُوكَ إِلَّا هُزُواً أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللهُ رَسُولاً} [الفرقان، 41/25].

في الآية حذف الضمير يعود على (أهذا الذي بعث)، وحُذِفَ الضمير اختصاراً، والتقدير (أهذا هو الذي بعثه الله رسولاً)، وفي حذف الضمير أصبح الأسلوب أشد وأقوى في الاستنكار على الاستهزاء والاستغراب والسخرية الذي حصل من الكفار برسول الله ﷺ، وذكر الكفار اسم الإشارة (هذا) من غير ذكر اسم النبي ﷺ وهذا من خبثهم؛ لأنهم لا يريدون التلفظ باسمه، وهذا من أساليب العرب إذا أرادوا التقليل من شأن الشخص لا يذكرون اسمه، فجاء التعبير بهذه الأدوات البلاغية مثل أسلوب الاستفهام الإنكاري وأسلوب الحذف لينقض جهلهم وغرورهم والسخرية الباطلة بحق النبي ﷺ، قال ابن عطية في المحرر الوجيز: "فقالوا على جهة الاستهزاء أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللهُ رَسُولاً وفي بَعَثَ ضمير يعود على الذي حذف اختصاراً وحسن ذلك في الصلة"⁴²⁰.

في قول الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ} [الفرقان، 45/25].

في الآية حذف المسند أي: المضاف كلمة (فعل)، واكتفى بالمسند إليه أي: المضاف إليه الفاعل (ربك)، والتقدير: (ألم تر إلى فعل ربك)، نقل الواحدي (ت: 468هـ) في التفسير الوسيط: عن مقاتل: "ألم تر إلى فعل ربكم ثم حذف المضاف"⁴²¹، وفي هذه الآية تصوير قرآني رائع حيث ذكر الله تعالى (ألم تر إلى ربك) ولم يقل (ألم تر إلى الله) وذلك لتقوية الصلة بين العبد وربّه، وأيضاً التأكيد على ظاهرة (مد الظل) هي من تدبير الله تعالى وحده، والأمر الآخر هو التدرج بالظواهر الطبيعية، حيث إن الظل لا يأتي دفعة واحدة، بل يأتي بالتدريج، وهذا من دقة التناسق في النظام الكوني مما يُظهر قدرة الله تعالى، والغرض من الحذف هو الإيجاز وعدم الطول، والاختصار والتخفيف.

⁴¹⁹ الزمخشري، الكشاف، 275/3.

⁴²⁰ ابن عطية، المحرر الوجيز، 211/4.

⁴²¹ علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، التفسير الوسيط، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود؛ وآخرون (لبنان: دار الكتب العلمية، 1415هـ/1994م)، 342/3.

في قول الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا}[الفرقان، 53/25].

حُذِفَت الألف من ملح، وهذا من بلاغة القرآن، ولتطابق السياق في الآية القرآنية، قال ابن جني (ت: 392هـ) في المحتسب: "قد يكون أصل "ملح" مالحًا، وحذف الألف"⁴²²، وقال الزمخشري في الكشف: "وقيل كانه حذف من ملح تخفيفًا"⁴²³.

والمرج في اللغة: "الفساد والفتنة المشكلة، وتقول العرب بينهم هرج ومرج (فتسكن المرج مع الهرج مزاجية) اختلاط وفتنة"⁴²⁴، فالمرج تعني اختلاط الشيء بالشيء، قال الله تعالى: {بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ}[ق، 5/50] أي: أمرٍ مختلط، ثم قال: (وجعل بينهما برزخًا)، والبرزخ "الحائل بين الشيئين"⁴²⁵، وهو الحاجز الذي يمنع الاختلاط بين الشيئين، ثم قال: (حجراً محجوراً) أكد بالتكرار لتأكيد المنع وجعله مستحيلاً، قال ابن عثيمين في تفسير سورة الفرقان: "لَوْ قَالَ قَائِلٌ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {بَرْزَخًا} ثُمَّ قَالَ: {وَحِجْرًا مَحْجُورًا} أَلَيْسَ مَعْنَاهُمَا وَاحِدًا؟ فَالْجَوَابُ: لَا، الْفَائِدَةُ التَّقْوِيَّةُ، حَتَّى قَوْلُهُ: {وَحِجْرًا مَحْجُورًا} فِيهِ فَائِدَةٌ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ مُحْكَمٌ حَجْرُهُ"⁴²⁶، وهذا من قدرة الله جلَّ وعلى، فجعل هذين البحرين لا يجتمعان ولا يصل أحدهما على الآخر، فالجنس واحد (ماء) ولكن أحدهما عذب والآخر ملح فسبحان الذي جعلهما يفرقان ولا يجتمعان، قال الله تعالى: {مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ}[الرحمن، 19/55-20].

في قول الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا}[الفرقان، 62/25].

حذف المسند أي: المضاف واكتفى بالمضاف إليه (خليفة)، لغرض التخفيف، والتقدير ذوي خليفة، أي يخلف كل منهما الآخر، وهذا من باب حذف المضاف، والتقدير: جعل الليل والنهار ذوي خليفة، أي: ذوي اختلاف، واختلاف الليل والنهار يقابله بالحال اختلاف الظلمة بالنور، وختم الآية ب (لام التعليل) {لِمَنْ أَرَادَ

⁴²² أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرون، (مصر: وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1386هـ - 1389هـ/ 1966م-1969م)، 394/2.

⁴²³ الزمخشري، الكشف، 287/3.

⁴²⁴ إبراهيم مصطفى؛ وآخرون، المعجم الوسيط، باب: الميم، مادة: مرج، 861/2.

⁴²⁵ الأزدي، جمهرة اللغة، باب: الباء والحاء، 1116/2.

⁴²⁶ ابن عثيمين، تفسير سورة الفرقان، 223.

أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا} فليُنظر في اختلاف الليل والنهار المتفكر في خلق الله تعالى، وليتأمل في هذا الخلق ثم يشكر الله تعالى على هذا الاختلاف، فجعل الليل لباساً أي فيه سباتاً يسكن الناس فيه، والنهار معاشاً لكسب أسباب العيش قال الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً}[الفرقان، 47/25]، قال القرطبي في جامع الأحكام: "وقيل هو من باب حذف المضاف أي: (جعل الليل والنهار دُوي خُفّة) أي اختلاف"⁴²⁷، وقال ابن عاشور في التحرير والتنوير: "صيغ هذا الاسم على زنة (فعلة) لأنه في الأصل ذو خلفه، أي صاحب حالة خلف فيها غيره ثم شاع استعماله فصار اسماً"⁴²⁸.

المبحث الثاني: الإطناب

الإطناب في اللغة: "أطناب الشجر عروقها، وأطناب الجسد عصبٌ يصل المفاصل والعظام ويشدها، والإطناب: البلاغة في المنطق في مدحٍ أو ذم"⁴²⁹.

الإطناب في الاصطلاح: "الإيضاح بعد الإبهام، ليرى المعنيين في صورتين مختلفتين، أو ليتمكن في النفس، فإن المعنى إذا أُلقي على سبيل الإجمال والإبهام تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل، والإيضاح"⁴³⁰، أو هو "زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة عن متعارف أوساط البلغاء، لفائدة تقويته وتوكيده"⁴³¹.

والذي يُفهم من خلال هذه التعاريف، ليس كل اتساع في القول يعتبر تطويلاً، فبعض الكلمات تؤثر تأثيراً كبيراً، وتدخل إلى النفس، لا لأنها قليلة، بل لأنها مُفعمّة بالتفصيل، هكذا يكون الإطناب، وليس هو ثرثرة لغوية، بل كَفَنٍ مدروس يُضيف إلى المعنى عمقاً، ويمنح الفكرة أبعاداً لا تختصرها العبارة الموجزة، فالإطناب ليس زيادة في اللفظ من أجل الطول، بل امتداد مقصود يثري الصورة، ويقوي التأثير، ويُشبع الذهن والعاطفة معاً، قال المؤيد بالله في الطراز: "وهذا كقولنا: رأيتُه بعيني، وقبضته بيدي، ووطنته بقدمي، وذفته بلساني، إلى غير ذلك من تعليق هذه الأفعال بما ذكرناه من الأدوات وقد يظن الظان أن التعليق بهذه الآلات إنما هو لغو، لا حاجة إليه، فإن تلك الأفعال لا تفعل إلا بها، وليس الأمر كما ظن بل هذا يُقال في كل

⁴²⁷ القرطبي، جامع الأحكام، 66/13.

⁴²⁸ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 65/19.

⁴²⁹ الفراهيدي، العين، باب: الطاء والنون والباء، مادة: طنّب، 438/7.

⁴³⁰ القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 196/3.

⁴³¹ الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، 201.

شيء يعظم مناله ويعز الوصول إليه"⁴³²، قال الله تعالى: {ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ} [الأحزاب، 4/33]، فالقول لا يكون إلا بالأفواه، فذكرت الأفواه لتقوية المعنى وتأكيداً له، وهذا هو الإطناب، فالزيادة جاءت لفائدة.

التطبيقات:

في قول الله تعالى: {بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا} [الفرقان، 11/25].

في هذه الآية أسلوب إطناب واضح، وهو إطناب بليغ بالتكرار، يفيد التوكيد والتقريب، يكمن في تكرار عبارة (كذب بالساعة)، قال أولاً: (كذبوا بالساعة)، ثم أعادها (كذب بالساعة)، وكان يمكن أن يقال: (واعتدنا لهم عذاباً سعييراً)، فتكرار الوصف يدل على تعظيم الجرم وهو (تكذيب الساعة)، وتعظيم العقوبة المترتبة عليه، مما يُشبع المعنى ويُغنيه ويُعزز الأثر في النفس، وهذا من بلاغة الإطناب في القرآن الكريم، فالزيادة لم تأت عبثاً بل جاءت لفائدة تأكيد المعنى، قال أبو زهرة في زهرة التفاسير: "وكررت الساعة وكان الإظهار في موضع الإضمار أو للإفزاز والنكير على من أنكر الساعة وكذب الخبر بها"⁴³³.

في قول الله تعالى: {وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا} [الفرقان، 13/25].

فيه إطناب تفصيل وتوضيح، كان يمكن أن يقال أُلْقُوا فيها، أو أُلْقُوا مكاناً، لكن إضافة (ضيّقاً) إطناب فيه تفصيل لزيادة الإيحاء بالرعب والضيق والكرب، فالضيق هنا لا يعني فقط صغر المساحة، بل يوحي أيضاً بالخنقة النفسية، والعذاب المحيد من كل الجهات، وكلمة (مقرنين) أي: مقرنين بالأغلال والسلاسل بعضهم إلى بعض، وهذا تفصيل لحالهم عند الإلقاء، إذ لم يكتف بالقول (أُلْقُوا مكاناً ضيقاً) بل وصف حالهم فيه، مما يزيد بشاعة المشهد، وهذه الزيادات جاءت لفائدة قوية وهي التوكيد في زيادة العذاب، وتصوير أثره في النفس، قال البيضاوي في أنوار التنزيل: "(وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا) في مكان ومنها بيان تقدم فصار حالاً، (ضيّقاً) لزيادة العذاب فإن الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة عرضها كعرض السموات والأرض"⁴³⁴.

في قول الله تعالى: {وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا} [الفرقان، 25 / 25].

في الآية الكريمة إطناب، فالفعل (نُزِلَ) جاء بصيغة المبني للمجهول ثم أكد بالمصدر (تنزيراً)، وهو إطناب بالمصدر المؤكد لفعل قبله، وجاء الإطناب للتوكيد على الحدث وعظمته، ويُفهم من توكيد المصدر هذا

⁴³² المؤيد بالله، الطراز لأسرار البلاغة، 125/2.

⁴³³ أبو زهرة، زهرة التفاسير، 5256/10.

⁴³⁴ البيضاوي، أنوار التنزيل، 119/4.

بأنه كثير ومتتابع، أو على هيئة عظيمة، ويتخيل السامع أن شيئاً مهيباً للسماء وهي تتشقق والملائكة ينزلون في دفعات مهيبة، قال ابن عثيمين في تفسير سورة الفرقان: "(تنزيلاً) مصدر (نَزَلَ) يدل على أنهم ينزلون شيئاً فشيئاً، لا ينزلون جملة واحدة فتنزل ملائكة السماء الدنيا أولاً، ثم الثانية، ثم الثالثة، إلى السابعة"⁴³⁵.

في قول الله تعالى: {الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا} [الفرقان، 25/26].

في الآية الكريمة إطناب بلاغي لغرض التوكيد في ذكر لفظة (الحق) مع الملك فكان يكفي لو قال: (الملك يومئذ للرحمن)، ولكن أكدها بكلمة (الحق) ليزيل كل شبهة في أن هناك ملكاً زائفاً في الدنيا، ويؤكد أن ملك الله هو الحق يوم القيامة، قال الزجاج في معاني القرآن وإعرابه: "(الحق) صفة للملك، ومعناه: أن الملك الذي هو الملك حقاً هو ملك الرحمن يوم القيامة، كما قال عز وجل: {لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} [غافر، 16/40]، لأن الملك الزائل كأنه ليس بملك"⁴³⁶.

في قول الله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا} [الفرقان، 60/25].

في الآية الكريمة إطناب بالتخصيص، والغاية بيان أن الأمر بالسجود ليس لأي جهة، بل لله الذي وسعت رحمته كل شيء، فإنه لم يكتفِ بالفعل (اسجدوا) بل قُيِّدَ (بالرحمن)، والتعبير ب(الرحمن) دون (الله) يتضمن زيادة معنوية تستفزهم لأنهم أنكروا هذا الاسم، فالله تعالى لم يقل (اسجدوا لله) أو (اسجدوا للخالق) بل خصَّ اسم (الرحمن) ليدل على صفة الرحمة الشاملة التي بها قوام حياتهم ومصالحهم، فكان السجود للرحمن واجب وألزم؛ لأنه المنعم المتفضل عليهم بنعمة الوجود وسائر النعم، فجاء هذا اللفظ لزيادة تقرير المعنى وتأكيده، ولإظهار جحودهم ونفورهم، إذ كيف ينكرون السجود للذي عمَّهم برحمته، قال أبو زهرة في زهرة التفاسير: "عبر بالفعل المبني للمجهول، ولم يذكر الفاعل، وقد غُلب من البعض، لأنهم قالوا للنبي ﷺ (أنسجد لما تأمرنا)، والسجود هنا للعبادة أو الصلاة من بينها، لأن أظهر مظاهر العبادة الخضوع وأظهر مظاهره السجود لله سبحانه وتعالى، وذكر الفعل مبنيًا للمجهول للإشارة إلى نفورهم من أصل تسمية الله بالرحمن، وكانوا يحسبونه غير الله تعالى، ويقولون: رحمن اليمامة أي إله أرض أخرى"⁴³⁷.

⁴³⁵ ابن عثيمين، تفسير سورة الفرقان، 80.

⁴³⁶ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 65/4.

⁴³⁷ أبو زهرة، زهرة التفاسير، 5308/1.

في قول الله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا}[الفرقان، 61/25].

في الآية إطناب وصفي، يُفصل طبيعة كل جرم سماوي، ليزيد من عمق المعنى ودقة الصورة، لم يقل: الشمس والقمر فقط، بل (سراجًا منيرًا) وهو مصدرٌ للضوء، فهذا وصفٌ دقيقٌ للشمس، (قمرًا منيرًا)، نور مُستفاد من غيره، أي: عكس السراج، ولو قال: الشمس والقمر يكفي، لكنه فصل بالصفات، وتكرار الفعل (جعل)، والذي يُضفي على الآية عمقًا وبلاغة في تصوير عظمة الملك في خلقه، قال المظهري (ت: 1225هـ) في تفسيره: "(جعل فيها سراجًا) يعني: الشمس، لقوله تعالى {وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا}[نوح، 16/71]، وقرأ حمزة والكسائي (سرجًا) على الجمع وهي الشمس وسائر الكواكب سوى القمر، فإنه ليس بسراج، السراج ما يضيء بنفسه، والقمر نوره مستفاد من نور الشمس، كما يدل عليه كماله ونقصانه، على حسب مقابلة الشمس، ويدل عليه العطف بقوله: وقمرًا منيرًا مضيئًا بالليل"⁴³⁸.

في قول الله تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا}[الفرقان، 63/25].

في الآية إطناب التفصيل بعد الإجمال، فجمع بين صفتين في مقام واحد، الأولى: وصفهم بالتواضع في مشيهم: {يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا} أي بسكينة ووقار، الثانية: بيان حالهم عند مواجهة الجاهلين: {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} أي لا يقابلون السفه بالسفه، بل بالقول الطيب المسالم، فالآية لم تكتفِ بذكر صفة واحدة تدل على الحلم والتواضع، بل فصلت في صفاتهم تفصيلاً، وهذا من الإطناب بالتفصيل بعد الإجمال، لأن المقصود إظهار عظمة عباد الرحمن في أخلاقهم وسلوكهم، قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: "وفي الإطناب بصفاتهم الطيبة تعريض بأن الذين أبوا السجود للرحمان وزادهم نفورا هم على الضد من تلك المحامد، تعريضا تشعر به إضافة عباد إلى الرحمن"⁴³⁹.

في قول الله تعالى: {وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا}[الفرقان، 64/25].

في الآية الكريمة إطناب بالتفصيل بعد الإجمال، فالفعل (يبيتون) يدل إجمالاً على قضاء الليل، ثم جاء (سجداً وقِياماً) ليفصل هذه الهيئة، أي: أنهم يقضون الليل في الصلاة، سجوداً وقِياماً، و(قِياماً) جزء من

⁴³⁸ محمد ثناء الله المظهري، التفسير المظهري، تحقيق: غلام نبي التونسي، (باكستان: المكتبة الرشيدية، 1412 هـ 1991م)، 45/7.

⁴³⁹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 67/19.

هذا التفصيل، فهو أحد حالتي العبادة في الليل، فذكرَ مع سجداً للتوضيح، فالإطناب هنا يرسم صورةً متكاملة لعبادتهم، تارة في القيام، وتارة في السجود، وجاء الإطناب لتعظيم شأنهم في العبادة، وبيان طول العبادة وتنوع أحوالها، قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: "والقيام جمع قائم كالصاحب، والسجود والقيام ركنا الصلاة، فالمعنى: يبيتون يصلون، فوق إطناب في التعبير عن الصلاة بركنيها تنويهاً بكليهما"⁴⁴⁰.

في قول الله تعالى: {أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا} [الفرقان، 75/25].

في الآية الكريمة إطناب تفصيل بعد الإجمال، فذكر الله تعالى (سلامًا) بعد كلمة (تحية) فالتحية تشمل السلام، وهذا إطناب تفصيل وتوضيح بعد إجمال، كما أن تكرار المعنى بأسلوب مختلف فيه تعظيم وتشريف للمؤمنين، أي أن التحية ليست مجرد ألفاظ عابرة، بل مقرونة بالسلام، أي: الطمأنينة والأمان، كما أن ذكر صفات المؤمنين الطيبة متتالية في الآيات التي سبقت هذه الآية فيه إطناب تأكيد على تلك المحامد التي يحملها المؤمنون، قال الكرمانى (ت: 531هـ) في لباب التفسير: "{وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا} ويتلقاهم الملائكة في الجنة بالتحية والسلام، قيل: كرر اللفظين والمعنى واحد تحسيناً للنظم وتأكيداً كقوله {تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ} [إبراهيم 23/14]"⁴⁴¹.

المبحث الثالث: المساواة

المساواة في اللغة: عرفها الحموي (ت: 770هـ) في المصباح المنير: "ساواة مساواة ماثلة وعادله قدرًا أو قيمةً، ومنه قولهم: هذا يساوي درهمًا أي تعادل قيمته درهمًا"⁴⁴².

المساواة في الاصطلاح: "هي ما سوي لفظه معناه، بحيث لا يزيد أحدهما عن الآخر"⁴⁴³.

يبرز أسلوب المساواة بوصفه وسيلة بيانية تُستخدم لتحقيق توازن بين طرفين يشتركان في حكم أو صفة واحدة، مع الحرص على إزالة الفوارق في السياق التعبيري بينهما، ولا يُقصد هنا بالمساواة مجرد التماثل اللفظي، بل هي طريقة لغوية لتأكيد التوازن في المعنى، وتعزيز الانسجام بين أجزاء الكلام.

التطبيقات:

⁴⁴⁰ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 70/19.

⁴⁴¹ أبو القاسم محمود بن حمزة الكرمانى، لباب التفاسير، التحقيق: أربع رسائل دكتوراه بقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين، (السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، 1429هـ/2008م)، 1809.

⁴⁴² أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (بيروت: المكتبة العلمية، د.ت)، كتاب السين، باب السين مع الواو وما يثلثهما، 298/1.

⁴⁴³ الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، 207.

في قول الله تعالى: {أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا} [الفرقان، 8/25].

في الآية الكريمة تساوى اللفظ مع المعنى، وتمثل في مطلبين للمشركون، أن يُلقى إلى النبي ﷺ كنزٌ من السماء، أو أن تكون له جنة (بستان يأكل منها)، أي: طلبوا منه علامات محسوسة، وهما طلبان متساويان بزعمهم، أي أنهم لا يفرقون بين هذا أو ذاك كدليل - في زعمهم - على صدق النبوة، قال أبو حيان في البحر المحيط: "وقوله (أو يلقى)، (أو تكون) عطف على (أنزل) أي: لولا ينزل فيكون المطلوب أحد هذه الأمور أو مجموعها، باعتبار اختلاف القائلين"⁴⁴⁴.

في قول الله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًا كَبِيرًا} [الفرقان، 21/25].

في الآية الكريمة مساواة في اللفظ والمعنى، ويكمن هذا في قول المشركين (لولا أنزل علينا)، (أو نرى ربنا)، فالمشركون طلبوا نزول الملائكة عليهم، أو أن يروا الله عز وجل رؤية حسية، وأداة العطف (أو) هنا لا تفيد التخيير، بل تفيد المساواة، أي أن الطلبين عندهم في منزلة واحدة، لا يفرقون بينهما في إنكارهم وتعنتهم، قال الزمخشري في الكشاف: "اقترحوا من الآيات أن ينزل الله عليهم الملائكة فتخبرهم بأن محمداً صادق حتى يصدقوه، أو يروا الله جهرة فيأمرهم بتصديقه واتباعه، ولا يخلو: إما أن يكونوا عالمين بأن الله لا يرسل الملائكة إلى غير الأنبياء، وأن الله لا يصح أن يُرى، وإنما علقوا إيمانهم بما لا يكون، وإما أن لا يكونوا عالمين بذلك، إنما أرادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم"⁴⁴⁵.

في قول الله تعالى: {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا} [الفرقان، 31/25].

الجملة الأولى تقرير لحال الأنبياء دون إطناب في وصف العداء، والجملة الثانية فيها توازن بذكر صفتي (الهادي، والناصر) بدون تكرار ولا حشو، فتساوت الألفاظ مع المعنى المراد فهمه من الآية، وهو تبصير النبي ﷺ وتبشيراً له بأن الله تعالى ناصره عليهم، قال الماتريدي في تأويلات أهل السنة: "ثم بشر

⁴⁴⁴ أبو حيان، البحر المحيط، 8/84.

⁴⁴⁵ الزمخشري، الكشاف، 3/272.

رسوله بالحفظ له والنصر والظفر على أعدائه⁴⁴⁶، وقال القرطبي في جامع الأحكام: "كما جعلنا لك يا محمد ﷺ، عدوًا من مشركي قومك، فكذاك جعلنا لكل نبي عدوًا من مشركي قومه، فاصبر لأمرى كما صبروا، فإني هاديك وناصرك على كل من ناوأك"⁴⁴⁷، فالملاحظ من مفردات الآية أنها متساوية مع المعنى، لا فيها إيجاز ولا إطناب.

في قول الله تعالى: {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا} [الفرقان، 44/25].

في هذه الآية تساوت الألفاظ مع المعنى المراد فهمه من الآية، ففي الآية تحقق التوازن بين الطرفين (يسمعون)، (يعقلون)، واشتركا في نفس الحكم (إن هم كالأنعام بل أضل)، وكلا الفعلين مرفوضان عنهم، ومتشابهان في النفي، والمعنى: ليس انهم قد يسمعون ويعقلون، بل المعنى انهم لا يفعلون أيًا منهما، وكلاهما منتفٍ عنهم، ولذلك شُبِّهوا بالأنعام، بل أضل، قال الزمخشري في الكشاف: "بل أنحسب كأن هذه المذمة أشد من التي تقدّمتها، حتى حقت بالإضراب عنها إليها وهي كونهم مسلوبى الأسماع والعقول، لأنهم لا يلقون إلى استماع الحق أدنًا ولا إلى تدبره عقلاً، ومشبهين بالأنعام التي هي مثل في الغفلة والضلال"⁴⁴⁸.

⁴⁴⁶ الماتريدي، تأويلات أهل السنة، 23/8.

⁴⁴⁷ القرطبي، الجامع لأيات الأحكام، 27/13.

⁴⁴⁸ الزمخشري، الكشاف، 282/3.

الفصل الخامس: أحوال عناصر الجملة في سورة الفرقان

كل جملة في العربية سواء كانت خبرية، أو إنشائية، أو اسمية، أو فعلية تتألف من ركنين أساسيين هما المسند إليه والمسند، وهذان الركنان هما الأساس والعمدة في الكلام، وما زاد عن هذين الركنين يعتبره النحاة فضلة في الكلام، واعتبره البلاغيون قيد، والقول في أنها فضلة هذا لا يعني الاستغناء عنها، والمقصد من هذا القول ربما أن يتألف الكلام من دون ذكرها، والجملة كونها تركيباً إسنادياً عند النحاة فيتكون المسند إليه فيها من (المبتدأ، والفاعل، ونائب الفاعل، أو ما تحول لناسخ فعلي أو حرفي)، ويتكون المسند من (الخبر والفعل). في حين تتكون الجملة الاسمية من: (مبتدأ وهو المسند إليه، والخبر وهو المسند، ومتعلق ظرفي)، وتتكون الجملة الفعلية من: (الفعل وهو المسند، والفاعل أو ما ينوب عنه وهو المسند إليه، ومفعول به، ومفعول ظرفي).

الجملة الاسمية سميت بهذا الاسم؛ لأنها تبدأ باسم، فالجملة الاسمية بناء لغوي تتكون هذه الجملة من عنصرين أساسيين هما: المبتدأ والخبر، فالمبتدأ هو الاسم الذي يُراد الحديث عنه، وغالباً ما يكون في صدر الجملة، وقد يأتي اسماً ظاهراً، أو ضميراً منفصلاً، أو مصدرًا مؤوَّلاً، ولا يُستعمل نكرة إلا عند وجود ما يوضح معناه أو يخصصه، ويكون المبتدأ فيها مرفوعاً، والخبر هو يتم المعنى الذي بدأ بها المبتدأ، ويكون مرفوعاً فقد يكون مفرداً، أو جملة، أو شبه جملة، وغالباً ما يطابق المبتدأ (تذكيراً وتأنيثاً)، والأسماء في العربية ستة أسماء وهي: أسماء الكائنات، وأسماء الاستفهام، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، وأسماء الشرط، والضمائر، أما الخبر فيكون إما مفرداً، أو جملة، أو شبه جملة.

وسمات الجملة الاسمية تفيد المعاني الثابتة والمستقرة، وتعتبر عن حالات، أو أوصاف مستمرة، قد تدخل عليها أدوات تغير من تركيبها الإعرابي مثل: كان وأخواتها، تجعل المبتدأ مرفوعاً، والخبر منصوباً، وإن وأخواتها، تجعل المبتدأ منصوباً، والخبر مرفوعاً، والأصل أن يتقدم المبتدأ على الخبر، إلا إن الخبر قد يُقدم على المبتدأ في بعض المواضع منها: عندما يكون الخبر شبه جملة والمبتدأ نكرة، أو عند الحاجة البلاغية أو السياقية لتقديم الخبر.

والجملة الفعلية تركيب لغوي، وسميت بهذا الاسم؛ لأنها تبدأ بفعل سواء كان هذا الفعل ماضياً أم مضارعاً أم أمراً، ثم الفاعل ثم المفعول به إذا كان الفعل متعدٍ مثل: ضرب الولد الكرة، فنلاحظ الفعل ضرب والفاعل الولد ولكن الفعل احتاج إلى مفعول به وهو الكرة، لأن الفعل (ضرب) فعلٌ متعدٍ، أما إذا كان الفعل لازماً فإنه لا يحتاج إلى مفعول به مثال ذلك: نام الطفل، فنلاحظ في هذه الجملة لا يوجد مفعول به؛ لأن الجملة تامة، فالفعل نام فعلٌ لازمٌ لم يحتاج إلى مفعول به.

وقد يلحق بالفعل مكملات منها: المفعول به ويدل على من وقع عليه الفعل ويكون منصوبًا، الحال ويدل على هيئة الفاعل أو المفعول لحظة وقوع الحدث، التمييز ويدل على المقصود من لفظ مبهم في الجملة، الظرف يدل على زمان ومكان الفعل، المفعول المطلق يؤكد الفعل أو يبين نوعه أو عدده، المفعول لأجله يوضح سبب حدوث الفعل، الاستثناء والتوكيد والنفي تدخل أحيانًا لتقييد أو تقوية المعنى.

وظائف ودلالات الجملة الفعلية: تستخدم للتعبير عن الوقائع والأحداث التي تقع أو تتغير عبر الزمن، وتدل على الحركة والتبدل، وتنقل صورًا متجددة ترتبط بحدوث الفعل، في بعض الأحيان يُقدم المفعول به على الفاعل؛ لتوكيد المعنى، أو لاعتبارات بلاغية، وقد تُقدّم بعض المكملات مثل الظرف أو الحال بحسب السياق لإبراز جانب معين من المعنى، أحيانًا يُحذف الفعل إذا كان مفهومًا من السياق، ويُبنى التركيب على باقي العناصر المتبقية.

ولا بد للمعنى أن يكون واضحًا مفهومًا مقبولًا مفيدًا للمعنى، قال السامرائي في الجملة العربية والمعنى: "إنَّ المعنى الذي تؤديه الجملة ينبغي أن يتصف بأمور ليصبح الكلام الذي يؤديه مقبولًا ومنها: أن لا يكون المعنى الذي يؤديه التعبير لا فائدة فيه لكونه مبتدئًا معلومًا لكل أحد كقولك: (الليل مظلم والنهار مضى) فهذا مما لا فائدة فيه، أو لكون الحكم عامًا غير مخصوص في شيء فلا يفيد كقولك: (في دار إنسان رجل)، أو (ولدَ لرجلٍ ولد) فهذا مما لا فائدة فيه لكونه معلومًا بالضرورة"⁴⁴⁹.

المبحث الأول: أسلوب الذكر وأغراضه البلاغية في سورة الفرقان

الذكر في اللغة: "ذكرتُ الشيء خلاف نسيته، ثم حُمِلَ عليه الذكر باللسان ويقولون: اجعله منك على ذكرٍ بضم الدال أي: لا تنسه، والذكرُ: العلاء والشرف، وهو قياس الأصل"⁴⁵⁰.

الذكر في الاصطلاح: "تثبيت للمعنى، وتوطيد له في النفس، ويكون في ذكره فضلًا عن ذلك معاني لا تستفاد إذا حذف"⁴⁵¹.

التطبيقات:

في قول الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان، 1/25].

⁴⁴⁹ فاضل صالح السامرائي، **الجملة العربية والمعنى**، (بيروت: دار ابن حزم، 1421هـ/2000م)، 7، بتصرف.

⁴⁵⁰ ابن فارس، **مقاييس اللغة**، كتاب: الدال، باب: الدال والكاف وما يتلثهما، 358/2.

⁴⁵¹ أحمد بدوي، **من بلاغة القرآن**، إشراف: داليا محمد إبراهيم (مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1425هـ/2005م)، 95.

ذكر الله تعالى {على عبده}، ولم يكتفي بتنزيل الفرقان ليكون للعالمين نذيراً؛ لأن المقصود في الآية هو القرآن، ولكن ذكر (على عبده) تنبيهاً للمعنى، و(نذيراً) ربما عائد إلى القرآن، ولأن القرآن فيه الهداية، والخروج من الظلمات إلى النور، قال الله تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَيِّنُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} [الإسراء، 9/17]، وربما عائد إلى النبي ﷺ، وهذا أقرب والله أعلم، أي: أنزل القرآن على النبي ﷺ واللام في (ليكون) لام التعليل، ليكون منذراً ورحمة للبشرية جمعاء، قال الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء، 107/21]، ومن المعلوم أن الضمير يعود على أقرب مذكور، وأقرب مذكور على الضمير هو النبي ﷺ، وفي ذكر (عبده) بدلاً من رسوله أو نبيه تكريماً وتشريفاً للنبي ﷺ، فأفضل الألقاب والسمات التي يتحلى بها الإنسان عبوديته لله سبحانه وتعالى، قال النسفي (ت: 537هـ) في التيسير في التفسير: "(على عبده) أي: إلى عبده المصطفى ﷺ، (ليكون) الله وقيل ليكون عبده، وقيل ليكون الفرقان، (للعالمين) لأهل الدنيا كلها، وقيل للقرون كلها إلى يوم القيامة، (نذيراً) مخوفاً بالقيامة وما فيها لمن خالفه" 452.

في قول الله تعالى: {وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ تُبْغُونَ} [الفرقان، 13/25].

{ضَيِّقًا} "قرأها ابن كثير بسكون الياء، وقرأها الباقون بالتشديد {ضَيِّقًا}" 453.

ذكر الله تعالى ضيق المكان {ضَيِّقًا} تنبيهاً للمعنى، وللمبالغة عن ضيق المكان، سواء كانت بالسكون، أو بالتشديد، وهو وعدٌ ووعدٌ للكافرين، ولتهويل يوم القيامة، فضيق المكان هو بحد ذاته عذاب، فهذا من بلاغة القرآن، قال القشيري (ت: 465هـ) في لطائف الإشارات: "راحة الجنة مقرونة بسعتها، ووحشة النار مقرونة بضيقها، فيضيق عليهم مكانهم، ويضيق عليه قلوبهم، ويضيق عليهم أوقاتهم" 454، وهذا المشهد يجسد عذاب الآخرة، وحال الكفار، وتذكيرهم بعذاب الله تعالى، فبعد هذه الأحوال يبدأ الكفار بالدعاء على أنفسهم بالثبور، والثبور هو الهلاك، وهو مصدر يبين شدة العذاب وعظمة اليأس، والتذكير بعاقبة العصيان والكفر.

في قول الله تعالى: {قُلْ أَذَلِكْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا} [الفرقان،

15/25].

452 نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي، التيسير في التفسير، تحقيق: ماهر أديب حبوش؛ وآخرون، (تركيا: دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، 1440هـ/ 2019)، 188/11.

453 خاروف، التسهيل لقراءات التنزيل، 361.

454 عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك القشيري، لطائف الإشارات- تفسير القشيري، حققه: إبراهيم البسيوني (مصر: الهيئة المصرية للنشر، تاريخ: د.ت)، 629/2.

ذكر الله تعالى المصير مع الجزاء، تنبيهاً للمعنى، وأقوى وقعاً واطمئناناً في النفوس، أي: هذا جزاؤكم لطاعتكم في الدنيا، ومصيركم الذي وعدكم الله تعالى في الآخرة، والوعد من الله تعالى واقع الحصول لا محالة، وهو موعود واجب إنجازه، فالجنة هي المال الأخير والجزاء الدائم أوعدها الله للمتقين، ومن أجل ذلك فإن المؤمنين يسألون الله تعالى ويستغفرونه، ويطلبون تحقيق الوعد الذي وعدهم إياه، قال الله تعالى: {رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ} [آل عمران، 3/ 194]، والملائكة أيضاً يسألون الله تعالى يستغفرون للمؤمنين، قال الله تعالى: {رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [غافر، 8/40]، قال الطيبي (ت: 743هـ) في حاشيته على الكشف: "فلذلك ذكر المصير مع الجزاء، وأن العقاب يتضاعف بضيق الموضع وظلمته وجمعه لأسباب الاجتواء"⁴⁵⁵.

في قول الله تعالى: {الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا} [الفرقان، 26/25].

خص الله تعالى صعوبة وعسر هذا اليوم على لكافرين، وفيه بشارة للمؤمنين، حيث استثناهم من صعوبة وعسر هذا اليوم، فذكر (اليوم) وكرره في الآية تأكيداً عليه، وتنبيهاً للمعنى، وتوطيداً لنفس المؤمنين، بأنه سبحانه وتعالى مالك هذا اليوم، وإن كانت كل الأيام ملكه، ولكن في هذا اليوم الكل يُفَرُّ له في ملكه (المؤمن والكافر)، على عكس الدنيا فإن الكافر لا يؤمن بهذا اليوم، ففي هذا اليوم ينادي الملك الجبار يوم تموت كل الخلائق (الملائكة، والإنس، والجن، والحيوان، وكل من في الكون) لمن الملك اليوم، فيجيب نفسه جلّ وعلا (الله الواحد القهار)، قال الله تعالى: {يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} [غافر، 16/40]، وفي هذا اليوم ييأس الكفار ويصيبهم الندم، ويتمنون بأن يرجعوا إلى الحياة الدنيا ولو لساعة واحدة، ليتوبوا، ولكن في هذا اليوم لا ينفع ندمهم، قال الله تعالى: {فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} [الروم، 57/30]، وقال الله تعالى: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [غافر، 52/40]، وفي الآية {الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ} رد وحجة دامغة على الكفار عندما قالوا: {وما الرحمن} فعندها يعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، قال القشيري في لطائف الإشارات: "يريد يوم القيامة إذا بدت أهوالها، وظهرت للمبعوثين أحوالها عملوا وتحققوا- ذلك اليوم- أن

⁴⁵⁵ شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشف)، مقدمة التحقيق: أياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بن عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، (الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، 1434هـ/2013م)، 189/11.

الملك للرحمن، ولم يتخصص ملكه بذلك اليوم، وإنما علمهم ويقينهم حصل لهم ذلك الوقت، ويقال تنقطع دواعي الأغيار، وتنتفي أوهام الخلق فلا يتجدد له- سبحانه- وصف ولكن تتلاشى للخلق أوصاف، وذلك يوم على الكافرين عسير، ودليل الخطاب يقتضى أن ذلك اليوم على المؤمنين يسير وإلا بطل الفرق فيجب ألا يكون مؤمن إلا وذلك اليوم يكون عليه هينا"⁴⁵⁶.

في قول الله تعالى: ﴿لُحْيِي بِهِ بَلَدَةً مَّيْتًا وَنُسِقِيهِ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْعَامِي كَثِيرًا﴾ [الأنعام، 49/6].

خص الله تعالى الأنعام دون خلقه من الحيوان بالشرب؛ لأن منافع الناس متعلقة بهذه الأنعام، "فإن قلت لم خص الأنعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب، قلت لأن الطير والوحش تبعد في طلب الماء، فلا يعوزها الشرب بخلاف الأنعام؛ ولأنها قنية الأناسي، وعامة منافعهم متعلقة بها"⁴⁵⁷، والواو عاطفة (أناسي) معطوفة على الأنعام فلما كان سقيا الناس من جملة المقاصد التي أنزل من أجلها الماء، وصفه الله ب (الطهور) تكريماً لهم وإتماماً لنعمته عليهم، وتأكيداً على أن من تمام إرادته لطهارتهم، أن يقدموها في قلوبهم أولاً، ثم يظهروا أثرها على جوارحهم وظواهرهم.

في قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ [الفرقان، 51/25].

في هذه الآية الكريمة تخصيص النبي ﷺ وتفضيله على الناس كافة، واختياره لحمل أشرف الرسالات السماوية، والله تعالى اصطفاه من بين خلقه ليكون للعالمين رحمة وهدايا ومرشداً ومبشراً ونذيراً، قال الله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء، 105/17]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء، 107/21]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ، 28/34]، "إن الله سبحانه خص نبينا ﷺ بأن فضله على كافة، وأرسله إلى الجملة وبالا يُنسخ شرعه إلى الأبد، وبهذه الآية أدبه إلى الأبد بأدق إشارة حيث قال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾، وهذا كما قال: ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ [الإسراء، 86/17]"⁴⁵⁸.

في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان، 60/25].

⁴⁵⁶ القشيري، لطائف الإشارات، 633/2.

⁴⁵⁷ الزمخشري، الكشاف، 285/3.

⁴⁵⁸ القشيري، لطائف الإشارات، 641/2.

{تَأْمُرُنَا} قرأها حمزة والكسائي بالياء {يَأْمُرُنَا}، وقرأها الباقون بالتاء⁴⁵⁹.

ذكر الله تعالى اسم (الرحمن) توطيداً في النفس، وهو الذي وسعت رحمته كل شيء، فعندما ذكر الله تعالى (الرحمن) أنكره الكفار، متكبرين متجاهلين معرفته، وأنكروا على النبي ﷺ في دعواه هذه، {وَرَأَاهُمْ نُفُورًا} عن الإيمان، فقالوا للنبي ﷺ أتأمرنا بالسجود لإله لا نعرفه، ولا نؤمن به، والاستفهام في هذه الآية استفهام إنكار وامتناع، وذكر اسم الرحمن تحديداً دون سائر أسماء الله الحسنى يلفت الانتباه إلى عظيم رحمته، وكأن المعنى يشير إلى: اسجدوا للذي غمركم برحمته وأفاض عليكم نعمه، فكيف تتعالون بالسجود له؟ وهذا ما يزيد من قبح موقفهم وسوء تصرفهم، قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: "(قالوا وما الرحمن) على جهة الإنكار والتعجب، أي ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب"⁴⁶⁰.

المبحث الثاني: أسلوب التعريف والتنكير وأغراضه البلاغية في سورة الفرقان

يعد أسلوب التعريف والتنكير من الأساليب البلاغية البارزة التي يزخر بها القرآن الكريم، وهو من الأدوات اللغوية التي تسهم في إضفاء العمق والمرونة على الخطاب القرآني، بما يحمله من دلالات متعددة تُثري المعنى وتوجه المتلقي إلى مقاصد متنوعة، ولم يكن ورود الاسم مُعرفاً أو نكرةً في القرآن عبثاً، بل جاء محسوباً بدقة تُراعي السياق وتخدم المعنى المقصود، سواء أكان في مقام التهويل، أو التعظيم، أو التحقير، أو التخصيص، أو التعميم، ولقد تميز القرآن الكريم في استخدامه للتعريف والتنكير بأسلوب فني بديع، يتجاوز الاستخدام النحوي التقليدي، ليُعبّر عن أغراض بلاغية عميقة تُثير الانتباه، وتُحرك التأمل وتفتح آفاق الفهم أمام المتدبر، وهذا ما يجعل دراسة هذا الأسلوب ضرورة لفهم البلاغة القرآنية.

المطلب الأول: أسلوب التعريف

التعريف في اللغة: "المعرفة والعرفان، تقول: عَرَفَ فلانٌ فلاناً عرفاناً ومعرفة"⁴⁶¹.

التعريف في الاصطلاح: "عَرَفَ الاسم النكرة، أضاف إليه (أل المعرفة)، أو أضافه إلى معرفة"⁴⁶².

فأسلوب التعريف في اللغة العربية يُقصد به استخدام أدوات لغوية تُسهم في تعيين الشيء أو الشخص بدقة، وهو مقابل لأسلوب التنكير الذي يدل على أمر غير معروف أو غير محدد.

⁴⁵⁹ خاروف، التسهيل لقراءات التنزيل، 365.

⁴⁶⁰ القرطبي، جامع الأحكام، 64/13.

⁴⁶¹ ابن فارس، مقاييس اللغة، كتاب: العين، مادة: ع ر ف، 281/4.

⁴⁶² مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، باب: العين، مادة: ع ر ف، 1485/2.

والغرض من التعريف هو إضفاء الوضوح على الكلمة وإزالة الغموض عنها، مما يجعل المعنى أكثر تحديداً ودقة في السياق.

وأداة التعريف (أل) الأكثر استعمالاً، وتلحق بالأسماء فتجعلها معلومة ومعروفة، فتخرجها من عموم اللفظ إلى خصوصه، وتستخدم في وصف ما هو محدد، وتستخدم لتعريف الأسماء، ولتعريف الأعلام، ثم يأتي بعد (أل) المعرفة الأسماء الموصولة، وتهدف لربط المعنى بشيء تم ذكره أو الإشارة إليه، ثم تأتي أسماء الإشارة، وتستخدم للإشارة إلى شيء معين في الحاضر، ثم تأتي الأعداد الترتيبية مثل (الأول، الرابع،....) وتستخدم لترتيب وتحديد موقع الشيء ضمن مجموعة، ثم تأتي الضمائر سواء كانت متصلة أم منفصلة لتدل على أشخاص معروفين في السياق وتعمل على تحديد المقصود دون الحاجة إلى تكرار الاسم، ثم الاسم الموصول (الذي)، قال ابن عقيل في شرحه على ألفية ابن مالك: "المعرفة وهي ستة أقسام: المضمرة كهـم، واسم الإشارة كـذي، والعلم كهـند، والمحلى بالألف واللام كالـغلام، والموصول كالـذي، وما أضيف إلى واحد منها كابني"⁴⁶³.

التطبيقات:

في قول الله تعالى: {الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا}[الفرقان، 2/25].

في الآية الكريمة يظهر أسلوب التعريف في عدة مواضع منها:

(الذي): اسم موصول ودائماً ما يستخدم للإشارة والتعريف، واستخدم في هذه الآية الكريمة للإشارة إلى الله تعالى، فهو تعريف للذات الإلهية بشكلٍ مخصوص، (السموات- والأرض- الملك): ففي هذه الأسماء دخلت (أل) التعريف عليها فعرفتها، وهذا التعريف بين الملك الخاص لله وحده ولا يشاركه فيه أحد، (ملك السموات): الإضافة إلى المعرفة، ومن المعلوم أنَّ (ملك) نكرة ولكنها أضيفت إلى معرفة (السموات) فإنها معرفة بـأل التعريف، فتبعثها فأصبحت معرفة، (كل): تفيد الاستغراق، وهي معرفة بـ (أل) المضمرة، وهي تفيد الشمول لجميع المخلوقات، وأسلوب التعريف في الآية الكريمة يبرز عظمة الله تعالى، ودلّ التعريف بصفاته وأفعاله على الكمال المطلق له جلّ وعلا، وجاءت هذه الكلمات مُعرّفة لتقطع الشك في أنَّ الملك له وحده دون غيره، وأعطى التعريف للآية أيضاً قوة في البلاغة، وبينت المعنى المراد وتأكيداً بتفرد الله تعالى بالخلق والتقدير والملك، قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: "أجريت على اسم الله تعالى هذه

⁴⁶³ ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، 87/1.

الصفات الأربع بطريق تعريف الموصولية؛ لأن بعض الصلات معروف عند المخاطبين اتصاف الله به، وهما الصفتان الأولى والرابعة وإذ قد كانتا معلومتين كانت الصلتان الأخريان المذكورتان معهما"⁴⁶⁴.

في قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان، 25/6].

(الذي): اسم موصول يدل على التفرد والتعظيم، ويستخدم للإشارة والتعريف إلى موصوف معين، والمقصود هنا الذات الإلهية، فالتعريف بالفاعل (الله تعالى)، فهو وحده العليم بأسرار جميع الخلائق، "وصفه تعالى بإحاطة علمه بجميع المعلومات الجلية والخفية للإيدان بانطواء ما أنزله على أسرار مطوية عن عقول البشر مع ما فيه من التعريض بمجازاتهم بجناياتهم المحكية التي هي من جملة معلوماته تعالى أي ليس ذلك مما يفترى ويفتعل بإعانة قوم وكتابة آخرين من الأحاديث الملفقة وأساطير الأولين بل هو أمر سماوي أنزله الله الذي لا يعزب عن علمه شيء من الأشياء"⁴⁶⁵.

في قول الله تعالى: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان، 26/25].

(الملك): معرفة ب (أل) التعريف لتفديد الحصر والاختصاص، فالملك ملكه سبحانه وتعالى لا يشاركه فيه أحد، **(الحق):** معرفة ب (أل) التعريف، لتفديد بأن الحق المطلق الثابت لله تعالى وحده، فلا مجال فيه للباطل، **(الرحمن):** معرف ب (أل) التعريف، وهو أيضًا لا يحتاج إلى (أل) التعريف؛ لأنه معرف بالذات، وهذا التعريف يؤكد تفرد الله تعالى بالحق والملك، **(يوم):** معرف بالإضافة إلى (إذا)، فهو ظرف زمان مبني على الكسر، وفيه إشارة إلى يوم القيامة، وأسلوب التعريف في الآية أفاد أن الله تعالى هو العالم المطلق، وهو لا يخفى عليه شيء في هذا الكون، وأفاد أيضًا بأن الله هو الغفور الرحيم؛ ليجمع بين العظمة والرأفة، فمن يعلم أسرار هذا الكون يُقدم المغفرة والرحمة على العقاب، "يحتمل إضافة ملك ذلك اليوم إليه، وإن كان الملك له في جميع الأيام في الدنيا والآخرة – وجوهًا: أحدها: لما أن ملك الآخرة ملك دائم باق بلا فناء له، وملك الدنيا جعله فانيا لا دوام ولا بقاء له، والثاني: لما يقر له جميع الخلائق بالملك له في ذلك

⁴⁶⁴ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 318/18.

⁴⁶⁵ أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 203/6.

اليوم، وإن لم يقر له البعض بملك الدنيا، والثالث: لما لا ينازعه أحد في ملك ذلك اليوم، وإن كان له منازع في الدنيا⁴⁶⁶.

في قول الله تعالى: {وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا} [الفرقان، 27/25].

(يوم): معرفة بالإضافة إلى جملة (يعض الظالم)، وهذا التعريف للدلالة على اليوم المعروف (يوم الحساب) وهو في علم الله تعالى، قال الله تعالى: {وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ} [ص، 16/38]، (الظالم): للجنس وهي معرفة ب (أل) التعريف، هي تشمل كل ظالم ظلم نفسه وظلم الآخرين، وبالتالي سوف يندم على ظلمه يوم القيامة يوم لا ينفع الندم، قال الله تعالى: {فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} [الروم، 57/300]، وقال الله تعالى: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [غافر، 52/4]، ولم يذكر الله تعالى ظالم بعينه بل ذكر صفته وهي أعظم في التحقير والتوبيخ، والتعريف أفاد التعميم والتهويل، (الرسول): إشارة إلى النبي ﷺ، وأفاد التعيين فالمقصود ب (الرسول) هو النبي ﷺ، والتعظيم والتفخيم بحقه، وهو معروف من السياق، وهو السبيل الوحيد لمرضاة الله جل وعلا، وأفاد أيضًا عظمة النبي ﷺ، التي لم يدركها الظالم، "والتعريف في الظالم يجوز أن يكون للاستغراق، والمراد بالظلم الشرك فيعم جميع المشركين الذين أشركوا بعد ظهور الدعوة الحميدية بقرينة قوله: (يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلًا)، ويكون قوله: (ليتني لم أتخذ فلانًا خليلاً) إعلانًا بما لا تخلو عنه من صحبة بعضهم مع بعض وإغراء بعضهم بعضًا على مناواة الإسلام، ويجوز أن يكون للعهد المخصوص، والمراد بالظلم الاعتداء الخاص المعهود من قصة معينة وهي قصة عقبة بن أبي معيط وما أغراه به أبي بن خلف⁴⁶⁷.

في قول الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا} [الفرقان، 47/25].

(الليل): معرف ب (أل) التعريف، وهي ظاهرة كونية جعلها الله سبحانه وتعالى مألوفة للبشر وفيها لباسهم، قال الله تعالى: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا} [النبأ، 10/78]، (النوم): معرف ب (أل) التعريف، للإشارة إلى الحالة العامة عند جميع البشر، وفيها سباتهم، قال الله تعالى: {وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا} [النبأ، 9/78]، (النهار):

⁴⁶⁶ الماتريدي، تأويلات أهل السنة، 21/8.

⁴⁶⁷ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 11/19.

معرف ب (أل) التعريف وفيه إشارة إلى الظاهرة الكونية المعروفة عند كل البشر، وفيها معاشهم، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾[النبا، 11/78]، وأسلوب التعريف أفاد بأن النعمة مطلقة وعامة وشاملة ومستمرة ومنسجمة مع النظام الدقيق للكون، وأن الله تعالى هو وحده من يسخر هذه الظواهر للإنسان، "ومورد الاستدلال المقصد المستفاد من تعريف جزأي الجملة وهو قصر أفراد، أي لا يشركه غيره في جعل الليل والنهارن أما كون الجعل المذكور بخلق الله فهم يقرون به ولكنهم لما جعلوا له شركاء على الإجمال أبطلت شركتهم بقصر التصرف في الأزمان على الله تعالى لأنه إذا بطل تصرفهم في بعض الموجودات اختلت حقيقة الإلهية عنهم إذ الإلهية لا تقبل التجزئة"⁴⁶⁸.

في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾[الفرقان، 54 / 25].

(الماء): معرفة ب (أل) المعرفة الجنسية، فصار معرفًا على الجنس العام للماء، أي الماء المعروف عند الخلق، وهو أصل الخلق المعروف قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[الأنبياء، 3/21]، وأفاد التعريف بأن أصل الخلق من ماء مهين وهو يعبر عن قدرة الله جل وعلا في خلق إنسان فيه حياة من شيء لا حياة فيه، (ربك): معرفة بالإضافة إلى ضمير المخاطبة (ك)، وأضاف التشريف للنبي ﷺ وتكريمه وعناية الخالق به، وأفاد التعريف في قدرة الله تعالى المطلقة والمستمرة، "والقصر المستفاد من تعريف الجزئين قصر أفراد لإبطال دعوى شركة الأصنام لله في الإلهية"⁴⁶⁹.

في قول الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾[الفرقان، 55 / 25].

(الله): لفظ الجلالة وهو دائمًا معرف، وفيه تأكيد لوحانية الله ولعظمته، وأفاد التعريف تعظيم مقام الله تعالى وتذليل المعبودات الأخرى من دونه جلّ وعلا، (الكافر): معرفة ب (أل) التعريف للجنس، وهي تشمل كل كافر، أفاد تعريف الكافر بالذم والتوبيخ والتحقير؛ لأن الكافر معرف بكفره، (ربه): معرفة بالإضافة إلى (هاء الضمير)، الذي يعود على الكافر فصارت معرفة بالإضافة، فأفاد التعريف التعارض الشديد في موقف الكافر مع ربه الذي خلقه ورزقه ثم يكون عليه ظهيرًا، أي معاونًا ومناصرًا لأعداء الله،

⁴⁶⁸ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 44/19.

⁴⁶⁹ المصدر السابق، 55/19.

والظهير في اللغة "وفلان ظهير لفلان، إذا كان معيناً له"⁴⁷⁰، "وجملة وكان الكافر على ربه ظهيراً تنذيل لما قبله، فاللام في تعريف الكافر للاستغراق، أي كل كافر على ربه ظهير"⁴⁷¹.

في قول الله تعالى: {أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا}[الفرقان، 25/75].

(أولئك): اسم إشارة يدل على الجمع البعيد، وهي معرفة تشير إلى أشخاص محددين وهم الصابرين، (الغرفة): نكرة صارت معرفة ب (أل) التعريف، وهذا التعريف يفيد التعظيم والاختصاص، ويميزها عن غيرها من الغرف، أفاد أسلوب التعريف تعظيم المكان وعلو المنزلة وهي الغرفة العالية العظيمة والتي لا يوجد مثيلها إلا في الجنة، وهي مقام متميز للذين آمنوا فهذا ثوابهم في الآخرة كما وعدهم الله تعالى والله لا يخلف الميعاد قال الله تعالى: {رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ}[آل عمران، 9/3]، "والتعريف في الغرفة تعريف الجنس فيستوي فيه المفرد والجمع مثل قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ} [الحديد: 25/57]، فالمعنى: يجزون الغرف، أي من الجنة، قال تعالى: {وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ} [سبأ، 37/34]"⁴⁷².

المطلب الثاني: أسلوب التنكير

التنكير في اللغة: "ن ك ر ضد المعرفة وقد (نَكَّرَهُ) بالكسر (نُكِّرًا) و (نُكُورًا) بضم النون فيهما، و(أَنكَرَهُ) و (اسْتَنَكَرَهُ) كله بمعنى، و (نَكَّرَهُ) (فَتَنَكَّرَ) أي: غيره فتغير إلى مجهول"⁴⁷³.

التنكير في الاصطلاح: "جعل الاسم نكرة، حذف منه، أو لم يضاف إليه (أل المعرفة)"⁴⁷⁴.

فأسلوب التنكير هو اللجوء إلى استخدام اسم غير معرف ب (أل) أو غير مضاف إلى اسم معرف، للدلالة على شيء غير محدد، أو غير معروف، بالنسبة للمتكلم والمخاطب.

ويستخدم التنكير للدلالة على العموم فأحياناً يقصد بالتنكير الشمول، حيث لا يُراد فرد معين، بل يُراد به تمثيل أي عنصر من عناصر الجنس، ويستخدم أيضاً للتقليل حيث يستعمل لإظهار الندرة أو القلة،

⁴⁷⁰ الأزددي، جمهرة اللغة، باب الراء والظاء، 764/2.

⁴⁷¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 56/19.

⁴⁷² المصدر السابق، 84/19.

⁴⁷³ الرازي، مختار الصحاح، باب: النون، 319.

⁴⁷⁴ مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، باب: النون، مادة: ن ك ر، 2280/3.

ويستخدم للتعبير عن التهويل والتعظيم حيث يُسهم أحياناً في إثارة الانبهار، أو الإشارة إلى شيء خارق أو مخيف، ويستخدم أحياناً لغرض التحقير والتهوين، فيستخدم للانتقاص من قيمة الشيء أو الاستخفاف به.

ووضح السيوطي صاحب الإتقان: "أسباب التنكير وهي: "أحدهما: إرادة الوحدة نحو قول الله تعالى: {وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى} [القصص، 2/28]، أي: رجلٌ واحدٌ، والثاني: إرادة النوع نحو قول الله تعالى: {هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ} [ص، 49/38]، أي: نوعٌ من الذكر، الثالث: التعظيم بمعنى أنه أعظم من أن يُعين ويُعرف نحو قول الله تعالى: {إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ} [البقرة، 2/249]، أي: بحربٍ أيّ حربٍ، الرابع: التكثر نحو قول الله تعالى: {أَلَيْسَ لَنَا لأَجْزًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِيَيْنِ} [الشعراء، 41/26]، أي: وافرًا جزيلًا، الخامس: التحقير بمعنى انحطاط شأنه إلى حدٍ لا يمكن أن يُعرف نحو قول الله تعالى: {إِنْ تَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِينَ} [الجاثية، 32/45]، أي: ظناً حقيراً لا يُعَبَأُ به وإلا لا تتبعوه وذلك ديدنهم بدليل قول الله تعالى: {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ} [النجم، 23/53]، السادس: التقليل نحو قول الله تعالى: {وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة، 9/72]، أي: رضوانٌ قليل منه أكبر من الجنات لأنه رأس كل سعادة"⁴⁷⁵.

التطبيقات:

في قول الله تعالى: {قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا} [الفرقان، 18/25].

(أولياء): جاءت نكرة بدون (أل) التعريف للدلالة على التقليل من شأن الآلهة المزعومة من غير الله تعالى، ولتحقير هذه الآلهة من الأصنام، وعدم التحديد في كلمة (أولياء) للتعميم ونفي أي ولاية غير ولاية الله تعالى، قال الشهاب في حاشيته على تفسير البيضاوي: "وجاء الأشكال في تنكير أولياء فأجاب بأنه للدلالة على الخصوص وامتيازهم بما امتازوا به وهو للتنويع على الحقيقة وأورد عليه أنا لا نسلم أن المحمول يخص بخصوص الموضوع"⁴⁷⁶.

⁴⁷⁵ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 347/2، بتصرف.

⁴⁷⁶ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي، (بيروت: دار صادر، د. ت)، 411/6.

(بورًا): "البوار: الهلاك"⁴⁷⁷، فجاءت كلمة (بورًا) نكرة، وهي صفة لقوم هالكين، ولتعظيم هذا الهلاك والدمار الذي حل بهم، وجاء هذا العذاب غير محدد، بل دلّ على الشمول، فبهذا الشمول وبخهم الله تعالى وجعلهم مثلاً يُضربُ به لكفرهم، فالتنكير أبلغ من التعريف لأنه يوحى بالتحقير والاستهانة بالكفار.

في قول الله تعالى: {يَا وَيَلْتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا} [الفرقان، 28/25].

(فلانًا خليلًا): جاءت نكرة من غير أن يُسمى هذا الخليل، ومن غير (أل) التعريف؛ والتنكير جاء للتحقير بهذا الكافر، والاستصغار من شأن هذا الكافر الذي اتخذه صديقًا له؛ وذلك لأن اتخاذ أي خليل غير الله تعالى فهو أمرٌ مذموم وباطل؛ وهذا من بلاغة النص القرآني حيث إن الخليل السيء لا يستحق التعريف به وتكريمه بهذا التعريف؛ ولأن الخلّة في مفهومها تعني أعلى درجات المحبة وهذه المحبة لا تليق إلا بالله تعالى، ولهذا قال الله تعالى: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} [النساء، 125/4]، فالخليل هنا مُعرف فالله تعالى سماه وهو (إبراهيم عليه السلام)، فالخلّة الصالحة هي ديدن الأنبياء والصالحين، ففي مسند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالل»⁴⁷⁸، قال السمرقندي في بحر العلوم: "إنما قال فلاناً ولم يذكر اسمه لحقارته"⁴⁷⁹.

في قول الله تعالى: {قُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا} [الفرقان، 36/25].

(تدميرًا): نكرة جاءت مصدرًا منونًا بعد الفعل، ولما جاءت نكرة أفادت الشمول والتعميم، فالتدمير جاء شاملاً وكاملاً، وأيضاً أفاد التهويل والتفخيم، حيث إنها جاءت نكرة لتفخيم العذاب وتهويله، فإذا جاءت معرفة أفادت المعنى فقط، وأيضاً أفادت المبالغة في الفعل، فالمصدر المنكر يؤكد الفعل ويقويه، وهذا يؤيد إعجاز القرآن في استخدام اللفظ القليل للإشارة إلى المعنى الكثير، ولهذا كرر الفعل (فدمرناهم) بالمصدر المؤكد (تدميرًا) ليبين حجم الهلاك وقوته، قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: "وإتباع الفعل بالمفعول المطلق لما في تنكير المصدر من تعظيم التدمير وهو الإغراق في اليم"⁴⁸⁰.

في قول الله تعالى: {لِنُخَبِّئَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْنًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا} [الفرقان، 49/25].

(بلدةً): مفعول به منصوب جاءت نكرة، وبهذا المجيء أفادت العموم، أي أن الله تعالى يحيي أي بلدة كيف يشاء ومتى يشاء، وهذا تعظيم لله تعالى في إحياء الأرض الميتة.

⁴⁷⁷ ابن منظور، لسان العرب، فصل الباء الموحدة، 86/4.

⁴⁷⁸ ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، "مسند أبي هريرة رضي الله عنه"، 142/14، (رقم: 8417).

⁴⁷⁹ السمرقندي، بحر العلوم، 536/2.

⁴⁸⁰ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 26/19.

(ميتًا): صفة ل (بلدة) منصوبة بتنوين الفتح، وجاءت نكرة للإشارة إلى حالة الموت غير المحددة، وذلك يؤكد إلى إحياء أي أرض ميتة،

(أنعامًا وأناسيً): كلاهما مفعول به ثانٍ، وجاءتا نكرتين للكثرة والتعميم؛ لأنه يشمل جميع الأنعام، وكثير من الناس، قال الزمخشري في الكشاف: "فما معنى تنكير الأنعام والأناسي ووصفها بالكثرة؟ قلت: معنى ذلك أن عليه الناس وجُلُهُم مُنِخُونَ بالقرب من الأودية والأنهار ومنابع الماء، فبهم غنية عن سقى السماء، وأعقابهم- وهم كثير منهم- لا يعيشهم إلا ما ينزل الله من رحمته وسقيا سمائه"⁴⁸¹، وقال الشهاب في حاشيته على تفسير البيضاوي: "أن تنكيره للتنويع فالمراد نوع من الأناسي والأنعام وهم سكان البوادي وكذا تنكير بلدة"⁴⁸²، وأفاد التنكير في هذه الآية الشمول في السقيا والإحياء، وإبراز عظمة القدرة الإلهية، وتعظيم شأن المطر وآثاره على المخلوقات، مما أعطى للآية قوة تصويرية وتأثيرًا عظيمًا في النفوس.

في قول الله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا}[الفرقان، 59/25].

(خبيرًا)، مفعول به منصوب، وجاءت نكرة لتعظيم هذا الخبير، أي: ليس أي خبير، بل خبيرٌ عظيم الشأن، واسع العلم، لا يُضَاهِي في علمه، والمعنى: فسأل به خبيرًا عظيمًا، لا يشبهه أحد في معرفته بالله وصفاته، "وتنكير (خبيرًا) جاءت للعموم، فلا يظن خبيرًا معينًا، لأن النكرة إذا تعلق بها فعل الأمر، اقتضت عمومًا بدليل أي خبير سألته أعلمك"⁴⁸³، وقال حبنكة في البلاغة العربية: "فجاء اللفظ نكرة لإرادة الإطلاق الذي يصدقُ بخبير فأكثر من المجربين الخبراء عن تجربة"⁴⁸⁴.

في قول الله تعالى: {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا}[الفرقان، 74 / 25].

(وَذُرِّيَّاتِنَا): قرأها بالتكثير نافع، وابن كثير، وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب، وقرأها باقي العشرة بالتقليل (وَذُرِّيَّتِنَا)⁴⁸⁵.

⁴⁸¹ الزمخشري، الكشاف، 285/3.

⁴⁸² الخفاجي، غناية القاضي وكفاية الرازي، 429/6.

⁴⁸³ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 61/19.

⁴⁸⁴ حبنكة، البلاغة العربية، 48/1.

⁴⁸⁵ خاروف، التسهيل لقراءات التنزيل، 366.

(قُرَّةُ أَعْيُنٍ): (قُرَّة) مفعول به للفعل (هَب) منصوب وهو مضاف، (أَعْيُن) مضافاً إليه مع تنوين الكسر، يسأل المتقون ربهم بأن يرزقهم أزواجاً وذريةً سالحةً ما تقرر أعينهم في هذه الأزواج وهذه الذرية، وجاءت نكرة لتعظيم ما يطلبوه من ربهم، وأفادت التفعيم والتعميم، فوعدهم الله بما أرادوا والله لا يخلف الميعاد، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقروا أن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة، 17/32]»⁴⁸⁶، قال الزمخشري في الكشاف: "أما التنكير فلاجل تنكير القُرَّة، لأن المضاف لا سبيل إلى تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه، كأنه قيل: هب لنا منهم سرورا وفرحا. وإنما قيل أَعْيُنٍ دون عيون، لأنه أراد أعين المتقين، وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم"⁴⁸⁷، قال البيضاوي في أنوار التنزيل: "وتنكير أَل (أَعْيُنٍ) لإرادة تنكير أَل (قُرَّة) تعظيماً وتقليلها لأن المراد أعين المتقين وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم"⁴⁸⁸.

(إِمَامًا): مفعول به ثانٍ منصوب للفعل (اجعل)، وفي هذه الآية يسأل المتقون ربهم أيضاً بأن يجعلهم أئمةً يُقَنَّدَى بهم في الخير، كما قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء، 73/21]، على عكس أئمة الضلالة فيدعون إلى النار قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ [القصص، 41/28]، والتنكير أفاد التعظيم، ويروى أن الله تعالى أثنى على قوم أشاروا إلى مقام الإمامة فسألوها بتذلل وخضوع، دون أن يزعموا استحقاقهم لها، قال القشيري في لطائف الإشارات: "ويقال إنَّ الله مدح أقواماً ذكروا رتبة الإمامة فسألوها بنوع تضرع، ولم يدعوا فيها اختيارهم، فالإمامة بالدعاء لا بالدعوى"⁴⁸⁹.

⁴⁸⁶ البخاري، "كتاب: بدء الخلق"، "باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة"، 1185/3، (رقم: 372)، ومسلم، "كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها"، 2174/4، (رقم: 2824).

⁴⁸⁷ الزمخشري، الكشاف، 296/3.

⁴⁸⁸ البيضاوي، أنوار التنزيل، 131/4.

⁴⁸⁹ القشيري، لطائف الإشارات، 625/2.

الفصل السادس: الأساليب البلاغية في تنظيم التراكيب
وصياغة المعاني في سورة الفرقان

يحتل هذا الفصل موقعًا محوريًا في هذه الدراسة، إذ يسلط الضوء على طائفة من الأساليب البلاغية التركيبية التي تزخر بها سورة الفرقان، وهي أساليب تنتمي إلى صميم علم المعاني، الذي يُعنى بدراسة التراكيب اللغوية من حيث مطابقتها لمقتضى الحال، وارتباطها بسياق الخطاب، وما يترتب على ذلك من أثر في توجيه المعنى وتعميقه، وتبرز هذه الأساليب في النص القرآني كوسائل فنية فائقة الدقة، تجمع بين الوظيفة الجمالية والوظيفة الدلالية، لتجعل من كل تركيب وحدة متكاملة تتضافر فيها المعاني والألفاظ لخدمة المقصد الكلي للسورة.

وتشمل هذه الأساليب: الفصل والوصل، حيث يقوم النص أحيانًا بالفصل بين الجمل لإبراز استقلال المعاني وتحديد دقة، وأحيانًا أخرى بالوصل لبيان الارتباط الوثيق بينها وإظهار وحدة السياق. والقصر، بما يحمله من قدرة على حصر المعنى في إطار محدد يبرز المقصود دون سواه، فيتحقق بذلك غرض التوكيد أو التخصيص أو الامتياز. والالتفات، الذي يشكل انتقالًا فنيًا بين ضمائر الخطاب وأزمنة الفعل، فيضفي على النص حيوية ويكسر رتابة الأسلوب، مما يجذب انتباه المتلقي ويعمق تفاعله مع الخطاب. والتقديم والتأخير، وهو أسلوب يعيد ترتيب عناصر الجملة بما يخدم المعنى، ويبرز ما يراد العناية به، أو يتلاءم مع مقتضى الفاصلة القرآنية والإيقاع الصوتي للنص.

إن دراسة هذه الأساليب في سياق سورة الفرقان تكشف عن مدى إحكام النظم القرآني، وكيفية توظيفه للأدوات البلاغية في صياغة خطاب يجمع بين الإقناع العقلي والإمتاع الجمالي، وبين تقرير الحقائق ومجادلة المبطلين، وبين استثارة العقل واستمالة الوجدان. وسيعتمد هذا الفصل على منهج تحليلي تطبيقي، يتتبع هذه الأساليب في مواضعها المختلفة من السورة، مع بيان الأغراض البلاغية التي تؤديها، وربطها بالمقاصد العامة للسورة، ولا سيما ما يتصل منها بإقامة الحجة على الكافرين، وتثبيت المؤمنين، وإظهار الفرقان بين الحق والباطل على أكمل وجه.

المبحث الأول: مواضع الفصل والوصل وأغراضها البلاغية في سورة الفرقان

يُعد أسلوب الفصل والوصل من أبرز الظواهر الأسلوبية التي تندرج تحت علم المعاني في البلاغة العربية، وقد حظي باهتمام كبير من علماء اللغة والبلاغة، لما له من أثر عميق في تحديد دلالة الكلام وتوجيه معناه بحسب المقام، ويتجلى هذا الأسلوب بأبهى صوره في القرآن الكريم، حيث يأتي الفصل والوصل موافقاً للسياق بدقة متناهية، تخدم المقاصد التعبيرية والتأثيرية للنص القرآني، وتُبرز إعجازه البلاغي، ودراسة الفصل والوصل في القرآن ليست مجرد تتبع لأدوات الربط أو انعدامها، بل هي نافذة لفهم عمق البنية الأسلوبية للنص القرآني، وتكشف عن البراعة في توجيه المعاني، وخدمة الأغراض البلاغية على نحوٍ لا يتأتى إلا في كلام مُعجز.

قواعد مهمة في الفصل والوصل

توجد قواعد مهمة في الفصل والوصل، نوجزها بما يلي:

1. الفصل والوصل يكون في الجمل التي لا محل لها من الإعراب، ذلك لأن الجملة التي لها حكم إعرابي حكمها حكم المفرد، "الجمل المعطوف بعضها على بعض على ضربين: أحدهما: أن يكون للمعطوف عليها موضع من الإعراب، وغذا كانت كذلك كان حكمها حكم المفرد، والذي يشكل أمره هو الضرب الثاني، وذلك أن تعطف على الجملة العارية الموضع من الإعراب جملة أخرى كقولك: (زيد قائم وعمرو قاعد) و(العلم حسن والجهل قبيح)، لا سبيل لنا أن ندعي أن الواو أشركت الثانية في إعراب قد وجب للأولى بوجه من الوجوه، وإذا كانت كذلك فينبغي أن تعلم المطلوب من هذا العطف والمغزى منه"⁴⁹⁰.
2. أداة العطف (الواو) والذي يميزها عن أدوات العطف أنها لا تفيد معنى غير العطف، على العكس من أدوات العطف الأخرى، فإنها تفيد معانٍ أخرى غير العطف، "إنما يعرض الإشكال في الواو دون غيرها من حروف العطف وذلك لأن تلك تفيد مع الإشراف معاني، مثل أن (الفاء) توجب الترتيب من غير تراخي، و(ثم) توجيه مع تراخي، و (أو) تُردّد الفعل بين شيئين وتجعله لأحدهما لا بعينه، فإذا عطفت بواحدة منها الجملة على الجملة ظهرت الفائدة، وليس للواو معنى سوى الإشراف في الحكم الذي يقتضيه الإعراب الذي اتبعت فيه الثاني على الأول...ولا يُتصور إشراف بين شيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الإشراف

⁴⁹⁰ الجرجاني، دلائل الإعجاز، 223.

فيه، وإذا كان ذلك كذلك، ولكن معنا في قولنا (زيد قائم وعمرو قاعد) معنى تزعم أن الواو أشركت بين هاتين الجملتين فيه⁴⁹¹.

3. توصل الجمل بعضها مع بعض لأمر جامع بينهما في المعنى.

4. إذا كان في الجملة المؤكدة بياناً أو نعتاً، فإنها لا تحتاج إلى عاطف يعطفها على الجملة.

وللوصل ثلاث مواضع:

الأول إذا اتحدت الجملتان في الخبرية والإنشائية لفظاً ومعنى، أو معنى فقط، ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما وكانت بينهما مناسبة تامة في المعنى فمثال الخبريتان قول الله تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ} [الانفطار، 14-13/82]، ومثال الإنشائيتين قول الله تعالى: {فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ} [الشورى، 15/42]، وقول الله تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} [النساء، 36/4].

الثاني: دفع توهم غير المراد وذلك إذا اختلفت الجملتان في الخبرية والإنشائية وكان الفصل يؤهم خلاف المقصود كمال تقول مجيباً لشخص بالنفي (لا - شفاء الله).

الثالث: إذا كان للجملة الأولى محل من الإعراب وقصد تشريك (الجملة الثانية) لها في الإعراب حيث لا مانع نحو: عليّ يقول ويفعل⁴⁹².

أما الفصل فيكون في خمس أحوال:

الأول: كمال الاتصال، وهو أن يكون بين الجملتين اتحاد تام وامتزاج معنوي، حتى كأنهما أفرغا في قالب واحد، وهذا يكون في: باب التوكيد لزيادة التقرير أو لدفع تجوز أو غلط، سواء أكان توكيداً لفظياً نحو قول الله تعالى: {فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُوءِيًا} [الطارق، 17/86] أم تأكيداً معنوياً نحو قول الله تعالى: {مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ} [يوسف، 31/12]، وفي: باب البدل والمقتضى له كون الثانية أوفى بالمطلوب من الأولى والمقام يستدعي عناية بشأن المراد سواء أكان بدل كل نحو قول الله تعالى: {بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ * قَالُوا أَإِذَا} [المؤمنون، 82-81/23]، أم بدل بعض نحو قول الله تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ} [الشعراء، 133-132/26]، أبدلت الثانية من الأولى تنبيها لنعم الله تعالى على عباده وهي أوفى مما قبلها لدالاتها على المراد مع التفصيل، أم بدل اشتمال نحو قول الله تعالى: {قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [يس، 21-20/36]، أبدلت الثانية من الأولى

⁴⁹¹ الجرجاني، دلائل الإعجاز، 224.

⁴⁹² ينظر: الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، 181-182 بتصرف.

بدل اشتمال لأنها أبين في المراد وهو حمل المخاطبين على اتباع الرسل، وفي: باب عطف البيان، والداعي إليه خفاء الأولى، والمقام يستدعي إزالة هذا الخفاء نحو قول الله تعالى: {فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى}[طه، 120/20].

الثاني: كمال الانقطاع ، وهو أن يكون بين الجملتين تباين تام، دون إيهام خلاف المراد، وهي إما أن تختلفا خبراً وإنشاءً ولفظاً ومعنى، نحو قول الله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ* اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}[الفاتحة، 1/5-6]، أو ألا تكون بينهما مناسبة في المعنى، ولا ارتباط بين المسند إليه فيهما، ولا بين المسند.

الثالث: شبه كمال الاتصال، وهو أن تكون الجملة السابقة كالمورد للسؤال أو المنشأ له فتفصل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال، ويسمى الفصل لذلك استثناءً، وهي إما عن سبب عام للحكم.

أو عن سبب خاص، كما في قول الله تعالى: {وَمَا أَتَّبِرْهُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ}[يوسف، 53/12]، كأنه قيل: هل النفس أمارة بالسور؟ فقيل: نعم إن النفس لأمارة بالسوء، وهذا يقتضي تأكيد الحكم الذي في جملة الجواب. أو عن غيرهما كقول الله تعالى: {قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ}[هود، 69/11]. كأنه قيل: فماذا قال إبراهيم عليه السلام؟ فقيل: قال سلام.

الرابع: شبه كمال الانقطاع: وهو أن تسبق الجملة بجملتين يصح عطفهما على إحداهما، ولا يصح عطفهما على الأخرى لفساد المعنى، فيترك العطف دفْعاً لهذا الوهم، ويسمى الفصل حينئذٍ قطعاً، كقوله: وتظن سلمى أنني أبغي بها بدلاً أراها في الضلال تهيم.

فبين الجملتين مناسبة ظاهرة لاتحاد المسندين، لأن المعنى أراها أظنها وكون المسند إليه في الأولى محبوباً والثانية محبباً ولكن ترك العطف لئلا يتوهم أنه عطف على أبغي، فيكون من مظنونات سلمى، كالمعطوف عليه وهو خلاف المراد.

الخامس: التوسط بين الكمالين: وهو أن تكون الجملتين متناسبتين، ولكن يمنع من العطف مانع وهو قصد التشريك في الحكم، كقول الله تعالى: {وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤْنَ* اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ}[البقرة، 14/2 - 15]، فجملة الله يستهزئ بهم لا يمكن عطفها على إنا معكم لاقتضائه أنها من مقول المنافقين⁴⁹³.

⁴⁹³ ينظر المراغي، علوم البلاغة البيان والمعاني والبدیع، 167-172، بتصرف.

والفصل في علم المعاني له علاقة قوية مع الوقف في علم التجويد والقراءات من حيث المعنى العام مع اختلاف التخصص والوظيفة، وكلاهما يتناول حدود الجمل والتفريق بينهما، وأحياناً يلتقيان فموضوع الفصل البلاغي قد يترافق مع موضوع وقف حسن في التجويد، لأن كليهما يعبر عن تمام المعنى.

أنواع الوقف:

1. الوقف التام: هو الوقف على كلام تم معناه والذي بعده لا يتعلق به لفظاً ولا معنى مثل: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة، 3/1]، فالوقوف هنا وقوف تام لأن المعنى قد تم، ثم يأتي بعده {الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} [الفاتحة، 3/1]، لا تتعلق بما قبلها فهي جملة مستقلة في السياق.
2. الوقف الكافي: هو الوقف على كلام تم معناه، ولكن يوجد تعلق معنوي فيما بعده.
3. الوقف الحسن: هو الوقف على كلام تم المعنى فيه جزئياً، ولكن يُستحسن الوقف عليه في الضرورة.
4. الوقف القبيح: هو الوقف على كلام لم يتم به المعنى، أو يخل بالمعنى، ولا يصح الوقف عليه⁴⁹⁴.

المطلب الأول: الفصل في سورة الفرقان

الفصل في اللغة: "فَصَلَ الشَّيْءُ فَانْفَصَلَ أَي: قَطَعَهُ فَانْقَطَعَ وبابه: ضَرَبَ، وَ(فَصَلَ) من الناحية خَرَجَ وبابه: جَلَسَ، وَفَصَلَ الرِّضِيعَ عَنْ أُمِّهِ يَفْصِلُهُ بِالْكَسْرِ (فِصَالاً) وَ (افْتَصَلَهُ) أَي: قَطَعَهُ"⁴⁹⁵، "الفاء والصاد واللام كلمة صحيحة تدل على التميز بين الشيء من الشيء وإبانتته عنه"⁴⁹⁶.

الفصل في الاصطلاح: "من حق الجمل إذا ترادفت وقع بعضها في أثر بعض أن تُربط بالواو لتكون متسقة منظمة، وقد يعرض لها ما يوجب ترك الواو ويسمى ذلك فصلاً"⁴⁹⁷.

التطبيقات:

في قول الله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا} [الفرقان، 59/25].

⁴⁹⁴ ينظر: مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، اعتنى بها: بدر بن ناصر بن صالح الجبر، (السعودية: دار ابن الجوزي، 1431 هـ/2009م)، 247-249، بتصرف.

⁴⁹⁵ الرازي، مختار الصحاح، باب: الفاء، 240.

⁴⁹⁶ ابن فارس، مقاييس اللغة، كتاب الفاء، باب الفاء والصاد وما يثلثهما، 505/4.

⁴⁹⁷ المراغي، علوم البلاغة البيان والمعاني والبدیع، 167.

الجملة الأولى: {الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}، والجملة الثانية: {الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا}، فجاءت الجملة الثانية بعد الجملة الأولى دون أن يربط بينهما بأداة عطف، فالوقوف كافٍ لتمام المعنى، فالجملة الأولى تحدثت عن قدرة الله جل وعلى في الخلق وعظمته، وفي الجملة الثانية، ثم جاء الفصل بكلمة (الرحمن) وهي كلمة مستقلة عن الجملة الأولى، وأفاد هذا الوقف التعظيم لاسم الرحمن، وشد انتباه السامع إلى عظمة هذا الاسم العظيم، " ويجوز {الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ}، فمن قال: (الرَّحْمَنُ) فهو رَفَع من جَهْتَيْن: إِحْدَاهُمَا عَلَى الْبَدَلِ مِمَّا فِي قَوْلِهِ: (ثُمَّ اسْتَوَى)، ثم بَيَّن بقوله الرَّحْمَنُ، ويجوز أن يكون ابتداء و (فَاسْأَلْ بِهِ) الخبر"498.

في قول الله تعالى: {وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخُذْ فِيهِ مُهَانًا}[الفرقان، 68-69].

الجملة الأولى: : {وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا}، والجملة الثانية: {يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخُذْ فِيهِ مُهَانًا}، موضع الفصل في الآية الكريمة بعد (أثامًا)، فالوقف يكون وقفًا تامًا لتمام المعنى، ثم تبدأ بعدها جملة مستقلة بذاتها (يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ....) وفيه بيان لشدة وتضاعف العذاب لمن يرتكب هذه الكبائر الثلاثة، فالجملة الأولى بينت عقاب من فعل، والجملة الثانية جاءت لتفصيل وبيان هذا العقاب، وأفاد أسلوب الفصل الوعيد الشديد، والتهويل بمضاعفة العذاب والخلود فيه، "اعلم أنه سبحانه وتعالى ذكر أن من صفة عباد الرحمن الاحتراز عن الشرك والقتل والزنا، ثم ذكر بعد ذلك حكم من يفعل هذه الأشياء من العقاب، ثم استثنى من جملتهم التائب"499.

"{يُضَاعَفْ}: قرأ ابن كثير وأبو جعفر ويعقوب بالتشديد والجزم (يُضَعَّفُ، وَيَخُذُ)، وقرأ ابن عامر وشعبة (يُضَاعَفُ، وَيَخُذُ) برفع الفاء ورفع الدال، وقرأ الباقون (يُضَاعَفُ، وَيَخُذُ) بالجزم والألف"500.

المطلب الثاني: الوصل في سورة الفرقان

الوصل في اللغة: "الواو والصاد واللام أصل واحد يدل على ضم شيء إلى شيء حتى يعلقه، ووصلته به وصلًا، والوصل ضد الهجران"501. وقال الله تعالى: {وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}[القصص، 51/28].

498 الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 73/4.

499 الرازي، التفسير الكبير، 483/24.

500 خاروف، التسهيل لقراءات التنزيل، 366.

الوصل في الاصطلاح: "عطف بعض الجمل على بعض"⁵⁰²، وعرفه المراغي في علوم البلاغة: "عطف بعضها على بعض بالواو أو إحدى أخواتها ومن فائدته تشريك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم"⁵⁰³، فالفصل يأتي الكلام مفصولاً، وعدم ربط الجملة الثانية بالجملة الأولى بأداة وصل أو ربط مثل حرف العطف (الواو).

وأماكن الوصل وهي التي يُستحسن عدم الوقوف عليها أثناء التلاوة، ويحدد ذلك قواعد التجويد، وعلم الوقف والابتداء، وهذه العلامات مرسومة في المصحف فمثلاً (صلى: تعني الوصل أفضل من الوقف وأولى، قلى: تعني الوقف أفضل من الوصل وأولى، ج: تعني جواز الوقف أو الوصل، م: تعني لزوم الوقف، لا: تعني بأن الوقف ممنوع، النقط المثلثة أو ما يسمى بوقف المعانقة، أو وقف المراقبة: وتعني جواز الوقف في احد الموضعين وليس في كليهما).

التطبيقات:

الوصل في الآيتين: الآية (2)، والآية (3) لارتباطهما في تعظيم الله تعالى وتمجيده وإنزال الفرقان، والرد على المشركين.

في قول الله تعالى: {الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا}[الفرقان، 2/25] وتوصل في قول الله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا}[الفرقان، 3/25].

توجد علاقة وثيقة ورابطة معنوية بين الآيتين، فالوصل بينهما فيه مقصد مهم من حيث فهم السياق، ففي الآية الثانية تعظيم لله تعالى، وفيها بيان قدرة الله تعالى، وإثبات وحدانيته ولتبين ضلال المشركين، الذين يتخذون من دون الله آلهة مع علمهم بأن هذه الآلهة لا تنفع ولا تضر ولا تخلق شيئاً، وليس بيدهم حياة ولا موتاً، فالوصل بين الآيتين جاء لغرض بلاغي حيث يُظهر عظمة الوحي الإلهي ورفعة شأن القرآن الذي فرق بين الحق والباطل، وبالمقابل يُظهر حال الكفار ومقابلتهم وإعراضهم عن قبول هذا الحق والإعراض عنه، وتناقض موقفهم مع خالقهم، وفي الآية "استطرد لانتهاز الفرصة لوصف ضلال أهل الشرك وسفالة تفكيرهم، فهو عطف على جملة: {الذي له ملك السماوات والأرض} وما تلاها مما هو استدلال على انفراده

⁵⁰¹ ابن فارس، مقاييس اللغة، كتاب: الواو، باب: الواو والصاد وما يثلاثهما، 115/6.

⁵⁰² القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 97/3.

⁵⁰³ المراغي، علوم البلاغة البيان والمعاني والبدیع، 163.

تعالى بالإلهية، وأردفت بقوله: {وخلق كل شيء} الشامل لكون ما اتخذوه من الآلهة مخلوقات فكان ما تقدم مهيناً للتعجيب من اتخاذ المشركين آلهة دون ذلك الإله المنعوت بصفات الكمال والجلال"504.

الوصل في الآيتين: الآية (63)، والآية (64) لارتباطهما في صفات عباد الرحمن:

في قول الله تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} [الفرقان، 25 / 63]، وتوصل في قول الله تعالى: {وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا} [الفرقان، 25 / 64].

الوصل تام في الآيتين بسبب توالي الصفات لعباد الرحمن، ويجوز الوقف على (قَالُوا سَلَامًا) في آخر الآية (63)، ولكنه يستحب الوصل في الآية التي بعدها (64) لتكامل صفات عباد الرحمن، "عطف صفة أخرى على صفتيهم السابقتين، وإعادة الموصول لتأكيد أنهم يعرفون بهذه الصلاة، والظاهر أن هذه الموصولات وصلاتها كلها أخبار أو أوصاف لعباد الرحمان. روي عن الحسن البصري أنه كان إذا قرأ {الذين يمشون على الأرض هونا} قال: هذا وصف نهارهم، ثم إذا قرأ {والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما} قال: هذا وصف ليلهم، والقيام: جمع قائم كالصحاب، والسجود والقيام ركنا الصلاة، فالمعنى: يبيتون يصلون"505.

في قوله تعالى: {يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا} [الفرقان، 25 / 69] وتوصل في قوله تعالى: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الفرقان، 25 / 70].

الآية (70) جاءت مرتبطة معنويًا ولفظيًا بالآية (69)، ولا يفهم معناها كاملاً بدون ما قبلها، لذا يكون الوصل بينهما أولى من الوقف، سواء في التلاوة أو في البيان، ففي الآية (70) تمثل فتح باب التوبة أمام من وقع في الذنوب (كالزنا، والقتل، والشرك) فلا ييأس من رحمة الله، قال الله تعالى: {وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} [يوسف، 87 / 12]، بل إذا تاب توبةً نصوحًا، فإن الله لا يغفر له فحسب، بل يبذل سيئاته حسنات، "يحتمل أن تكون الآية الأولى فيمن تاب من المشركين، ولهذا قال: {إلا من تاب وآمن} ثم عطف عليه من تاب من المسلمين وأتبع توبته عملاً صالحاً فله حكم التائبين أيضاً"506.

504 ابن عاشور، التحرير والتنوير، 319/18.

505 المصدر السابق، 70/19.

506 القرطبي، جامع الأحكام، 79/13.

المبحث الثاني: أسلوب القصر

يُعدُّ أسلوب القصر من أبرز الأساليب البلاغية في اللغة العربية، وأكثرها تأثيرًا في المعنى وإحكامًا في البيان، لما يتميز به على قدرة من تركيز الدلالة وتحديد المعنى وتوجيه أذن السامع إلى ما يُراد إبرازه، أو حصره دون سواه، والقصر له مكانة واضحة وبارزة في البلاغة العربية، لكونه أسلوبًا يتجاوز التزيين اللفظي إلى التحكم في المعنى نفسه، وتوجيه الانتباه إلى وجه الحقيقة المقصودة، والقصر يحقق وظائف متعددة: كالتوكيد، والتخصيص، والرد على توهم، وتحديد المجال الذهني للخطاب.

القصر في اللغة: عرفه ابن فارس في مقاييس اللغة: "الحبسُ يقال: قَصَرْتُهُ إذا حبسْتُهُ، قال الله تعالى: {خُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ} [الرحمن، 73/55]"⁵⁰⁷.

القصر في الاصطلاح: عرفه القزويني في الإيضاح: "تخصيص شيءٍ بشيءٍ بطريقٍ مخصوص"⁵⁰⁸، قال الله تعالى: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} [الحديد، 2/57]، ففي هذه الآية خُصِّصَ المبتدأ بالخبر عن طريق أداة النفي، فيتبين لنا بأن للقصر طرفان: الطرف الأول هو المقصور وهو الشيء الذي نخصه، والطرف الثاني هو المقصور عليه وهو الشيء الذي خصصنا به، قال درويش في إعراب القرآن وبيانه: "وينقسم القصر إلى قسمين:

الأول: القصر الحقيقي: ما كان الاختصاص فيه بحسب الواقع والحقيقة، لا بحسب الإضافة إلى شيءٍ آخر، نحو لا كاتب في المدينة إلا علي، إذا لم يكن فيها غيره من الكتاب.

والثاني: القصر الإضافي: ما كان الاختصاص فيه بحسب الإضافة إلى شيءٍ معين نحو ما علي إلا قائم، أي: أن له صفة القيام لا صفة القعود، وكل منهما ينقسم إلى قصر صفة على موصوف، نحو لا فارس إلا علي، وقصر موصوف على صفة نحو وما محمد إلا رسول"⁵⁰⁹.

ولأسلوب القصر أربع طرقٍ مشهورة:

1- بواسطة النفي والاستثناء: وفي هذه الحالة يكون المقصور عليه ما بعد أداة الاستثناء، قال الله تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} [آل عمران، 144/3]، قصر موصوف على

⁵⁰⁷ ابن فارس، مقاييس اللغة، باب: القاف والصاد وما يثلاثهما، مادة: قصر، 96/5.

⁵⁰⁸ القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 6/3.

⁵⁰⁹ درويش، إعراب القرآن وبيانه، 520/5.

صفة محمد ﷺ موصوف، ورسول صفة، وأداة القصر هي ما، (إلا)، لا ينجح إلا المثابر، فالنجاح مقصور، والمثابر مقصور عليه، وهذا يسمى قصر صفة على موصوف.

2- القصر بواسطة (إنما): وفي هذه الحالة يكون المقصور عليه مؤخرًا وجوبًا، قال الله تعالى: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ} [المائدة، 115/5]، صفة التحريم قصر، والموصوف الميتة والدم ولحم الخنزير، بأداة القصر إنما.

3- العطف ب (لا- بل- لكن) "فإن كان العطف ب(لا) كان المقصور عليه مقابلًا لما بعدها نحو: (الأرض متحركة لا ثابتة)، وإن كان العطف ب(بل أو لكن) كان المقصور عليه ما بعدهما نحو (ما الأرض ثابتة بل متحركة)، و(ما الأرض ثابتة لكن متحركة)"⁵¹⁰.

4- تقديم ما حقه التأخير وفي هذه الحالة يكون المقصور عليه هو المقدم قال الله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة، 5/1].

التطبيقات:

في قول الله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا} [الفرقان، 4/25].

قصر بواسطة أداة النفي (إن)، وأداة الاستثناء والحصص (إلا)، فهو قصر إضافي، وأفاد التخصيص والتأكيد على حصر الشيء في نطاق محصور وضيق، وذلك لتأكيد أن ما جاء في القرآن ليس اختلافًا وافتراءً، قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: "والقصر المشتمل عليه كلامهم المستفاد من (إن) النافية و (إلا) قصر قلب زعموا به رد دعوى أن القرآن منزل من عند الله"⁵¹¹، فكان هذا الرد بأنهم ظلموا أنفسهم باتهامهم الباطل للنبي ﷺ وتكذيبهم، فالآية جاءت على لسان الكافرين الذين أنكروا ورفضوا أن يكون القرآن وحيا من عند الله، فادعوا أنه محض كذب (إفك) اختلقه النبي محمد ﷺ، فجاء أسلوب القصر هنا على لسانهم، ليظهر ضيق أفقهم، وبلوغهم أقصى درجات الجحود، والغرض البلاغي من القصر هو التوبيخ والتفريع، لانهم لم يكتفوا بالتكذيب، بل ادعوا أنه لا يمكن أن يكون القرآن إلا كذبًا، مما يزيد من شدة جحودهم، فهم لم يجدوا سبيلاً للطعن في القرآن إلا بهذه التهمة القاصرة والكاذبة، فجاء الرد الإلهي على الفور: (فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا)، قال ابن عثيمين في تفسير سورة الفرقان: "فالمشار إليه القرآن، فقله: (إن هذا) أي: ما هذا القرآن (إلا إفك) انظر- والعياذ بالله

⁵¹⁰ درويش، إعراب القرآن وبيانه، 521/5.

⁵¹¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 322/18.

– أتوا بالحصر، يعني لا يمكن أن يكون إلا إفكاً، لا يمكن أن يكون فيه صدق، فأتوا بالحصر عن طريق النفي والإثبات (إن هذا إلا إفك)، ولا يمكن أن يكون صدقاً⁵¹².

في قول الله تعالى: {الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا} [الفرقان، 26/25].

تقديم اليوم على الكافرين للحصر (قصر إضافي)، و أيضاً تقديم الجار والمجرور (للرحمن) على ما بعده لإفادة الحصر (قصر إضافي)، وهذا القصر أفاد تخصيص الحكم (العُسْر) ليوم القيامة على الكافرين مما يُرهب نفوسهم، وتوكيد المعنى يُثبت الله تعالى فيه أن السيادة المطلقة له جلّ وعلا من دون شريك وهو نفي ضمني لكل من سواه، وهذا من بلاغة القرآن في التقديم والتأخير لأغراض دلالية، والتقدير: (الملك يومئذ لا يكون إلا للرحمن)، (وكان على الكافرين يوماً عسيراً)، وبعد أن بيّن الله تعالى القصر بأن الملك لا يكون إلا للرحمن، جاء الوصف بالعُسْر، فارتبط القصر هنا بالسياق العقدي والتحذيري، فمن لم يكن في رحمة (الرحمن) في الدنيا، فلن يجد في ملكه يومئذ شفيعاً ولا معيئاً، قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: "ووصف اليوم بعسير باعتبار ما فيه من أمور عسيرة على المشركين، وتقديم على الكافرين للحصر، وهو قصر إضافي، أي دون المؤمنين"⁵¹³، وفي ذكر الرحمن دون أسماء الله تعالى؛ لكثرة الرحمة في ذلك اليوم، ففي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "جعل الله الرحمة في مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً، فأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرهما عن ولدها خشية أن تصيبه"⁵¹⁴.

في قول الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} [الفرقان، 56/25].

قصر إضافي بواسطة أداة النفي (ما) وأداة الاستثناء (إلا)، بمعنى أن الله تعالى نفى عن رسوله أي مهمة أخرى غير التبشير والإنذار في مجال الرسالة، أي: إن وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم هي البلاغ والتبشير والإنذار وليس إجبار الناس على الهداية، فأفاد القصر هنا التوكيد والحصر، قال محمد علي الدرة في تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: "(إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) قصر

⁵¹² ابن عثيمين، تفسير سورة الفرقان، 35.

⁵¹³ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 11/19.

⁵¹⁴ البخاري، "كتاب الأدب"، "باب: جعل الله الرحمة في مائة جزء"، 2236/5، (رقم: 5654).

إضافي، وهو هنا قصر موصوف على صفة⁵¹⁵، قال الشنقيطي في كتابه أضواء البيان: "أنَّ الإنذار يطلق في القرآن إطلاقين: أحدهما: عام لجميع الناس، وهذا الإنذار العام: هو الذي قُصِرَ على المؤمنين قصرًا إضافيًا، لأنهم هم المنتفعون به دون غيرهم، والثاني: إنذار خاص بالكفار: لأنهم هم الواقعون فيما أُنذروا به من النكال والعذاب، وهو الذي يُذكر في القرآن مبيّنًا أنه خاص بالكفار دون المؤمنين، والإنذار في اللغة العربية: الإعلام المقترن بتهديد، فكل إنذار إعلام، وليس كل إعلام إنذار"⁵¹⁶.

في قول الله تعالى: {قُلْ مَا يَعْزُبُ عَنْكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا} [الفرقان، 25/77].

قصر إضافي بواسطة أداة النفي (ما) وأداة الشرط التي تفيد امتناع الجواب لوجود الشرط (لولا)، والتقدير: لا شأن لكم عند الله إلا بسبب دعاؤكم، والغرض البلاغي من الحصر التحقير والتفريع، فالآية تخاطب المكذبين وتبين لهم أن الله لا يعيرهم اهتمامًا أصلاً، إلا إن أظهروا شيئاً من العبادة أو الدعاء، والدعاء هو سبب العناية من الله، قال الإيجي في جامع البيان في تفسير القرآن: "(ما يعزبُ بكم ربي): ما يصنع بكم ربي، (لولا دعاؤكم) إيمانكم وعبادتكم، أو ما يعزبُ بخلقكم لولا عبادتكم، يعني أن خَلَقَكُمْ لعبادته، أو ما يبالي مغفرتكم، لولا دعاءكم معه آلهة أخرى، أو ما يفعل بعذابكم لولا شرككم"⁵¹⁷، وقال الرازي في مفاتيح الغيب: "فاعلم أنه سبحانه لما شرح صفات المتقين، وشرَحَ حال ثوابهم أمرَ رسوله أن يقول: (قُلْ مَا يَعْزُبُ عَنْكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ) فدلَّ بذلك على أنه تعالى غني عن عبادتهم، وأنه تعالى لما كلفهم لينتفعوا بطاعتهم"⁵¹⁸، وارتباط القصر بالخاتمة (فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا)، فنتيجة التكذيب أن العذاب سيكون لازماً لكم لا مهرب منه.

⁵¹⁵ الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، 505/6.

⁵¹⁶ الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن، 5/2.

⁵¹⁷ الإيجي، جامع البيان في تفسير القرآن، 169/3.

⁵¹⁸ الرازي، التفسير الكبير، 488/24.

المبحث الثالث: أسلوب التقديم والتأخير

يُعدُّ أسلوب التقديم والتأخير من الظواهر البلاغية البارزة في القرآن الكريم، ويُقصد به تقديم عنصر من عناصر الجملة أو تأخيره عن موضعه المعتاد، لتحقيق غرض بياني أو معنوي يقتضيه السياق، وقد تنوعت أغراضه في النص القرآني، بين توكيد، وعناية واهتمام، واختصاص، ولفت الانتباه، ومراعاة فواصل الآيات، مما يدل على دقة النظم القرآني وثرائه الأسلوبي، ويبرز جانباً من إعجازه البياني.

التقديم والتأخير في اللغة: "الْقُدُّمُ ضدُّ أَمْرٍ، بمنزلة قبل ودبر، ورجل قُدِّمَ، مقتحم للأشياء يتقدم الناس، ويمضي في الحرب قُدِّمًا، ومقدَّم نقيض مؤخر"⁵¹⁹. والتأخير في اللغة: "التأخير ضد التقديم، ومؤخَّر كل شيء بالتشديد خلاف مقدمه"⁵²⁰، أو هو "نقل الكلمة من مكانها إلى مكان آخر بعدها"⁵²¹.

التقديم والتأخير في الاصطلاح: عرفه الجرجاني في دلائل الإيجاز: "هو بابٌ كثير الفوائد، جَمُّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يُفْتَرُّ لك عن بديعة، ويُفْضَى بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروك مسمَّعُهُ، وَيَلْطَفُ لديك موقعُهُ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قُدِّم فيه شيءٌ، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان"⁵²².

يقدم المسند لأغراض منها: (تخصيص المسند بالمسند إليه)، كقوله تعالى: {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [آل عمران، 189/3]، و(التفاؤل بتقديم ما يسر) مثل: عليه من الرحمن ما يستحقه، و(التشويق إلى ذكر المسند إليه) كقول محمد بن وهيب: ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها.... شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر، ومن التقديم لتعلقات الفعل عليه كالمفعول والجار والمجرور والحال: (الاختصاص): كقوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة، 1/5]، و(الاهتمام بالمتقدم) كقوله تعالى: {قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ} [الأنعام، 6/164]، و(التبرك): مثل: قرآنًا قرأت، وضرورة الشعر وهو كثير لا يحصره حد، و(رعاية الفاصلة): كقوله تعالى: {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ} [الضحى، 9/93-10]⁵²³.

⁵¹⁹ الفراهيدي، العين، باب: القاف والداد والميم، 123/5.

⁵²⁰ ابن منظور، لسان العرب، فصل: الألف، مادة: أَمْرٌ، 12/4.

⁵²¹ مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة: أَمْرٌ، 71/1.

⁵²² الجرجاني، دلائل الإعجاز، 106/1.

⁵²³ أحمد مطلوب الرفاعي، أساليب بلاغية، (الكويت: وكالة المطبوعات، 1400 هـ / 1980)، 171-172،

وتوجد أنواع كثيرة من التقديم والتأخير لا ترجع إلى المسند والمسند إليه، ولا إلى متعلقات الفعل عليه وإنما ترجع إلى أمور كثيرة، قسمها الزركشي في البرهان إلى قسمين رئيسين: الأول: ما قدم والمعنى عليه، والثاني: وما قدم والنية به التأخير، والقسم الأول هو الذي يعيننا في هذه الدراسة، وهو واسع فسيح ومقتضياته كثيرة ذكر منها خمسة وعشرين لوئاً نذكر منها:

أولاً: السابق: كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأُزَاجِكُ وَبَنَاتُكَ} [الأحزاب، 59/33] فإن الأزواج أسبق بالزمان، لأن البنات أفضل منهن لكونهن بضعة منه ﷺ.

ثانياً: العلة والسببية: كتقديم (العزیز) على (الحكيم)؛ لأنه عزّ فحكم، وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ النَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة، 222/2] فإن التوبة سبب الطهارة.

ثالثاً: التعظيم: كقوله تعالى: {وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ} [النساء، 69/4].

رابعاً: الشرف: منها شرف الرسالة، كقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ} [الحج، 52/22] فإن الرسول أفضل من النبي، وشرف الذكورة، كقوله تعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ} [الأحزاب، 35/33].

خامساً: الغلبة والكثرة: كقوله تعالى: {فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ} [فاطر، 32/35] قدّم الظالم لكثرتهم، ثم المقتصد، ثم السابق.

سادساً: للتنبيه على أنه مطلق لا مقيد: كقوله تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ} [الانعام، 100/6] على القول بان الله في موضع المفعول الثاني ل(جعل)، و(شركاء) مفعول أول، ويكون (الجن) في كلام ثان مقدر، كأنه قيل: فمن جعلوا شركاء؟ قيل: الجن، وهذا يقتضي وقوع الإنكار على جعلهم لله شركاء.

سابعاً: التعجيب من شأنه: كقوله تعالى: {وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ} [الأنبياء، 79/21]⁵²⁴، قال الزمخشري عن هذه الآية: "فإن قلت لم قدم الجبال على الطير؟ قلت: لأن تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة وأدخل في الإعجاز، لأنها جماد والطير حيوان"⁵²⁵.

التطبيقات:

في قول الله تعالى: {إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا} [الفرقان، 12/25].

⁵²⁴ ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 239/3-273، بتصرف.

⁵²⁵ الزمخشري، الكشاف، 129/3.

في الآية تقديم الظرف (من مكان بعيد) مقدماً على جواب الشرط (سمعوا لها تغيظاً وزفيراً) والتقدير: (إذا رأتهم جهنم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً)، وتقديم الظرف للتهويل ولتصوير شدة العذاب، فروية جهنم من مكان بعيد يُسمع صوت غضبها وزفيرها، وتقديم جهنم في قوله: (إذا رأتهم) كفاعل مع أن العادة أن البشر يرون، وهذا لا يمنع من أن النار ترى قال الرازي في تفسيره: "(إذا رأتهم من مكان بعيد.....) يجب إجراؤه على الظاهر، لأنه لا امتناع في أن تكون النار حية رائية مغتظة على الكفار"⁵²⁶، ويرى ابن عاشور في التحرير والتنوير: "وإسناد الرؤية إلى النار استعارة والمعنى: إذا سيقوا إليها فكانوا من النار بمكان ما يرى الراي"⁵²⁷. وعبرت الآية بالسمع للتغيظ والزفير، ولكنهما لا يُسمعان بل يُريان، فهذا الترتيب البلاغي والتقديم والتأخير يخدم تصوير فظاعة جهنم وشدة عذابها، قال القرطبي: "فيه تقديم وتأخير، سمعوا لها زفيراً، وعلموا لها تغيظاً"⁵²⁸، ونقل الثعلبي (ت: 427هـ) صاحب تفسير الكشف والبيان عن قطرب: "رأوا لها تغيظاً، وسمعوا لها زفيراً"⁵²⁹.

في قول الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ} [الفرقان، 20/25].

في الآية تقديم الظرف (قبلك) على (من المرسلين) فالترتيب الاعتيادي للجملة (وما أرسلنا المرسلين من قبلك)، ونظيره قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى} [يوسف، 109/12]، وفي هذا التقديم غرض بلاغي وهو التشريف للنبي ﷺ فبتقديم (قبلك) فيه تركيز على مقام النبي ﷺ، كأن المعنى: لم يكن هناك مرسلون قبلك إلا وكانوا يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، والرد على طعن المشركين الذين استنكروا بشرية النبي ﷺ، فجاء التقديم لإبراز أن كل من قبل النبي ﷺ من المرسلين كانوا بشرًا كذلك، "والمعنى: وما أرسلنا قبلك يا محمد أحدًا من المرسلين، إلا وحالهم أنهم مثلك يأكلون الطعام ليغدوا به أجسامهم"⁵³⁰.

في قول الله تعالى: {يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ} [الفرقان، 22/25].

⁵²⁶ الرازي، مفاتيح الغيب، 437/24.

⁵²⁷ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 332/18.

⁵²⁸ القرطبي، جامع الأحكام، 8/13.

⁵²⁹ أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة

وتدقيق: نظير الساعدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1422هـ/2002م)، 125/7.

⁵³⁰ مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط، (القاهرة: الهيئة العامة

لشؤون المطابع الأميرية، 1393هـ/1973م- 1414هـ/1993م)، 1496/6.

في الآية تقدّم الظرف الزمني (يوم يرون الملائكة)، فالأصل (لا بشرى للمجرمين يوم يرون الملائكة)، والغاية من التقديم، لتهيئة السامع للموقف العظيم، ولتهويل المشهد منذ البداية، فعند سماع (يوم يرون الملائكة) يأتي الشعور بان شيئاً عظيماً سيحدث، وتمهيداً لما سيأتي من خبر مرعب للمجرمين (لا بشرى يومئذ)، والتقديم الثاني تقديم (يومئذ) على (للمجرمين) وذلك للتوقيت على الحرمان من البشرى، قال أبو السعود (ت: 982هـ) في تفسيره (إرشاد العقل السليم): "ويومئذ على كل حالٍ تكريرٌ للتأكيد والتهويل، مع ما فيه من الإيذان بأن تقديم الظرف للاهتمام لا لقصر نفي البشرى على ذلك الوقت فقط فإن ذلك مخلٌ بتفطيع حالهم وللمجرمين تبين على أنه مظهرٌ وُضِعَ موضع الضمير تسجيلاً عليه بالإجرام مع ما هم عليه من الكفر"⁵³¹.

في قول الله تعالى: {الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا} [الفرقان، 26/25].

في الآية تقديمان، التقديم الأول: (الملك) على (يومئذ) فالآية الكريمة بدأت ب (الملك) وجعلت الزمن (يومئذ) متعلقاً به، والغاية من التقديم للاهتمام بالملك، أي: أن السيادة والحكم المطلق الحقيقي الكامل في ذلك اليوم خالص للرحمن وحده، وفيه مفهوم أن الحكم يوم القيامة لله وحده لا يشاركه فيه أحد، خلافاً لما يتوهمه الكافر في الدنيا، قال السمرقندي في بحر العلوم: "وفي الآية تقديم، ومعناه: الملك يومئذ الحق للرحمن، الحق صفة الملك، والمعنى: الملك الذي هو الملك حقاً ملك الرحمن"⁵³².

والتقديم الثاني: تقديم الجار والمجرور (على الكافرين) على الخبر (عسيراً) والغاية من هذا التقديم هو لتخصيص المشقة والعسر بالكافرين تحديداً دون المؤمنين، فلو قيل: (وكان يوماً عسيراً على الكافرين) لفهم أن العسر صفة اليوم عموماً، أما بهذا التقديم صار العسر على الكافرين تحديداً، قال الله تعالى: {فَذَلِكْ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ* عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ} [المدثر، 10-9/74]، "إشارة إلى أنه يكون على المؤمنين سهلاً يسيراً، يقبلون عليه بنفوس مطمئنة، ووجوه مستبشرة"⁵³³.

في قول الله تعالى: {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا} [الفرقان، 43/25].

في الآية تقديم المفعول الثاني (إلهه) على المفعول الأول (هواه) أي: (اتخذ هواه إلهاً له)، لكن قُدم

⁵³¹ أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، 211/6.

⁵³² السمرقندي، بحر العلوم، 535/2.

⁵³³ مجموعة من العلماء، التفسير الوسيط، 1505/7.

المفعول الثاني (إلهه) لأجل الاهتمام والتهويل، وهذا من شدة انحرافه، حتى مفهوم الإله لم يسلم من هواه، قال الطيبي في حاشيته على الكشف: "فإنَّ الجملة قبل دخول (أرأيت) و (اتخذ) مبتدأ، وخبر المبتدأ (إلهه)، والخبر (هواه) وتقديم الخبر يفيد الحصر، فكأنه قال: أرأيت من لم يتخذ معبوده إلا هواه؟ وذلك أبلغ في ذمته وتوبيخه"⁵³⁴، ونقل الألوسي عن ابن المنير: "في تقديم المفعول الثاني هنا نكتة حسنة وهي إفادة الحصر"⁵³⁵، وقال الصابوني في صفوة التفاسير: "فيه تقديم المفعول الثاني على المفعول الأول الاعتناء بالأمر المتعجب منه والأصل: (اتخذ هواه إلهاً له)"⁵³⁶.

والتقديم الثاني: تقديم الضمير (أنت) على الفعل (تكون) الأصل (أفتكون أنت عليه وكيلاً)، والغرض من هذا التقديم التعجب، أي: أن الأمر ليس لك بل هو لله وحده، قال الله تعالى: {فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين}[النحل، 82/16]، قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: "وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في قوله: (فأنت تكون عليه وكيلاً) للتقوي إشارة إلى إنكار ما حمل الرسول عليه الصلاة والسلام نفسه من الحرص والحزن في طلب إقلاعهم عن الهوى، كقوله تعالى: {أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}[يونس، 99/10]، والمعنى: تكون وكيلاً عليه في حال إيمانه بحيث لا تفارق إعادة دعوته إلى الإيمان حتى تلجئه إليه"⁵³⁷.

في قول الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ}[الفرقان، 45/25].

في الآية تقديم الجار والجرور (إلى ربك) على الفعل (مدّ) وعلى المفعول (الظل)، والقصد من تأخير المفعول لان المقصود ليس الظل ذاته، بل الطريقة التي مدّ بها، ولهذا جاء الترتيب: (كيف مدّ الظل)، والغرض البلاغي من هذا التقديم: لفت النظر إلى الله تعالى أولاً، لا إلى ظاهرة الظل، وتعظيم الفاعل قبل الفعل، قال الرازي في تفسيره: "(ألم تر فيه وجهان: أحدهما أنه من رؤية العين، والثاني أنه من رؤية القلب، يعني العلم، فإن حملناه على رؤية العين فالمعنى (الم تر إلى الظل كيف مده ربك) وإن كان تحريجاً لفظه على عادة العرب أفصح، وإن حملناه على العلم وهو اختيار الزجاج، فالمعنى الم تعلم وهذا أولى وذلك أن الظل إذا جعلناه من المبصرات فتأثير قدرة الله تعالى في تمديده غير مرئي بالاتفاق"⁵³⁸، وقال السمرقندي

⁵³⁴ الطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرب، 243/11.

⁵³⁵ الألوسي، روح المعاني، 24/10.

⁵³⁶ الصابوني، صفوة التفاسير، 337/2.

⁵³⁷ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 36/19.

⁵³⁸ الرازي، مفاتيح الغيب، 464/24.

في بحر العلوم: "فيه تقديم ومعناه: ألم تر إلى الظل كيف مده ربك، وقال بعضهم: فيه مضمر ومعناه: ألم تر إلى صنع ربك كيف مد الظل؟ يعني: بسط الظل بعد انفجار الصباح إلى طلوع الشمس"539.

في قول الله تعالى: {لَنُحْيِي بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيهِ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْسَاءً كَثِيرًا} [الفرقان، 49/25].

في الآية الكريمة قدم (لنحيي به بلدة ميتاً) على سقي الأنعام والأناسي، وذلك للتشويق والتركيز على النتيجة في سقي الأنعام والأناسي، فجعلها في المقدمة لإيصال المعنى سريعاً وشد الانتباه، وتقديم ما هو أغرب وأهم في الذهن، لأن إحياء الأرض مشهد عظيم، فأبرزه أولاً، "قدم إحياء الأرض وسقي الأنعام على سقي الأناسي، لأن حياة الأناسي بحياة أرضهم وحياة أنعامهم، فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم، ولأنهم إذا ظفروا بما يكون سقياً أرضهم ومواشيهم، لم يعدموا سقياهم"540.

المبحث الرابع: أسلوب الالتفات

يُعَدُّ الالتفات من الأساليب البلاغية الرفيعة في القرآن الكريم، وهو الانتقال من صيغة إلى أخرى، كالتحول من الغيبة إلى الخطاب، أو من المتكلم إلى الغائب، دون تنبيه مسبق، ويُضفي هذا الأسلوب حيوية على الخطاب، ويشد انتباه المتلقي، ويعبر عن تغير في المقام أو الحال، وقد جاء الالتفات في القرآن لخدمة المعنى، وتقوية التأثير، وإظهار التناسق بين اللفظ والسياق، مما يُبرز جانباً من الإعجاز البياني في النص القرآني.

الالتفات في اللغة: "الالتفات: أن تعدل بوجهك"541، أو "لفت وجهه عن القوم: صرفه وتلفت إلى الشيء، والتفت إليه: صرف وجهه إليه"542.

الالتفات في الاصطلاح: عرفه الزركشي في البرهان: "نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر، تطريةً واستدرازا للسامع وتجديداً لنشاطه وصيانةً لخاطره من الملل والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه"543، وقال الزمخشري في الكشاف: "فإن قلت: لما عدل من لفظ الغيبة إلى الخطاب؟ قلت: هذا يسمى الالتفات في علم البيان، قد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى

539 السمرقندي، بحر العلوم، 540/2.

540 صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، 29/10.

541 ابن فارس، مقاييس اللغة، باب: اللام والفاء وما يثلثهما، مادة: لفت، 258/5.

542 ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، مادة: لفت، 9/492.

543 الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 314/3.

التكلم⁵⁴⁴، وعرفه مختار في معجم اللغة: "انتقال مفاجئ أثناء الكلام إلى مخاطبة شخص أو شيء حاضر أو غائب"⁵⁴⁵. وفي فائدة الالتفات يذكر الزمخشري: "ولان الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من أجراءه على أسلوب واحد"⁵⁴⁶، وذكر الزركشي أقساماً للالتفات نوجزها بما يلي:

أولاً: الالتفات من التكلم إلى الخطاب كقوله تعالى: {وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [يس، 22/36]، الأصل: (إليه أرجع)، فالتفت من التكلم إلى الخطاب.

ثانياً: من التكلم إلى الغيبة كقوله تعالى: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} [الكوثر، 1/108-2] حيث لم يقل (لنا) تحريضاً على فعل الصلاة لحق الربوبية.

ثالثاً: من الخطاب إلى التكلم كقوله تعالى {قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ} [يونس، 21/10] على أنه سبحانه نزل نفسه منزلة المخاطب.

رابعاً: من الخطاب إلى الغيبة كقوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ} [يونس، 22/10] فقد التفت عن (كنتم) إلى (جرين بهم).

خامساً: من الغيبة إلى التكلم كقوله تعالى: {فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} [القيامة، 18/75] أي: إذا قرأه رسولنا جبريل.

سادساً: من الغيبة إلى الخطاب كقوله تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا} [مريم، 88-89/19]⁵⁴⁷.

التطبيقات:

في قول الله تعالى: {وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ} [الفرقان، 17/25].

في الآية التفات من ضمير الغائب (يحشرهم- يقول)، إلى ضمير المتكلم (عبادي). وفي قراءة الجمهور (نحشرهم) بالنون ضمير الخطاب، ثم جاء الفعل (يقول) ضمير الغائب، وفي هذه المواضع التفات

⁵⁴⁴ الزمخشري، الكشاف، 14/1.

⁵⁴⁵ مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة: لفت، 2022/3.

⁵⁴⁶ الزمخشري، الكشاف، 14/1.

⁵⁴⁷ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 322-315/3، بتصرف.

وجاء الغرض البلاغي لهذا الالتفات لإظهار القرب والعناية، فالله تعالى وصفهم (عبادي) ليظهر قربهم ورعايته لهم، وفي هذا اللفظ تشريف للمؤمنين وكيف هي علاقة العبد المؤمن مع ربه جلّ وعلا، {يَحْشُرُهُمْ} بالياء قرأها ابن كثير، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب، وقرأها بقية العشرة {نَحْشُرُهُمْ} بالنون⁵⁴⁸، "وقرأ الجمهور نحشروهم بالنون ويقول بالياء ففيه التفات من التكلم إلى الغيبة"⁵⁴⁹.

في قول الله تعالى: {فَقَدْ كَذَّبَكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا} [الفرقان، 19/25].

في الآية التفات من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم، (نذقه عذاباً كبيراً)، فقبل هذا الموضع كان الخطاب (فقد كذبوكم) ثم جاء الأسلوب بصيغة المتكلم (نذقه)، والغرض البلاغي من هذا الالتفات: إبراز عظمة المتكلم (الله تعالى) فالانتقال من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم يعمق الإحساس بأن الله هو المتصرف والمتوعد، والتهديد والتخويف يظهر أكثر في أسلوب المتكلم، وأكثر تأثيراً وتهديداً من الغيبة، وهذا التحول في الضمائر يوقظ الذهن ويجعل السامع أكثر تركيزاً، ولفظة (نذقه) بصيغة العظمة لكون العذاب من الله وحده، قال الزمخشري: "هذه المفاجأة (القصد في قوله: فقد كذبوكم) بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة وخاصة إذا انضم إليها الالتفات وحذف القول"⁵⁵⁰، وقال الشربيني في السراج المنير: "(فقد كذبوكم) فيه التفات إلى العبد بالاحتجاج والإلزام على حذف القول، والمعنى: فقد كذب المعبودين العابدين أي: بسبب ما تقولون"⁵⁵¹.

في قول الله تعالى: {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا} [الفرقان، 20/25].

في الآية التفات فالآية بدأت بصيغة التكلم {وَجَعَلْنَا}، ثم انتقل مباشرة إلى ضمير الخطاب {أَتَصْبِرُونَ}، وبعدها انتقل إلى الغائب {وكان ربك}، والغرض من هذا الالتفات تحريك النفس وتنبيه السامع، حين يخاطب الإنسان فجأة عنه بضمير التكلم إلى الخطاب فينتبه، والانتقال المباشر في الخطاب يُشعر المُخاطب أن الأمر يتعلق به مباشرة لا بغيره، ثم جاء مرة أخرى بصيغة الخطاب المباشر للنبي ﷺ في قوله تعالى: {وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا} ليتناسب ويوافق لأسلوب الخطاب مع {أَتَصْبِرُونَ}، قال أبو السعود في تفسيره:

⁵⁴⁸ خاروف، التسهيل لقرءات التنزيل، 361.

⁵⁴⁹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، 337/18.

⁵⁵⁰ الزمخشري، الكشاف، 271/3.

⁵⁵¹ الشربيني، السراج المنير، 654/2.

"وعدّ كريم للرسول ﷺ، بالأجر الجزيل لصبره الجميل، مع مزيد تشريف له ﷺ بالالتفات إلى اسم الرب مضافاً إلى ضميره ﷺ" 552.

في قول الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا} [الفرقان، 45/25].

في الآية التفات من ضمير الغائب (ولو شاء جعله ساكنًا)، إلى ضمير المتكلم (ثم جعلنا الشمس عليه دليلًا)، فهذا الالتفات إلى ضمير المتكلم (جعلنا) أي الله تعالى، والغرض من هذا الالتفات إظهار العظمة والقدرة لله تعالى بالانتقال من مشيئته بصيغة الغائب إلى الحديث عن فعله بصيغة العظمة يوحي بان الله تعالى يتصرف بإرادته وقدرته الكاملة، ولفت الانتباه بإيقاظ ذهن السامع، ويشعره بعظمة هذا الفعل، قال المظهر في تفسيره: "(ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا) أي على الظل دليلًا، يعني لو لم تكن الشمس لما عرف الظل ظلًا، ولولا النور لما عرف الظلمة ظلمة، فإن الأشياء تعرف بأضدادها، وأيضًا لا يوجد الظل ولا يتفاوت إلا بسبب حركات الشمس وفيه التفات من الغيبة إلى المتكلم" 553.

في قول الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (48) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْاسٍ كَثِيرًا* وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا} [الفرقان، 48-49-50].

في الآيات الكريمات التفات في خمسة مواضع (وأنزلنا- لنحيي- ونسقيه- خلقنا- صرفناه)، الالتفات من الغيبة (وهو الذي أرسل الرياح) إلى ضمير التكلم (وانزلنا)، "لأن التكلم أليق بمقام الامتنان" 554، والغرض البلاغي من الالتفات تعظيم شأن الفعل الإلهي (الإنزال) بالتعبير بصيغة الجمع الدالة على الكمال المطلق والجلال والعظمة لله، ثم الاستمرار بضمير المتكلم (نحيي- نسقيه- خلقنا- صرفنا) وفيه تقوية للفعل ونسبته لله تعالى، "والالتفات من الغيبة إلى التكلم في قوله: (وأنزلنا- لنحيي- ونسقيه- ولقد صرفنا) للداعي الذي قدمناه في قوله: {ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا} [الفرقان، 45/25]" 555. والقول الآخر: "الالتفات من الغيبة إلى التكلم للتعظيم (وأنزلنا من السماء) بعد قوله: {وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ} 556.

552 أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 210/6.

553 المظهر، تفسير المظهر، 31/7.

554 ابن عاشور، التحرير والتنوير، 47/19.

555 المصدر السابق، 47/19.

556 الصابوني، صفوة التفاسير، 337/2.

في قول الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا}[الفرقان، 54/25].

الالتفات في الآية الكريمة في قوله تعالى: (وكان ربك قديرًا)، فقد جاء الكلام قبلها بضمير الغائب (وهو الذي خلق)، ثم تحول الخطاب إلى الأسلوب المباشر (وكان ربك قديرًا) بدلًا من (وكان ربه قديرًا)، تماشيًا مع السياق العام للآية، والالتفات جاء لأغراض بلاغية منها التشريف النبي ﷺ بذكر (ربك) تعظيمًا له، وجاء هذا التنوع بالأسلوب لإثارة الانتباه وجذب السامع، وإشعار المخاطب بعناية الله به، إذ ختم الآية بخطاب خاص للنبي ﷺ، ليطمئنه بأن ربه قدير على كل شيء ومنها خلق الإنسان.

في قول الله تعالى: {قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا}[الفرقان، 77/25].

في الآية التفات، ففي بداية الآية كانت المخاطبة موجهة إلى المؤمنين، أو بلسان النبي ﷺ إلى الناس عمومًا، ثم حدث التفات بلاغي من مخاطبة المؤمنين (قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم) إلى خطاب مباشر (للمشركين فقد كذبتهم)، فهذا الالتفات له أثر بلاغي وقوي، إذ يجعل الكلام أشد تأثيرًا وتوبيخًا وتهديدًا، وكان الله تعالى يقرع المشركين ويواجههم مباشرة، ويوعدهم بأن العذاب واقع حتمًا، "(فقد كذبتهم فسوف يكون لزامًا) أي: فسوف يكون تكذيبكم لزامًا لكم، يعني مقتضيًا لعذابكم وهلاككم ودماركم في الدنيا والآخرة"⁵⁵⁷، "إنَّ الخطاب للمؤمنين، وإن المراد بالدعاء العبادة، يعني: ما يصنع الله بكم لولا عبادتكم، ويكون قوله: (فقد كذبتهم) انتقال إلى خطاب آخرين"⁵⁵⁸، "(فقد كذبتهم): أي بما أخبرتكم حيث خالفتموه، وإذا كان الخطاب لمشركي قريش، فيكون في الكلام التفات من خطاب المؤمنين الصادقين، إلى خطاب المشركين المعاندين"⁵⁵⁹.

⁵⁵⁷ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 121/6.

⁵⁵⁸ ابن عثيمين، تفسير سورة الفرقان، 345.

⁵⁵⁹ الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، 531/6.



الخاتمة وأهم النتائج

تناولتُ في دراستي هذه التعريف بمصطلحات المنهج البياني في النص القرآني، وسلطت الضوء على العصور التي مرَّ بها المنهج البياني ابتداءً من عصر النبي ﷺ حتى عصرنا الحديث، وكيف بيّن النبي ﷺ القرآن لبعض ألفاظ القرآن، وكيف سار صحابته الكرام على نهجه في بيانهم لبعض ألفاظ القرآن، ثم جاء من بعدهم التابعون واشتغلوا في المنهج البياني وأصلوا لنا أصولاً وقواعد مهمة تُعْتَبَرُ الأساس بالاشتغال في هذا العلم، ثم حفظ الله هذا العلم على أيدي علماء أجلاء ساروا في نفس ركب سلفهم من الصحابة والتابعين، واشتغلوا في القرآن الكريم وبيّنوا إعجازه من ناحية تركيب الألفاظ وتركيب الجمل وتناسقها، واستعنت في هذه الدراسة بالقراءات العشرة من طريق الشاطبية والدرّة في بعض الكلمات الموجودة في سورة الفرقان، والتي فيها أوجه في القراءات، وأيضاً استعنت بالحديث الشريف، وبيعض المعاجم العربية لبيان بعض الألفاظ، واستعنت أيضاً بتفاسير القرآن، واستشهدت في بعض الأحيان بالشعر العربي، ثم بدأت الدراسة العملية، والتحليلية، وخلصت الدراسة إلى:

1. بعد استعراض المنهج البياني في النص القرآني وتحليل أبعاده، تبين أن هذا المنهج يمثل أهم المسالك الرئيسية لفهم النص القرآني، إذ يقوم على دلالات كشف الألفاظ وتراكيبها، وربطها بالسياق القرآني العام مع مراعاة الخصائص الأسلوبية والبلاغية التي تميز النص القرآني عن غيره من النصوص، وقد أظهرت الدراسة أن المنهج البياني يستند إلى مجموعة من الأسس والضوابط العلمية المتكاملة، وأن المنهج البياني لا يعد مجرد أداة لغوية فحسب، بل هو مدخل تأويلي دقيق يتطلب من العامل في هذا المجال إلماماً بالعلوم البلاغية واللغوية ووعياً بالسياقات القرآنية، مما يفتح آفاقاً واسعة أمام الباحثين في مجال المنهج البياني لمزيد من الإثراء والتطوير لهذا المنهج.

2. اتضح من خلال هذه الدراسة أن النبي ﷺ لم يكن مجرد ناقل للوحي، بل كان مفسراً له ببيان معجز، جمع بين عمق الفهم ودقة التعبير، وشمول الرؤية، وقد ظهرت اللمسات البيانية النبوية في صور متعددة من أبرزها: تفسير المجل وبيان المبهم، وتقييد المطلق وتخصيص العام، وبيان المعاني الروحية والوجدانية، بالإضافة إلى ضرب الأمثال وشرح المعاني، بمواقف عملية حسية، كما تجلّى بيانه ﷺ في التطبيق العملي للقرآن الكريم، وتمثل ذلك في خلقه وسلوكه، فضلاً عن ربطه للآيات بأسباب نزولها وترتيب ورودها، وهو ما ساعد الصحابة ومن جاء بعدهم على التفاعل الواعي مع النص القرآني، وتبرز هذه الجوانب البيانية في التفسير النبوي دقة معالجته للمعاني وفق السياق، وإظهار المقاصد الشرعية والبلاغية للنص، مما يجعل البيان النبوي مصدراً تفسيرياً رئيساً بعد القرآن نفسه، ومن هنا، فإن دراسة اللمسات

النبوية في التفسير النبوي تمثل مدخلاً مهماً لفهم بلاغة القرآن الكريم، وتثبيت قواعد التفسير، والربط بين النظرية والتطبيق.

3. تبين من خلال استقراء أقوال الصحابة رضي الله عنهم في التفسير، أنهم أولوا عناية كبيرة بجوانب اللفظ والمعنى والسياق، وقد تجلّى ذلك في عدد من اللمسات البيانية التي شكلت نواة أولى لفهم النص القرآني من منظور لغوي وبياني، ورغم افتقار تفسيرهم إلى التنظير البلاغي المنهجي، إلا أن مضمون تفسيراتهم يكشف عن عمق فطري ووعي دقيق بدلالات النص ومقاصده.

4. أثبتت مرويات التابعين في التفسير أنهم كانوا يمتلكون بصيرة لغوية وبيانية مكنتهم من الكشف عن كثير من دقائق التعبير القرآني، وقد أسهمت إشاراتهم البلاغية في إبراز الجوانب الجمالية للنص، ووضعت أسساً لفهمه من زاوية فنية وبيانية، كما تعد جهودهم حلقة محورية في تطوير التفسير البياني، لكونها مثلت جسراً معرفياً بين الجيل الأول من الصحابة وبين المدارس التفسيرية التي تبلورت في العصور اللاحقة.

5. في هذه الدراسة اتضح لنا بأن الأسلوب الإنشائي بنوعيه الطلبي وغير الطلبي يحتل مكانة بارزة في البناء البلاغي للخطاب القرآني، إذ يشكل أداة فعالة للتأثير في المتلقي، وتوجيهه فكرياً وسلوكياً، وقد تجلّى الإنشاء الطلبي في صيغ متعددة في سورة الفرقان، مثل: الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء، وكل منها يحمل في طياته دلالات تتجاوز المعنى الظاهري لتؤدي وظائف بلاغية وتربوية عميقة، بحسب السياق والمقام، كما أن الإنشاء غير الطلبي من تعجب ومدح وذم، أضفى على الخطاب القرآني طابعاً تعبيرياً راقياً يبرز إعجازه البلاغي والبياني، وكشف هذا التنوع في الأساليب الإنشائية عن ثراء التعبير القرآني.

6. اتضح من خلال هذه الدراسة أن الجملة الخبرية تمثل ركيزة أساسية في بناء الخطاب، لما لها من دور محوري في نقل المعاني والتأثير في المتلقي، فهي لا تقتصر على أداء وظيفتها الأصلية في الإخبار ونقل المعلومات، بل تتجاوز إلى أغراض بلاغية متعددة كالتوبيخ، والتعجب، والوعد، والوعيد، والتحسر، والإنكار، والمدح، والذم، وغيرها من الظواهر البلاغية، مما يكشف عن ثراء اللغة العربية بشكل عام، والقرآن الكريم بشكل خاص.

7. تجلّى لنا من خلال هذه الدراسة أرقى مظاهر الإيجاز، ولا سيما في نمطيه إيجاز القصر، وإيجاز الحذف، إذ إن القرآن الكريم قد بلغ الغاية في التبليغ بأقل الألفاظ وأقواها، فجاء القصر فيه أداة لحصر المعنى وتخصيصه، مما يعمّق التأثير في النفس ويوجه المعنى بدقة لا تحتمل التشتت، أما إيجاز

الحذف فقد تجلّى في مواضع متعددة من سورة الفرقان، يدل الحذف فيها على بلاغة الاستغناء بما يُفهم من السياق، وإنّ دراسة هذين النمطين من الإيجاز في النص القرآني لا تبرز فحسب الجمال الأسلوبي، بل تكشف عن بُعد إعجازي في التعبير، يتجلّى فيه الاقتصاد اللفظي مقروناً بالغزارة المعنوية، مما يجعل البلاغة القرآنية نموذجاً أعلى للفصاحة والبيان.

8. اتضح لنا من خلال هذه الدراسة أن الإطناب من الأساليب البلاغية البارزة في القرآن الكريم، حيث يستخدم لإبراز المعاني وتوضيحها وتقويتها بحسب مقتضى الحال، وقد جاء بأساليب متنوعة في سورة الفرقان كالتكرار، والتفصيل بعد الإجمال، مما يعكس دقة التعبير القرآني وثراءه البلاغي، وبرز جمال النظم وإعجازه.

9. اتضح من خلال هذه الدراسة أن أحوال عناصر الجملة في الخطاب القرآني تمثل جانباً بلاغياً ونحوياً دقيقاً، يعكس عمق التركيب اللغوي في النص القرآني، وثراءه الدلالي والتعبيري، فقد تنوعت أحوال المسند والمسند إليه في سورة الفرقان، تبعاً للسياق والمعنى المقصود، مما أسهم في بناء نصٍّ معجزٍ يجمع بين الإيجاز والدقة، وبين البيان والتأثير، وقد أظهرت الدراسة أن القرآن الكريم لا يلتزم نمطاً واحداً في ترتيب عناصر الجملة، بل يتنوع في ذكر، وتعريف وتكثير، تحقيقاً لأغراض بلاغية عميقة، ترتبط بالمقام، وتُبرز في إظهار المعنى وإثارة الانتباه وتحقيق الانسجام النصي، وهذا التنوع في الأساليب والتركيبات يُعد من وجوه الإعجاز البياني في القرآن الكريم.

10. بيّنت الدراسة إن الأساليب البلاغية في تنظيم التراكيب وصياغة المعاني من الفصل والوصل، والقصر، والتقديم والتأخير، والالتفات تمثل أرقى أدوات البلاغة العربية التي تضيف على الكلام قوةً وجمالاً وعمقاً في المعنى، فالقصر يُبرز المعنى المراد ويقصره على أمرٍ محدد، والفصل والوصل ينسّقان بين الجمل لتؤدي المعنى بانسجام أو استقلال بحسب المقام، والتقديم والتأخير يمنح الكلام مرونة وإيقاعاً خاصاً مع التركيز على العناصر المهمة، أما الالتفات فيجدد النشاط الذهني للقارئ أو السامع ويثير انتباهه بالتنقل بين ضmann الخطاب. هذه الأساليب، متى أحسن استخدامها، تجعل النص أكثر تأثيراً وبلاغة، وتُظهر ثراء اللغة العربية وقدرتها الفائقة على التعبير، ومما لا شك فيه أنّ اللغة العربية مهمة لكل من على هذه الأرض؛ لأنها لغة القرآن الكريم، فقد أنزل الله تعالى القرآن للعالمين أجمعين من الإنس والجن، فلمكانة اللغة العربية، وفروعها من نحو، وصرف، وبلاغة، وعروض، اقترح بعض الاقتراحات، وأوصي ببعض التوصايا:

1. توصي هذه الدراسة بضرورة العناية بتحليل التفسير النبوي، وبيانه من زاوية بلاغية أوسع، وربطه بالمناهج الحديثة في البيان والنقد، لاستجلاء أبعاد جديدة في فهم النص القرآني من خلال هدي النبي ﷺ وتفسيره.
2. العناية بجمع آثار تفسير الصحابة البياني، وتصنيفها بلاغيًا، لتيسير الاستفادة منها تفسيريًا وبلاغيًا، وإبراز مكانة تفسير الصحابة المبني على سماع النبي ﷺ، كمرحلة تأسيسية لتفسير القرآن الكريم، لا سيما من حيث استنباط المعاني ودلالاتها.
3. زيادة فتح أقسام اللغة العربية في الجامعات، وقبول عدد أكبر من الطلاب في هذه الأقسام، وخاصة طلاب الدراسات العليا.
4. ترجمة أطروحات الدكتوراه، ورسائل الماجستير والتي اهتمت بعلم القراءات، وعلم النحو، وعلم الصرف، وعلوم البلاغة، وعلم العروض إلى اللغات الأجنبية الأخرى، خاصة اللغة الإنجليزية، واللغة التركية، واللغة الفارسية.

المصادر والمراجع

- الأباليق، أحمد محمد ثريا. أسرار علم المعاني في سورة يوسف. إشراف فضل حسن عباس. الأردن: العالم الحديث للطباعة، الطبعة: 1، 1426 هـ/2006 م.
- أمير عبد العزيز، التفسير الشامل للقرآن الكريم. القاهرة: دار السلام، الطبعة د. ط، 1420 هـ/2000 م.
- إبراهيم مصطفى. مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. مكتبة الشروق الدولية- جمهورية مصر العربية. الطبعة: 4، 1425 هـ/2004 م.
- ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد. التسهيل لعلوم التنزيل. حققه: عبدالله الخالدي. دار الأرقم بن أبي الأرقم- بيروت، الطبعة: 1، 1416 هـ/1995 م.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو فرج عبدالرحمن بن علي. زاد المسير في علم التفسير. حققه: عبدالرزاق المهدي. دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة: 1، 1422 هـ/2001 م.
- الأزدي، محمد بن الحسن بن دريد. جمهرة اللغة. حققه: رمزي منير بعلبكي. بيروت: دار العلم للملايين، 1407 هـ/1987 م.
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب. المفردات في غريب القرآن. حققه: عدنان صفوان الداودي. بيروت: دار القلم- الدار الشامية، الطبعة: 1: 1412 هـ/1991 م.
- الألباني محمد ناصر الدين. سلسلة الأحاديث الصحيحة. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. طبعة جديدة ومنقحة، 1415 هـ/1995 م.
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. حققه: علي عبدالباري عطية. دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: 1، 1415 هـ/1994 م.
- ابن الأنباري، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر. إيضاح الوقف والابتداء. حققه: محي الدين عبدالرحمن رمضان. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، الطبعة: 1، 1390 هـ/1971 م.
- الإيجي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد الحسيني. جامع البيان في تفسير القرآن. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1424 هـ/2004 م.

أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني. **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**. حققه: عدنان درويش- محمد المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة 1، تاريخ النشر: د. ت.

البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**. حققه: مصطفى ديب البغا. دمشق: دار ابن كثير؛ دار اليمامة، الطبعة: 5، 1414 هـ/1993 م.

البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري. **الأدب المفرد**. حققه: محمد فؤاد عبد الباقي. المطبعة السلفية ومكتبتها- القاهرة، الطبعة: 2، 1379 هـ/1959 م.

البخاري، محمد بن إسماعيل. **خلق أفعال العباد**. تحقيق وتقديم: عبد الرحمن عميرة. السعودية: دار المعارف، ط: د. ط، د. ت، 100.

بدوي، أحمد أحمد بدوي. **من بلاغة القرآن**. إشراف: داليا محمد إبراهيم. مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: 1، 1425 هـ/2005 م.

البرماوي، شمي الدين محمد بن عبد الدائم. **الفوائد السنية في شرح الألفية**. حققه: عبدالله رمضان موسى. مكتبة التوعية الإسلامية للتحقيق والنشر والبحث العلمي- الجيزة- مصر، الطبعة: 1، 1436 هـ/2015 م.

البصيصي، عادل ناجح وآخرون. **اللغة العربية**. العراق: وزارة التربية، المديرية العامة للمناهج. الطبعة 1، 1444 هـ/2022 م.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. **معالم التنزيل في تفسير القرآن**. حققه: محمد عبدالله النمر؛ وآخرون. السعودية: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: 4، 1417 هـ/1997 م.

البياتي ظاهر شوكت. **أدوات الإعراب**. بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة 1، 1425 هـ/2005 م.

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**. حققه: محمد عبدالرحمن المرعشلي. دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان، الطبعة: 1، 1418 هـ/1997 م.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين. **الأسماء والصفات**. حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: علاء الله بن محمد الحاشدي. قدم له: مقبل بن هادي الوادعي. المملكة العربية السعودية: مكتبة السوادي، الطبعة: 1، 1413 هـ/1993 م.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين. مناقب الإمام الشافعي. حققه: السيد أحمد صقر. القاهرة: مكتبة دار التراث، الطبعة: 1، 1390هـ/1970م.

اليومي، محمد رجب، خطوات التفسير البياني. تقديم: محمد عبد الرحمن بيبصار. مصر: مجلة البحوث الإسلامية، الكتاب 42، 1391 هـ/ 1971م.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك أبو عيسى. سنن الترمذي. حققه: أحمد محمد شاكر (ج1- ج2) - ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج3)- وإبراهيم عطوة (ج4- ج5). مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر، الطبعة: 2، 1395هـ/1975.

ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية. مجموع الفتاوى. جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم. السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة: 1، 1425هـ/2004م.

الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم. الكشف والبيان عن تفسير القرآن. تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور. مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة 1، 1422هـ/2002م.

الجاحظ، عمر بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي. البيان والتبيين. بيروت: دار ومكتبة الهلال، الطبعة: 1، 1423هـ/2002م.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن. دلائل الإعجاز في علم المعاني. حققه: محمود محمد شاكر. مصر: مطبعة المدني؛ جدة: دار المدني، الطبعة: 3، 1413هـ/1992م.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد. درج الدرر في تفسير الآي والسور. حققه: وليد بن أحمد بن صالح الحسين- أياد عبداللطيف القيسي. مجلة الحكمة- بريطانيا، الطبعة: 1، 1429هـ/2008م.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. كتاب التعريفات. ضبطه وصححه جماعة من العلماء. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة: 1، 143هـ/1983م.

ابن الجزري شمس الدين أبو الخير. النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، مصر المطبعة التجارية الكبرى، الطبعة: د. ط، د.ت.

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي. الخصائص. حققه: عبد الحميد هندراوي. دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، الطبعة: 3، 1428هـ/2008م.

ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي. المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرون، مصر: وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، د. ط، 1386هـ - 1389هـ/1966م-1969م.

ابن الحاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر. أمالي ابن الحاجب. حققه: فخر صالح سليمان قدارة. دار عمار- الأردن ودار الجبل بيروت، الطبعة: د. ط، عام النشر: 1409هـ/1989م.

الحاكم، أبو عبدالله محمد بن عبدالله. المستدرک علی الصحیحین. دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة: 1، 1411هـ/1990م.

حبّنگة، عبدالرحمن بن حسن. البلاغة العربية. دمشق: دار القلم، الدار؛ بيروت: الشامية، الطبعة: 1، 1416هـ/1996م.

الحموي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. بيروت: المكتبة العلمية، د. ط، د. ت.

ابن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل. مسند الإمام أحمد. حققه: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد وآخرون. مؤسسة الرسالة، الطبعة: 1، 1421هـ/2001م.

الحنفي، إبراهيم بن محمد بن عرب شاه. الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة: د. ط، التاريخ: د. ت.

خاروف، محمد فهد خاروف. التسهيل لقراءات التنزيل من الشاطبية والدرة. تقديم: محمد كريم راجح. دار البيروني- دمشق، الطبعة: 1، 1429هـ/2008م.

الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم. لباب التأويل في معاني التنزيل. تصحيح: محمد علي شاهين. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة: 1 التاريخ: د. ت.

الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي. بيروت: دار صادر، د. ط، د. ت.

الخطابي. أبو سليمان محمد بن محمد. بيان إعجاز القرآن. تحقيق محمد خلف الله- محمد زغلول سلام. مصر: دار المعارف، الطبعة: 3، 1396 هـ / 1976 م.

الخطيب الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني ربنا الحكيم الخبير. مطبعة بولاق الأميرية - القاهرة، الطبعة: 1، 1285 هـ / 1868 م.

دراز، صباح عبید. الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم. الطبعة: 1، 1406 هـ / 1986 م، مطبعة الأمانة - مصر.

الدرة محمد علي طه. تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه. دمشق: دار ابن كثير، الطبعة 1، 1430 هـ / 2009 م.

درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى. إعراب القرآن وبيانه. سورية: دار اليمامة؛ دار ابن كثير؛ دار الإرشاد للشؤون الجامعية - بيروت: دار اليمامة؛ دار ابن كثير، الطبعة: 1، 1415 هـ / 1994 م.

الدعاس، أحمد عبید وآخرون. إعراب القرآن الكريم، دمشق: دار المنير - دار الفارابي، الطبعة 1، 1425 هـ / 2004 م.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر. التفسير الكبير. بيروت: دار إحياء التراث، الطبعة: 3، تاريخ النشر: 1420 هـ / 1999.

الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبو بكر بن عبد القادر. مختار الصحاح. حققه: يوسف الشيخ محمد. بيروت: المكتبة العصرية، الطبعة: 5، 1420 هـ / 1999 م.

رشوان، حسين عبد الحميد أحمد. العلم والبحث العلمي دراسة في مناهج العلوم. مصر: المكتب الجامعي الحديث. د. ط، 1409 هـ / 1989 م.

رضا، أحمد رضا. معجم متن اللغة. بيروت: دار مكتبة الحياة، الطبعة: 1، 1377 هـ / 1958 م.

الرفاعي، أحمد مطلوب. أساليب بلاغية، الكويت: وكالة المطبوعات، الطبعة 1، 1400 هـ / 1980.

الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل أبز إسحاق. معاني القرآن وإعرابه. حققه: عبد الجليل عبدة شلبي. عالم الكتب- بيروت، الطبعة: 1، 1408 هـ / 1988 م.

- الزحيلي، وهبة بن مصطفى. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. سورية: دار الفكر؛ لبنان: دار الفكر المعاصر، الطبعة: 1، 1411هـ/1991م.
- الزحيلي، وهبة بن مصطفى. التفسير الوسيط. دار الفكر- دمشق، الطبعة: 1، 1422هـ/2001م.
- الزركشي، أبو عبدالله بدر الدين محمد. البرهان في علوم القرآن. حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة: 1، 1376هـ/1957م.
- الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد جار الله. المفصل في صناعة الإعراب. حققه: علي أبو ملحم، مكتبة الهلال- بيروت- لبنان، الطبعة: 1، 1413هـ/1993م.
- الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد جارالله. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل. دار الكتاب العربي- بيروت لبنان، الطبعة: 3، 1407هـ/1986م.
- أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى. زهرة التفاسير. دار الفكر العربي، الطبعة: د. ط.
- السامرائي، فاضل صالح السامرائي. الجملة العربية والمعنى. بيروت: دار ابن حزم، الطبعة: 1، 1421هـ/2000م.
- السامرائي، فاضل صالح السامرائي. على طريق التفسير البياني. جامعة الشارقة، الطبعة: 1، 1423هـ/2002م.
- السامرائي، فاضل صالح. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل. عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، 1423هـ/2003م.
- السبكي، أحمد بن علي بن عبد الكافي أبو حامد بهاء الدين. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عبد الحميد هنداوي. بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، الطبعة : 1، 1423 هـ / 2003م.
- السخاوي، علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين. جمال القراء وكمال الإقراء. حققه: مراد العطية - محسن خرابة. دار المأمون للتراث- دمشق- بيروت، الطبعة: 1، 1418هـ/1997م.
- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري. الطبقات الكبرى. حققه: محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: 1، 1410هـ/1990م.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. السعودية: مؤسسة الرسالة، الطبعة 1، 1420هـ/2000م.

أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ط، د.ت.

السمرقندي، أبو الليث محمد بن نصر بن محمد بن أحمد. بحر العلوم. حققه: علي محمد عوض - عادل أحمد عبد الموجود. دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: 1، 1413هـ/1993م.

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل. المحكم والمحيط الأعظم. حققه: عبد الحميد هنداوي. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة: 1، 1421هـ/200م.

سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر. الكتاب. حققه: محمد عبد السلام هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة: 3، 1408هـ/1988م.

السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن. حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم. مصر: الهيئة العامة المصرية للكتاب، الطبعة: 1: 1394هـ/1974م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم. حققه: محمد إبراهيم عبادة. مصر: مكتبة الآداب، الطبعة: 1، 1424هـ / 2004م.

سيد قطب، في ظلال القرآن، القاهرة: دار الشروق، الطبعة 32، 1423هـ/2003م.

بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن. التفسير البياني للقرآن الكريم. مصر: دار المعارف، الطبعة 7، د.ت.

الشافعي، محمد بن إدريس. الرسالة. تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر. (عن أصل بخط الربيع بن سليمان كتبه في حياة الشافعي). مصر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة: 1، 1357هـ/1938م.

ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي. أمالي ابن الشجري. حققه: محمود محمد الطناحي. القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة: 1، 1413هـ/1991م.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط، 1415هـ / 1995م

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله، **الفتح القدير**. دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق- بيروت، الطبعة: 1، 1414هـ/1993م.

الصابوني، محمد علي. **صفوة التفاسير**. دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: 1، 1417هـ/1997م.

صافي، محمود صافي. **الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه**. إشراف: اللجنة العلمية بدار الرشيد. دمشق: دار الرشيد؛ بيروت: مؤسسة الإيمان، الطبعة: 3، 1416هـ/1995م.

الصقلي، علي بن جعفر بن القطّاع ، **كتاب الأفعال**، بيروت: كتاب الأفعال، الطبعة: 1، 1403هـ/1983م.

الطالبي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم. **الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**. بيروت: المكتبة العصرية، الطبعة: 1، 1423هـ/2002م.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني. **المعجم الكبير**. حققه: حمدي عبد المجيد السلفي. مكتبة ابن تيمية- القاهرة: الطبعة: 2، تاريخ النشر: د. ت.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. خرج أحاديثه وعلق عليها: إسلام منصور عبد الحميد. خرج شواهد الشعرية: أحمد عاشور إبراهيم- أحمد رمضان محمد. القاهرة: دار الحديث، الطبعة: 1، 1431هـ/2010م.

الطبي، شرف الدين الحسين بن عبدالله. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطبي على الكشف). مقدمة التحقيق: أياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بن عطاء، المشرف العام على الإخراج العلمي: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة 1، 1434هـ/2013م.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر. **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**. الدار التونسية للنشر، تونس، الطبعة: 1، 1404 هـ/1984م.

ابن عاشور، محمد الفاضل. **التفسير ورجاله**. تقديم محمد عبد الرحمن بيسار. مصر: مجلة البحوث الإسلامية، الكتاب 13، 1390هـ/1970م.

أبو عبيدة معمر بن المثنى. مجاز القرآن. حققه: محمد فواد سزگين. مصر: مكتبة الخانجي، الطبعة 1، 1381هـ.

عباس حسن، النحو الوافي. دار المعارف- مصر، الطبعة: 3، تاريخ: د. ت.

عتر، نور الدين محمد عتر. علوم القرآن الكريم. دمشق: مطبعة الصباح، الطبعة: 1، 1414 هـ 1993/م.

عتيق، عبد العزيز عتيق. علم المعاني. بيروت: دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة 1، 1430 هـ/2009م.

ابن عثيمين، محمد بن صالح العثيمين. تفسير القرآن الكريم، "تفسير سورة الفرقان". مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين- المملكة العربية السعودية، الطبعة: 1، 1436 هـ/2014م.

ابن عثيمين، محمد بن صالح العثيمين. الأصول من علم الأصول. السعودية: دار ابن الجوزي، الطبعة 4، 1430 هـ/2009م.

العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر. تقريب التهذيب. حققه: محمد عوامة، دار الرشيد- سوريا. الطبعة: 1، 1406 هـ/1986م.

ابن عصفور، علي بن مؤمن بن محمد بن علي الإشيلي. شرح جمل الزجاجي. تقديم: فواز الشعار، إشراف: أميل بديع يعقوب. لبنان: دار الكتب العلمية، الطبعة: 1، 1419 هـ/1998م.

ابن عطية، أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي. المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز. حققه: عبدالسلام عبدالشافى محمد. دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: 1، 1422 هـ/2001م.

ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة: دار التراث، دار مصر للطباعة، الطبعة 20، 1400 هـ/1980م.

علوان، عبد الله علوان وآخرون، إعراب القرآن الكريم. تقديم عبد الله الراجحي. راجعه: فتحي الدابولي، مصر. دار الصحابة للتراث. د. ط، 1427 هـ/2006م.

عيد، محمد عيد. النحو المصفى. مصر: مكتبة الشباب، د. ط، 1391 هـ/1971م.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني. **معجم مقاييس اللغة**. حققه: عبد السلام محمد هارون. بيروت: دار الفكر، الطبعة: 1، 1399هـ/1979م.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو. **كتاب العين**. حققه: مهدي المخزومي- إبراهيم السامرائي. بيروت: درا مكتبة الهلال، الطبعة: 1، 1424هـ/2003م.

الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. **القاموس المحيط**. حققه: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. إشراف محمد نعيم العرقسوسي. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة 8، 1426هـ/2005م.

القاضي، أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادي. **العدة في أصول الفقه**. حققه وعلق عليه وخرج نصه: أحمد بن علي بن سير المبارك. السعودية: جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: 2، 1410هـ/1990م.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري. **تأويل مشكل القرآن**. تحقيق: إبراهيم شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، د. ط، د.ت.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. **الجامع لأحكام القرآن**. حققه: أحمد البردوني - إبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصرية، الطبعة: 2، 1384 هـ /1964م.

القزويني، محمد بن عبدالرحمن بن عمر أبو المعالي. **الإيضاح في علوم البلاغة**. حققه: محمد عبد المنعم خفاجي. بيروت: دار الجبل، الطبعة: 3، تاريخ النشر: د. ت.

القشيري، عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك. **لطائف الإشارات- تفسير القشيري**. حققه: إبراهيم البسيوني. مصر: الهيئة المصرية للنشر، الطبعة: 3، تاريخ النشر: د. ت.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. **الفوائد**. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة 2، 1393هـ/1973م.

الكتبي محمد بن أحمد بن شاكر. **فوات الوفيات**. حققه: محمد محي الدين عبد الحميد. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة: 1، تاريخ النشر: د. ت.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري. **تفسير القرآن العظيم**. حققه: محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: 1، 1419هـ/1998م.

- ابن ماجة، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني. **سنن ابن ماجة**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي، الطبعة: 1، 1371هـ/1952م.
- ابن ماجة، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني. **سنن ابن ماجة**. حققه: شعيب الأرنؤوط – وآخرون. دار الرسالة العالمية، الطبعة: 1، 1430هـ/2009م.
- الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود أبو منصور. **تفسير الماتريدي**. تأويلات أهل السنة. حققه: مجدي باسلوم. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة: 1، 1426هـ/2005م.
- الموردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي. **النكت والعيون**. حققه: السيد بن عبد المقصود بن عبدالرحيم. دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: د. ط.
- الشعراوي، محمد متولي. **تفسير الشعراوي**. مصر: مطابع أخبار اليوم، د. ط، 1375 هـ/1997م.
- ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس أبو بكر. **كتاب السبعة في القراءات**. حققه: شوقي ضيف، مصر: دار المعارف، الطبعة: 2، 1400هـ، 1979م.
- مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر. **التفسير الوسيط**. القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، الطبعة 1، 1393هـ/1973م- 1414هـ/1993م.
- محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار). مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب. د. ط، 1410 هـ/1990م.
- مختار، أحمد عبد الحميد عمر. بمساعدة فريق عمل. **معجم اللغة العربية المعاصرة**. عالم الكتب، الطبعة: 1، 1429هـ/2008م.
- المراغي، أحمد بن مصطفى. **علوم البلاغة (البيان، المعاني، البديع)**. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة 3، 1414هـ/1993م.
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. **صحيح مسلم**. حققه: محمد فؤاد عبد الباقي. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: 1، 1374هـ/1955م.
- مكي بن أبي طالب، أبو محمد حموش بن محمد بن مختار القيسي. **مشكل إعراب القرآن**. حققه: حاتم صالح الضامن. مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان، الطبعة: 2، 1415هـ/1994م.

مكي بن أبي طالب، أبو محمود مكي بن أبي طالب حموش بن محمد القيسي. **الهداية إلى بلوغ النهاية**. حققه: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي جامعة الشارقة. نشر كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، الطبعة: 1، 1429هـ/2008م.

المظهري، محمد ثناء الله. **التفسير المظهري**. تحقيق: غلام نبي التونسي. باكستان: المكتبة الرشيدية، الطبعة 1، 1412هـ/1991م.

ابن منصور، سعيد بن منصور. **سنن سعيد بن منصور**. تحقيق: فريق من الباحثين. إشراف: سعد بن عبدالله الحميد - خالد بن عبد الرحمن الجريسي. دار الألوكة للنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: 1، 1433هـ/2012م.

ابن منصور، سعيد بن منصور. **سنن سعيد بن منصور**. دراسة وتحقيق: سعد بن عبدالله بن عبدالعزيز آل حميد. دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة: 1، 1417هـ/1997م.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل. **لسان العرب**. الحواشي: لليازجي - وجماعة من اللغويين. بيروت: دار صادر، الطبعة: 3، 1414 هـ/1993م.

المؤيد بالله، يحيى بن حمزة بن علي الطالبي. **الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، بيروت، المكتبة العصرية، الطبعة 1، 1423هـ/2003م.

موسى، جلال محمد. **منهج البحث العلمي عند العرب**. تقديم وتحليل: محمد علي، لبنان: دار الكتاب اللبناني، الطبعة 1، 1350هـ/1972م.

النسفي، أبو البركات عبدالله بن أحمد حافظ الدين. **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**. حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي. راجعه وقدم له: محي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب- بيروت، الطبعة: 1، 1419هـ/1998م.

النسفي، نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد. **التيسير في التفسير**. تحقيق: ماهر أديب حبوش؛ وآخرون. تركيا: دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، الطبعة 1، 1440هـ/2019م.

النعمانى، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل. **اللباب في علوم الكتاب**. حققه: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد عوض. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة: 1، 1419هـ/1998م.

- النووي، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**. بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: 2، 1392هـ/1973م.
- الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى. **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع**. ضبط وتوثيق وتدقيق: يوسف الصميلي. بيروت: المكتبة العصرية، الطبعة ، 1 التاريخ د. ت.
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد جمال الدين. **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط، د. ت.
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله. **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**. تحقيق: مازن المبارك؛ محمد علي حمد الله، دمشق: دار الفكر، الطبعة 6، 1364هـ/1985.
- الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهر. **تهذيب اللغة**. حققه: محمد عوض مرعب. دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، الطبعة: 1، 1421هـ/2001م.
- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي. **التفسير الوسيط**. تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود؛ وآخرون. لبنان: دار الكتب العلمية، الطبعة: 1، 1415هـ/1994م.
- ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا الموصلي. **شرح المفصل للزمخشري**. تقديم: إميل بديع يعقوب. دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، الطبعة: 1، 1422هـ/2001م.
- أبو يعلى، القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادي. **العدة في أصول الفقه**. حققه: أحمد بن علي بن سير المبارك. الناشر: ب. ن، الطبعة: 2، 1410هـ/1990م.
- اليمني، نشوان بن سعيد الحميري. **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**. حققه: حسين بن عبد الله العمري وآخرون. بيروت: دار الفكر المعاصر، الطبعة: 1، 1420 هـ 1999 م.



السيرة الذاتية

أكمل مرحلة الابتدائية والمتوسطة والإعدادية في مدارس مدينة الموصل في العراق، أكمل مرحلة البكالوريوس في جامعة الموصل، كلية التربية، قسم علوم القرآن، أكملت مرحلة الماجستير في اللغة العربية في جامعة إسطنبول صباح الدين زعيم، معهد العلوم الاجتماعية، قسم العلوم الإسلامية، اللغة العربية، أكمل الدكتوراه في جامعة يالوفا.

المنشورات

سورة الأنعام (خصائصها – المخاطبون فيها – القضايا التي عالجتها – الوصايا فيها) بحث محكم. نُشِرَ في شباط 2021 م .

أسلوب النصب على القطع في القرآن دراسة دلالية عند علماء التفسير والبيان. بحث محكم. نُشِرَ في تشرين الأول 2022 م.

ÖZGEÇMİŞ

İlköğretim, ortaokul ve lise eğitimini Irak'ın Musul şehrindeki okullarda tamamladı. Lisans eğitimini Musul Üniversitesi Eğitim Fakültesi Kur'an İlimleri Bölümü'nde tamamladı. Yüksek lisansını İstanbul Sabahattin Zaim Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü İslami İlimler Bölümü Arapça anabilim dalında tamamladı. Doktora eğitimini Yalova Üniversitesi'nde tamamladı.

TEZDEN TÜRETİLEN YAYIN VE ESERLER

Kur'an'da Kat'a Nasb Üslubu: Müfessirler ve Belâgat Âlimleri Nezdinde Anlamsal Bir İnceleme, Hakemli Makale, Ekim 2022.

DİĞER YAYIN VE ESERLER

En'âm Sûresi (Özellikleri – Muhatapları – Ele Aldığı Konular – İçindeki Vasiyetler), Hakemli Makale, Şubat 2021.

.



**T.C.
YALOVA ÜNİVERSİTESİ
LİSANSÜSTÜ EĞİTİM ENSTİTÜSÜ**

**TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ BİLİM DALI**

**KURAN'DA BEYANİ YÖNTEM MEANİ İLMİNDE BELAGİ BİR ÇALIŞMA,
FURKAN SURESİ ÖRNEĞİ**

DOKTORA TEZİ

Omar Hasan Yousif YOUSIF

TEZ DANIŞMANI: Prof. Dr. Süleyman AYDIN

**YALOVA
EYLÜL 2025**